

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد الرابع والعشرون

دار صادر

بيروت

الطبعة الأولى

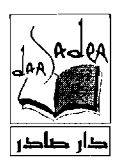
1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[523] ـ خبر عبد الله بن أَبي العلاء

عبدُ اللهِ بنُ أَبي العلاء ، رجلٌ من أَهلِ سُرَّ مَن رأى . وكان يأخُذُ عن إسحاقَ وطبقتِه فبَرع ، وله صنعةٌ يَسيرةٌ جيِّدةٌ .

[حسن الوجه والزي]

وابنُه أَحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بن أَبي العلاء ، أَحدُ المُحْسِنين المتقدِّمين ، أَخذ عن مُخارقٍ وعلُّويَه وطَبَقتِهما . وعُمِّرَ إلى آخرِ أيّام المعتضدِ . وكانت فيه عرْبدةٌ .

وكان عبدُ الله بن أبي العَلاء حَسَنَ الوجهِ والزِّيِّ ، ظريفاً شَكِلاً .

حدَّثني ذَكاءُ وجهُ الرُّزّة قال : قال لي ابنُ المكّي المُرْتَجِلُ : كان يُقوِّم دابة عبدِ الله بن أُبي العلاء وثيابَه إذا ركب ألفَ دينارٍ .

[يعتذر عن البقاء عند إسحاق]

قال : وقال لي ابنُ المكِّيّ : حدَّثني أَبي ، قال : نظر أحمدُ بن يُوسُفَ الكاتبُ إلى عبد الله بنِ أبي العلاء عند إسحاقَ ، وهو يُطارِحُه ، فأقام عند إسحاقَ ، وسألَه احتباسَ عبدِ الله عندَه ، فأمَرَه بذلك ، فاعْتلَّ عليه . وقال : أُريدُ أن أُشَيِّع غازياً يخرُجُ من جيرانِنا ، فقال له أحمدُ بن يوسُفَ : [من الكامل]

لا تَخرُجَنَّ مع الغُزاةِ مُشَيِّعاً ... إنَّ الغَزيَّ يراكَ أَفضلَ مَغْنَمِ

ودَع الحَجِيجَ ولا تُشيِّع وَفْدَهُمْ ... أَخْشى عليكَ من الحَجِيجِ المُحرِمِ

ما أَنتَ إلاَّ غادَةٌ مَمْكُورةٌ ... لولا شَوارِبُكَ المُحِيطةُ بالفَمِ

وقد رُوِي أنَّ هذا الشعرَ لسعيدِ بن حُمَيدٍ[1] في عبد الله بن أَبي العلاء . وهو الصَّحيح .

فأقسمَ عليه إسحاقُ أن يُقيمَ ، فأقامَ .

وقال لي جعفرُ بن قُدامةَ ، وقد تجاذبْنا هذا الخبرَ : حدَّثني حمّادُ بن إسحاقَ ، عن أبيه : أنّ العِشْرةَ اتّصلتْ بينَ عبدِ الله وبين أحمدَ بن يوسفَ ، وتَعشَّقَهُ وأنفَقَ عليه جُملةً من المالِ ، حتّى اشتهرَ به ، فعاتبَه محمدُ بن عبدِ المَلِكِ الزيَّاتِ ، في ذلك ، فقال له : [من السريع]

1 تقدمت هذه الأبيات مع بعض اختلاف في ترجمة سعيد بن وهب منسوبة إليه في الجزء 20 : 215 .

لا تعذِلنّي يــا أَبا جَعْفرٍ عَذْلُ الأَخِلاّءِ مـن اللُّومِ
إنَّ اسْتَهُ مُشْرَبَـةٌ حُمرةً كأنَّها وَجْنَــةُ مَكْظُومِ

وقد قيل : إنَّ هذين البيتين لأحمدَ بن يوسُف في موسى بن عبد الملك .

[أبوه سقاء]

وكان بعضُ الشعراء قد أُولِعَ بعبد الله بن أبي العلاء ، يهجوه ويذكرُ أنَّ أباه أبا العلاء هو سالم السَّقّاءِ ، وفيه يقول هذا الشعرَ : [من الخفيف]

كنتُ في مَجْلسٍ أَنيقٍ جَميلٍ فأَتانــا ابـنُ سالمٍ مُخْتالا
فتَغنَّى صَوتــاً فأخطأَ فيــهِ وابتَــدا ثانيــاً فكان محالا
وابتغى خِلْعةً على ذاكَ مِنَّا فخَلَعْنا على قَفــاهُ النِّعالا

وفيه يقولُ هذا الشاعرُ ، أَنشدناه ابنُ عمّارٍ وغيرُه : [من الوافر]

إذا ابنُ أَبي العــلاءِ أُقيمَ عَنَّا فأَهــلاً بــالمُجالسِ والرَّحيقِ
قَفاهُ على أَكُفِّ الشَّرْبِ وَقْفٌ وجِلْــدةُ وَجْهِــهِ مَيدانُ رِيقِ

صوت

[من المتقارب]

أَفاطِــمَ حُيِّيــتِ بــالأَسعُدِ مَتـى عهدُنا بـكِ لا تبعُدِي
تبارَكَ ذو العَرشِ ، ماذا نَرى من الحُسْنِ في جانِبِ المسْجِدِ
فإنْ شِئْتِ آليتُ بــينَ المقا مِ والرُّكــنِ والحَجَرِ الأَسودِ
أَنْساكِ مــا دامَ عَقْـلي مَعي أَمُــدُّ بــه أَمَــدَ السَّرْمَدِ

الشعر لأُميَّة بنِ أَبي عائِذٍ[1] . والغناء لحَكَمِ الوادي ، هَزَجٌ خفيفٌ ، بإطلاق الوَتَر في مجرى الوُسْطى ، عن إسحاقَ . وفيه للأبجر ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى ، عن عمرٍو . وقال ابنُ المكّي[2] : فيه هزَجٌ ثقيلٌ بالبِنصر لعمر الوادي . وفيه لفُليح لحنٌ من رواية بَذل . ولم يذكر طريقته .

1 شرح أشعار الهذليين : 493 ، وفيه في البيت الأخير : «نسيتك» .
2 ل : ابن الكلبي

[524] ـ نسب أَميّة بن أَبي عائذ وأَخباره[1]

أُميّةُ بنُ أَبي عائذٍ العَمْريُّ ، أَحدُ بني عمرٍو بن الحارثِ بن تميمِ بن سَعْد بن هُذَيْل . شاعرٌ إسلاميٌّ من شُعراء الدّولةِ الأُمويّة . وهذا أكثرُ ما وجدتُه من نسبه في سائرِ النُّسَخِ .

[مداح لبني مروان]

وكان أُميّةُ أَحد مَدّاحِي بني مروان ؛ وله في عبدِ الملك وعبد العزيز ابنَيْ مروانَ قصائِدُ مشهورةٌ .

فذكر ابنُ الأعرابيّ وأُبو عبيدةَ جَميعاً : أنّه وَفَد إلى عبدِ العزيز إلى مصر قاصداً له وقد امتدحَه بقصيدتِه التي أوّلُها[2] : [من المتقارب]

أَلا إنَّ قَلبي مَعَ الظاعِنينا حَزِينٌ فمَن ذا يُعَزِّي الحَزِينا

فيا لَكِ مِن رَوْعَةٍ يومَ بانُوا بمَن كنتُ أَحسَبُ أَلاَّ يَبِينا

في هذين البيتين للحُسَين بن مُحْرِزٍ خفيف ثقيل ، عن الهشاميّ .

وفي هذه القصيدة يقول :

إلى سيِّد الناسِ عبدِ العزيـ ـزِ أَعْملتُ للسَّيْرِ حَرْفاً أَمُونا[3]

صُهابيّةً كعَلاةِ القُيو نِ من ضَرْبِ جَوهرٍ ما يُخْلِصُونا[4]

إذا أَزبَدَتْ من تَبارِي البطيّ خِلتَ بها خَبَلاً أو جُنُونا[5]

تَؤُمُّ النّواعِشَ والفَرْقَدَيْـ ـنِ تُنصِّب للقَصْدِ منها الجَبِينا[6]

1 ترجمة أمية بن أبي عائذ في الشعر والشعراء : 558 والإصابة 1 : 117 والخزانة 2 : 435–436 والسمط : 482 .

2 شرح أشعار الهذليين : 515–520 .

3 الحرف : الناقة الضامرة الصلبة . الأمون : التي أمن أن تكون ضعيفة .

4 صهابية : في بياضها حمرة . والعلاة : السندان . والقيون : جمع قين ، وهو الحداد . ومن ضرب جوهر : أي من خالصه .

5 بها خبلاً في شرح أشعار الهذليين : بها أخيلاً .

6 النواعش : بنات نعش .

إلى مَعــدِنِ الخيرِ عبــدِ العزيزِ   تُبلِّغُنـــا ظُلَّعـــاً قـــد حَفِينا[1]
تَــرى الأُدْمَ والعِيسَ تحـت المسُو   حِ قد عُدنَ من عَرَقِ الأَيْنِ جُونا[2]
تَسِيــرُ بمدحِــيَ عبــدَ العزيـــ   ـــزِ رُكبــانُ مكَّــةَ والمُنجِدُونا[3]
مُحَبَّــرةٌ مــن صَرِيحِ الكـــلا   مِ ليس كما لَفَّــقَ المُحْدَثــونا[4]
وكان امــرءاً سيِّــداً ماجـــداً   يُصَفِّـــي العَتِيقَ ويَنفــي الهَجِينا[5]

[تشوّقه إلى أهله]

قال : وطال مُقامُه عند عبدِ العزيز ، وكان يأنَسُ به ، ووصلَه صِلات سَنِيّةً ، فتشوّق إلى الباديةِ وإلى أهلِهِ ، فقال لعبدِ العزيز[6] : [من الطويل]

مَتى راكبٌ من أَهْلِ مصرَ وأَهْلُه   بمكَّــةَ مــن مصرَ العَشيَّةَ راجعُ
بَلى إنَّها قــد تقْطعُ الخرْقَ ضُمَّرٌ   تُبارِي السُّرى والمُعْسِفون الزعازِعُ
متى ما تُجزْهــا ابنَ مروانَ تَعْترف   بلادَ سُلَيْمَى وهي خَوصاءُ ظالِعُ[7]
وباتَتْ تؤُمُّ الدَّارَ من كلِّ جانبٍ   لتخرُجَ واشتدَّت عليها المَصارِعُ[8]
فلمّـــا رأَتْ ألاّ خُــروجَ وأَنَّما   لها مــن هَواها ما تُجِنُّ الأَضالِعُ
تَمطَّــتْ بمجدولٍ سِبَطرٍ فطالَعَتْ   وماذا مــن اللَّوحِ اليَماني تُطالِعُ[9]

فقال له عبدُ العزيز : اشتقتَ ، واللهِ ، إلى أَهلِكَ يا أُميّةُ . فقال : نعم ، والله ، أيُّها الأَميرُ ، فوَصَلَه وأَذِن له .

وممَّا يُغنَّى فيه من شعرِ أُمَيَّةَ : [من المتقارب]

---

1 ظلعاً في شرح أشعار الهذليين : ظَلّماً .
2 جون : سود .
3 شرح شعر الهذليين : وسار بمدحة . . .
4 شرح أشعار الهذليين : كما لصّق . . .
5 شرح أشعار الهذليين :
وأنت امرؤ ماجد سيد   تصفي . . . . وتنفي
6 شرح أشعار الهذليين : 531 .
7 الشطر الأول في ل وشرح أشعار الهذليين : متى ما يجوزها ابن مروان . والخوصاء : الغائرة العينين . وفي شرح أشعار الهذليين : بلاد سليم .
8 وباتت تؤم في شرح أشعار الهذليين : وباتت تروم .
9 بمجدولٍ سبطر في ل : بمجد مسبطر . والسبطر : السريع .

صوت

تَمُـــرُّ كجَنْدلــةِ المنْجَنِيـــ ـــقِ يُرْمى بها السُّورُ يومَ القتالِ
فمــاذا تُخَطْرِفُ مــن قُلَّــةٍ ومــن حَــدَبٍ وإكامٍ تَــوالي
ومــن سَيْرِهــا العَنَقُ المسْبَطِرُّ والعَجْرفيَّـــةُ بعـــد الكلاَلِ

الغناءُ لابن عائشة[1] . وقد ذُكر في أخباره مع غريبِه ، وأحادِيثَ لابن عائشةَ في معناه .

صوت

[من الطويل]

أأُمَّ نُهَيكٍ ارْفَعي الطَّرْفَ صاعِداً ولا تيأَسي أَن يُثريَ الدَّهرَ بائسُ
سيُغْنِيكِ سَيْري في البِلادِ ومَطْلَبي وبَعلُ التي لم تَخطَ في الحيِّ جالسُ
سأَكسِب مــالاً أَو تَبِيتنَّ لَيلــةً بصدرِكِ من وَجْــدٍ عليَّ وساوِسُ
ومــن يَطْلبِ المــالَ الممنَّعَ بالقَنا يَعِشْ مُثْرِياً أَو يُــودِ فيما يمارسُ

الشعر : لعبدِ الله بن أبي مَعْقِلِ الأنصاريّ[2] . والغناء : لسُلَيم ، خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطى ، عن عمرو . وقد ذكر ابن المكّيّ أن فيه لإبراهيمَ لحناً من الهزَج بالوُسْطى ، وذكر الهاشميُّ وحَبَشٌ أنّ فيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ ، وذكر حَبَشٌ أنّه لإسحاقَ .

1 تقدمت الأبيات وشرح أبي الفرج في ترجمة ابن عائشة في الجزء 2 : 142 .

2 ورد بعض هذه الأبيات في التذكرة الحمدونية 8 : 124 وهي في السمط 2 : 46 وأبيات من القصيدة نفسها سترد بعد قليل ، وفي الشعر والشعراء : 123 ، ويشار في المرجعين إلى الشاعر باسم : عبد الله بن نهيك وهو اسم جده .

[525] ـ أخبار عبد الله بن أبي معقل ونسبه

[نسبه]

هو عبدُ الله بنُ أَبي معقل بن نُهيك بن إسافِ بن عديٍّ بن زَيد بن جُشَمَ بن حارثةَ بن الحارِث بن الخَزْرَج بن عمرو ، وهو النَّبيتُ ، بن مالك بن الأوْس بن حارثة بن ثَعْلبة بن عمرٍو بن عامرِ بن حارثةَ بن امرىء القَيْس بن ثَعْلبة بن مازنِ بن الأزْدِ بن الغَوْثِ بن نَبْتِ بن مالكِ بن زيد بن كهلانَ بن سَبَأ بن يَشجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطان .

شاعر مُقِلٌّ حجازيٌّ من شُعراءِ الدّولة الأُمويّة .

وكان يقال لأبيه : مُنهِب الوَرِق . وقيل : بل جَدُّه المسمَّى بذلك ، لأَنّه كسَب مالاً ، فعجب أهلُ المدينة من كثْرتِه ، فأباحَهُمْ إيّاه فنهبوه .

[البيتان الأوّلان ليسا لجدّه]

أَخبَرني الحِرْمِيُّ بنُ أَبي العَلاءِ قال : حدَّثني أَبو بكر عبدُ الله بن جعفر بن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيريّ قال : حدَّثني جدِّي مُصْعَب[1] بن عبد الله ، عن ابن القدّاح أنّه قال : هذان البيتان ، يعني قوله : [من الطويل]

أَأُمَّ نُهَيْكٍ ارفعي الطرف صاعداً . . .

والذي بعدَه لعبدِ الله بن أبي مَعْقِل بن نُهيك بن إساف ، والناس يروونهُما لجدِّه . وليس ذلك بصحيحٍ ؛ هما لعبدِ الله .

وكان عبّادُ بن نُهيك بن إساف ، عمُّه ، أَدرك النبيَّ ﷺ ، وصَحِبَه ، وصلَّى معهُ إلى القِبلَتين ، وصلّى معه الظهرَ ، وصلَّى معه ركعتين منها إلى بيتِ المَقْدِس ، وركعتيْن إلى الكعبةِ .

وأدرك النبيَّ ، ﷺ وآلِه ، وهو شيخٌ كبيرٌ لا فضل فيه ، فوضع عنه الغَزْوَ .

وكان نُهيك بن إساف يُهاجي أبا الخَضراء الأشهليَّ في الجاهليّة . وأشعارُهما موجودةٌ في أشعارِ الأنصار .

[قومه يعادونه ليساره]

أَخبرني الحِرْمي بن أَبي العلاء قال : قال : حدَّثني عبدُ الله بن جعفرٍ عن جدِّه مُصْعَب ، عن ابنِ القدَّاح قال : كان ابنُ أَبي مَعْقِل مَحْسوداً في قومِه ، يُجاهرُونه بالعداوةِ ، ليساره

---

1 هذه الأبيات هي أبيات الشعر والشعراء التي أشرنا إليها : 123 .

وسعةِ مالِه ، ويحسدونه . وكان بَنى قصراً في بني حارثة ، وسمّاه : «مُرْغَماً» وقال له قائل : ما لَكَ ولقومِكَ ؟ فقال : ما لي إليهم ذَنْبٌ إلاّ إنّي أثريتُ وكنتُ مُعدِماً ، وبَنيْتُ مُرغَماً ، وأنكحتُ مريمَ ومريمَ ، يعني ابنتَه مريم وبنت ابنِه مريم .

فأمّا ابنتُه مريم فتزوَّجها حبيبُ بن الحكَم بن أبي العاصي بن أُميّة ، وبنتُ ابنِه مسكينِ بن عبدِ الله بن أبي مَعْقِل ، وهي مريم ، تزوَّجها محمد بن خالد بن الزُّبيرِ بن العوّام .

[مريم الكبرى والصغرى]

أَخبرني الحِرْميُّ قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي مُصْعَبٌ قال : خَطَب محمدُ بن خالد بن الزُّبير وحَبيبُ بن الحَكم بن أبي العاصي إلى عبد الله بن أبي مَعْقِل ابنتَه مريم ، فأرْغَبه حبيبٌ في الصَّداقِ فزوَّجَه إيّاها ، ثم شبَّت مريمُ بنتُ مِسكينِ بن عبد الله بن أبي معقل ، فبَرعت في الجمال . ولَقيَ محمدَ بن خالد يوماً فقال له : يا ابن خالدٍ ، إن تكن مريمُ قد فاتَتْك فقد يفعتْ مريمُ بنتُ أخيها ، وما هي بدونها في الجمال ، وقد آثرتُك بها . قال : فتزوَّجَها على عشرين ألفاً .

[يرحل طلباً للغنى]

وقال ابنُ القدَّاح : كان ابنُ أبي معقل كثيرَ الأَسفارِ في طَلَبِ الرِّزْق ، فلامَتْه امرأتُه أُمُّ نُهَيكٍ ، وهي ابنة عمّه ، على ذلك ، وقد قَدِم من مصر ، فلم يلبثْ أن قال لها : جهِّزيني إلى الكوفة ، إلى المُغيرةِ بن شُعْبَةَ ، فإنَّه صديقي وقد ولِيَها . فجهَّزته ثم قالت : لن تزالَ في أسفارِكَ هذه تتردَّدُ حتى تموتَ ، فقال لها : أو أُثْرِيَ . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

أَأُمَّ نُهيْكٍ ارْفَعي الطَّرْفَ صاعِداً ولا تيأسي أن يُثْرِيَ الدَّهرَ بائِسُ

وهي قصيدةٌ فيها ممّا يُغنَّى فيه قولُه : [من الطويل]

صوت

فلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ من عِيشةِ الفَتى وجَـدّك لم أَحفِلْ متى قام رامسُ
فمِنهنَّ تحريـكُ الكُمَيْتِ عِنانَـهُ إذا ابتـدَر النَّهبَ البعيدَ الفوارسُ
ومِنهُنَّ سَبْـقُ العاذِلاتِ بشَربـةٍ كأَنَّ أَخاها ، وهو يقْظانُ ، ناعِسُ
ومنهنّ تجريـدُ الأَوانِس كالدُّمَى إذا ابتزَّ عَـنْ أَكفالِهِـنَّ الملابسُ

الغناءُ في هذه الأبياتِ : لمقاسة بن ناصِح ، ثقيل أوّل بالبِنصرِ . وفيها للحُسَين بن مُحْرِز خفيفُ ثقيل من جامع أغانيه . وهو لحنٌ معروفٌ مشهورٌ .

قال ابن القدّاح : ثم قَدِم المدينةَ ، فلم يزل مُقيماً بها حتى ولِيَ مُصعبُ بنُ الزُّبير العراقَ ، فوفَد إليه ابن أبي مَعْقِل ، ولَقِيَه ، فدخل إليه يوماً وهو يندبُ الناسَ إلى غزوة زَرَنج ويقول : مَن لها ؟

[يصيب مالاً من غزوة زرنج]

فوَثب عبد الله أبي مَعْقِل وقال[1] : أنا لها : فقال له : اجْلس ، ثم ندَب الناس ، فانتَدبَ لها مرّةً ثانيةً ، فقال له مُصْعَبٌ : اجلس ، ثم ندَبهم ثالثةً ، فقال له عبدُ الله : أنا لها ، فقال له : اجلس . فقال له : أَدْنني إليكَ حتى أُكلِّمَكَ ، فأدناه ، فقال : قد علمت أنّه ما يمنعُكَ منّي إلاّ أنّكَ تعرفُني ، ولو انتدَب إليها رجلٌ ممّن لا تعرفه لبعثته ، فلعلَّك تحسُدني أن أُصيبَ خيراً أو أُستشْهد فأستريح من الدُّنيا وطلبِها . فأعجبَه قولُه وجزالتُه فولاّه ، فأصابَ في وجهِه ذلكَ مالاً كثيراً ، وانصرف إلى المدينة ، فقال لزوجته : ألَم أُخْبرك في شعري أنّه : [من الطويل]

سيُغنِيكِ سَيْرِي في البلادِ ومَطلَبي ... وبَعلُ التي لم تَحْظَ في الحيِّ جالسُ

فقالتْ : بلى واللهِ ، لقد أخبرتني وصدَق خبرُك .

قال : وفي هذه الغَزاةِ يقول ابنُ قيس الرقيّات[2] : [من الخفيف]

صوت

إن يَعِشْ مُصْعَبٌ فنحنُ بخير قد ... أَتانــا من عيشِنا مـا نُرَجِّي
مَلِكٌ يُطعِـمُ الطّعـامَ ويَسقِي ... لَبَن البُخْتِ في عِساسِ الخَلَنْجِ
جَلَب الخيلَ مـن تِهامَة حَتَّى ... بلغَتْ خَيْلُــه قُصورَ زَرَنجِ[3]

صوت

[من البسيط]

يَقتُلْنَنا بحَدِيــثٍ ليس يَعلمُــه ... مَنْ يَتَّقِينَ ولا مكْنونُـهُ بادِي
فهُنَّ ينْبِذْنَ مــن قولٍ يُصِبْن به ... مواقعَ الماءِ من ذِي الغُلَّةِ الصَّادِي

الشعر : للقُطاميّ[4] . والغناء : لإسحاق . خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى وفيه رمل مجهول .

---

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 8 : 124-125 .

2 ديوان ابن قيس الرقيات : 180 .

3 زرنج : قصبة سجستان .

4 ديوان القطامي : 81 .

[526] ـ ذكر نسب القطامي وأخباره[1]

[نسبه]

القُطاميّ لَقَبٌ غَلَب عليه ، واسمُه عُمَيْر بن شُيَيم ، وكان نصرانيّاً ، وهو شاعر إسلاميٌّ مُقِلّ مُجيدٌ .

[الأخطل يفضله على نفسه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكرانيّ قال : حَدَّثنا العُمَرِيُّ ، عن الهيثم بن عَديٍّ ، عن عبد الله بن عيّاش ، عن مُجالد ، عن الشَّعبيّ قال : قال عبدُ الملِكِ بن مروان ، وأنا حاضرٌ ، للأخطل : يا أخطلُ ، أتُحِبُّ أنّ لكَ بشعرِك شعرَ شاعر من العربِ ؟ قال : اللهمَّ لا ، إلاّ شاعراً منّا مُغْدَفَ القناع[2] ، خامِلَ الذِّكر ، حديث السِّنّ ، إن يكنْ في أحدٍ خيرٌ فسيكون فيه ، ولودِدْتُ أنّي سبقْتُه إلى قوله : [من البسيط]

يَقْتُلْنَنا بحديثٍ ليس يَعْلمُه مَنْ يتّقينَ ولا مَكنونُه بادِي

فهُنَّ ينبذْنَ مِن قولٍ يُصِبْنَ به مَواقعَ الماءِ من ذي الغُلّةِ الصّادي

[تلقيبه بصريع الغواني]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ ، قال : حدّثنا محمد بن صالح بن النَّطّاح قال : القُطاميُّ أوّلُ مَن لُقِّب «صريع الغواني» بقوله : [من الطويل]

صَريعِ غَوانٍ راقَهُنَّ ورُقْنَه لَدُنْ شبَّ حتى شابَ سُودُ الذّوائبِ

[هجاء محاربيه]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : نزل القطاميُّ في بعضِ أسفارِه بامرأةٍ من مُحاربِ قيسٍ ، فنسَبها ، فقالت : أنا من قوم يشتَوُون القَدّ من الجُوع ، قال : ومَن هؤلاء ويحَكِ ؟ قالت : مُحارِبٌ ، ولم تَقْرِه ، فبات عندها بأسوأ ليلةٍ ، فقال فيها قصيدةً أوّلُها[3] : [من الطويل]

1 ترجمة القطامي في الشعر والشعراء : 609 وخزانة البغدادي 12 : 370–371 والمؤتلف : 251 ومعجم المرزباني : 73–74 وطبقات ابن سلام : 534–540 وانظر بروكلمان 1 : 236–237 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد نشر ديوانه بارث (ليدن ـ 1902) وطبع مرة أخرى بتحقيق السامرائي ومطلوب ، وإلى هذه الطبعة نشير .

2 مغدف القناع : قناعه مرسل على وجهه .

3 ديوان القطامي : 42–47 .

نأتْكَ بليلى نِيَّةٌ لم تُقارِبِ ... وما حُبُّ ليلى من فُؤادِي بِذاهِبِ

يقول فيها :

ولا بُدَّ أنَّ الضيفَ يُخبِرُ ما رأى ... مُخَبِّرُ أهلٍ أو مُخَبِّرُ صاحِبِ
سأُخبِرُكَ الأنباءَ عن أُمِّ منزلٍ ... تَضيَّفتُها بين العُذَيبِ فراسِبِ[1]
تَلفَّفْتُ في طَلٍّ وريحٍ تَلُفُّني ... وفي طِرْمِساءَ غيرِ ذاتِ كواكبِ[2]
إلى حَيْزبونٍ تُوقِدُ النارَ بعدَما ... تَلَفَّعَتِ الظَّلْماءُ من كلِّ جانبِ
تَصلّى بها بَرْدَ العِشاء ولم تَكُنْ ... تَخالُ وَمِيضَ النّارِ يَبْدُو لراكبِ[3]
فما راعَها إلاّ بُغامُ مَطِيَّةٍ ... تُريحُ بمحْسورٍ من الصَّوتِ لاغِبِ[4]
تقولُ وقد قرَّبْتُ كُورِي وناقتي ... إليكَ فلا تَذْعَرْ عَليَّ رِكائِبي
فلمّا تنازَعْنا الحديثَ سألْتُها : ... مَن الحيُّ قالت : مَعْشَرٌ من مُحارِبِ
من المُشْتَوِينَ القِدَّ مِمَّا تَراهُمُ ... جِياعاً وريفُ النّاسِ ليس بِعازِبِ[5]
فلمّا بَدا حِرْمانُها الضَّيفَ لم يكنْ ... عليَّ مُناخُ السَّوْءِ ضَرْبَةَ لازِبِ

[قصيدة رفعت ذكره]

قال أبو عمرو بن العَلاء : أوّل ما حَرَّك من القُطاميّ ورفَع من ذِكرِه أنّه قَدِم في خلافةِ الوليدِ بن عبد المَلِك دمشقَ ليمدَحه ، فقيل له : إنّه بخيلٌ لا يُعطي الشُّعراءَ . وقيل : بل قَدِمَها في خلافة عُمَر بن عبد العزيز ، فقيل له : إنّ الشعر لا يَنْفُق عند هذا ولا يُعطي عليه شيئاً ، وهذا عبدُ الواحد بن سُليمان بن عبد الملك فامتدِحْه ، فمدَحَه بقصيدته التي أوّلها[6] : [من البسيط]

إنّا مُحيُّوكَ فاسلمَ أيُّها الطَّلَلُ ... وإنْ بَليتَ وإن طالَتْ بِكَ الطِّيَلُ[7]

فقال له : كم أمَّلْتَ من أميرِ المؤمنين ؟ قال : أمَّلْتُ أن يُعطيَني ثلاثين ناقةً . فقال : قد

---

1 سأخبرُك في الديوان : لمخبرك . والعذيب وراسب : موضعان .
2 الطرمساء : الظلمة الشديدة .
3 وميض في الديوان : وبيص . والوبيص : البريق .
4 مطية في الديوان : مطيتي .
5 القد : جلد ولد الناقة ساعة يولد ويشوى ويؤكل في الجدب . الديوان : وريف الناس ليس بناضبِ .
6 الديوان : 23–30 .
7 الطيل : الدهر .

أُمرتُ لكَ بخمسين ناقةً مُوقَرةً بُرّاً وتمراً وثياباً ، ثم أَمَرَ بدفع ذلك إليه .

وفي أوّل هذه القصيدة غناءٌ نسبته : [من البسيط]

صوت

إنّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ وإنْ بَليتَ وإنْ طالَتْ بِكَ الطِّيَلُ
يَمْشِينَ رَهواً فلا الأَعجازُ خاذلةٌ ولا الصُّدورُ على الأَعجازِ تَتَّكِلُ[1]

الغناء لسُليم ، هزج بالبِنصر . وقيل : إنّه لغيره .

[أشعر الناس]

أخبرني ابنُ عَمّار قال : حدّثنا محمد بن عبّاد قال : قال أبو عمرو الشّيبانيّ : لو قال القُطاميُّ بيتَه : [من البسيط]

يَمْشِينَ رَهواً فلا الأَعجازُ خاذلةٌ ولا الصدورُ عَلى الأَعجازِ تَتَّكِلُ

في صفة النساء لكان أشْعَرَ الناس .

ولو قال كُثيِّرٌ[2] : [من الطويل]

فقلتُ لها : يا عزُّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

في مرثية أو صفةِ حَرْب لكان أشعر النّاس .

[بين الابطاء والعجلة]

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحْظة قال : حدّثني مَيْمونُ بن هارون قال : حدّثني رجلٌ كان يُديم الأَسفارَ ، قال : سافرتُ مَرّةً إلى الشّام على طريق البَرّ ، فجعلتُ أتمثّل بقول القُطاميّ : [من البسيط]

قد يُدرِكُ المُتأنّي بعضَ حاجَتِهِ وقد يكونُ مع المُستَعجِلِ الزَّلَلُ

ومعي أعرابيٌّ قد استأجرت منه مَرْكَبي ، فقال : ما زاد قائلُ هذا الشعرِ على أن ثَبَّطَ النّاسَ عن الحَزْم ، فهلاّ قال بعدَ بيته هذا :

ورُبَّما ضَرَّ بعضَ الناسِ بُطْؤُهُمُ وكان خيراً لَهُمْ لو أنَّهُمْ عَجِلُوا

[غارة زفر على المصيخ]

وكان السببُ في أَسْر القطاميّ ، على ما حَكاه مَن ذكَرْنا ، وذكر ابن الكلبيّ عن عُرامِ بن

1 رهواً : برفق . والبيت في وصف الإبل .
2 ديوان كثير : 97 .

حازمِ بن عطيَّة الكلبيِّ قال : أغار زُفَرُ بن الحارث على أهل المُصَيَّخ ، وبه جماعةٌ من الحاجّ وغيرِهم ، وقد أصابَ أوّل النّهارِ أهلَ ماءٍ يقال له : حَصْف ، وفيه سيِّدُ بني الجُلاحِ مَصاد بنُ المُغيرة بن أبي جَبلة ، فأسره . فأتى به قَرْقيسيا ، ثم مَنَّ عليه ، وقتَل عفيفَ بن حسَّان بن حُصَيْن من بني الجُلاحِ . ثم مضى زُفَر إلى المُصيّخ فاجتمع مَن بها إلى عُمَير بن حسّان بن عُمر بن جَبلة فامتنعوا . فقال لهم زُفَرُ : إنّي لا أُريد دماءَكم ، فأَعْطُوا بأيديكم . فأبَوْا وقاتلوا فقُتل منهم جماعةٌ كثيرةٌ ، وقُتِلَ معهم رجُلانِ من تَغْلِبَ ، يقال لأحدهما : جسَّاس ، والآخر غَنيّ ، وهو أبو جسَّاسٍ . وقد قالت له امرأتُه : يا أبا جسَّاسٍ ، هؤلاء قومُكَ فأْتِهم حين اجتمعوا وامتنعوا ، فقال : اليومَ نزاريٌّ وأمس كلبيٌّ ! ما أنا بمُفارقهم . فقاتَل حتّى قُتِل ، فكانت القتلى يوم المُصيّخ من كلْبٍ ثمانيةَ عشر رجلاً والتّغلَبيِّين ، وبقي الماءُ ليس فيه إلاّ النّساء . فلمّا انصرفَ عنهمُ زُفَرُ أراد النساءُ أن يجرُرْنَ القتلى إلى بئرٍ يقالُ لها : كوكب . فلمّا أردْنَ أن يجرُرْنَ رجُلاً قالت وليّتُه من النِّساء : لا يكونُ فلانٌ تحت رجالِكُنَّ كلِّهم . فأتَتْ أُمُّ عميرِ بن حسّان ، وهي كيِّسةُ بنتُ أُبيٍّ ، فأعْلقت في رِجْلِه رداءَها ، ثم قالت : اجسرُ عُميرُ فإنّ أباك كان جَسُوراً ؛ ثم ألقَتْ عليه التُّرابَ والحَطَبَ ليكونَ بينَه وبين أصحابه شيءٌ . ثم جعلْن كلّما ألقَيْن رجلاً ألقَيْن عليه التُّرابَ والحَطَب حتى وارتهم القليب . ولمّا بلغَ حُميدَ بن حُرَيْث بن بَحْدَلٍ ما لَقيَ قومُهُ أقبل حتى أتى تدْمُر ليجمع أصحابه ، وليغير على قيس . فلمّا وقعت الدِّماء نهض بنو نُميرٍ ، وهم يومئذٍ ببطن الجبل ، وهُو على مياهٍ لهم ، إلى حُميد بن حُرَيْث بن بَحْدَلٍ ، حتى قدِمَ وراءَهُ يتهيّأُ للغارة ، واجتمعت إليه كلبٌ ، وقالوا له : إن كنت تُبْرِئُنا ببراءَتِنا ، وتعرف جوارنا أقَمْنا ، وإن كنت تتخوّفُ علينا من قومِكَ شيئاً لحِقْنا بقومِنا . فقال : أتُريدون أن تكونوا أدِلاَّءَهُمْ حتى تنجليَ هذه الفِتْنَةُ ؟ فاحتبسهُمْ فيها ، وخليفتُه في تَدْمُر رجلٌ من كلبٍ يقال له : مَطَر بن عوص ، وكان فاتِكاً ؛ فأراد حُمَيداً عَلى قتلِهم ، فأبى وكَرِهَ الدِّماءَ . فلمّا سار حُميدٌ ، وقد عاد زُفَرُ أيضاً مُغيراً ، ليَرُدَّه عمّا يريدُه ، فنزل قريةً له ، وبلغهُ مَسيرُ زُفَر فاغتاظ وأخذ في التّعبئة . فأتاه مطرٌ وكان خرج معه مُشيِّعاً له انتهازاً لدماءِ الذين في يده من النُّميريِّين ، فقال : ما أصْنَعُ بهؤلاء الأسارى الذين في يدي وقد قُتِلَ أهل مُصيخ ؟ فقال وهو لا يَعْقِلُ من الوَجْدِ : اذهَبْ فاقتُلْهم . فخرج مطرٌ يركضُ إلى تدمر ، تخوُّفَ ألاّ يبدوا له ، فلمّا أتى تدمر قتلَهُم . وانتبه حُميدٌ بعد ذلك بساعةٍ فقال : أينَ مطرٌ حتى أُوصِيَهُ ؟ قالوا : انصرف ، قال : أدْرِكُوا عدوَّ الله ، فإنّي أخافُ على مَن بيده من النُّميريِّينَ .

وبعث فارساً يركُضُ يمنعُ مَطراً عن قتلِهم ، فأتاه وقد قَتَل كلَّ مَن كان في يدِهِ من الأسْرى

إلاَّ رجُلَيْن ، وكانوا ستِّين رجُلاً ، فلما بلَّغه الرّسول رسالةَ حُميدٍ قال النُّميريّان الباقيانِ : خلٍّ عنّا فقد أُمِرتَ بتخْلِيةِ سَبيلنا . فقال : أبعد أهلِ المصيَّخ ! لا والله لا تُخبِّرانِ عنْهُمْ ، ثم قتَلَهما . فلمّا بلغ زُفرَ قتلُ النُّميريّيْن بسط يدَه على كلِّ مَن أدركَ من كلْبٍ ، واستحلَّ الدِّماء ، وأخذ في وادٍ يقال له وادي الجيوشِ ، وقد انتشرتْ به كلبٌ للصَّيد ، فلم يُدْرِك به أحداً إلاّ قتلَهُ ، فقتَل أكثر من خمسمائةٍ ، ولَم يلقه حُميد . ثم انصرف إلى قرقيسياء .

وذكر بعضُ بني نُمَيرٍ أنّ زُفَر أغار على كلْبٍ يوم حَفِير ويوم المُصيَّخ ويوم الفَرْس ، فقتَل منهم أكثر من ألفِ رجُلٍ . قال : وأغار عليهم زفرُ في يوم الإكلِيل فقتل منهم مَقْتلةً عظيمةً ، واستاق نعماً كثيرةً .

وذكر عرّام قال : قتَل زُفَر يوم الإكْليل جُبَيْر بن ثَعلَبة من بني الجُلاح ، وحَسَّان بن حُصَين من بني الجُلاح ، ومحمد بنَ طُفَيْل بن مُطَير بن أبي جَبَلة ، وعمرو بن حسَّان بن عَوْف من بني الجلاح ، ومحمد بن جَبَلة بن عَوْف ، أخوان لأمّ . وقالت امرأة من بني كلب تَرْثيهم : [من السريع]

أَبعدَ مَن دَلَّيْتِ في كَوْكَبٍ يا نفسُ تَرْجِين ثَواءَ الرِّجالْ

[غارات ابن الحباب]

قال لقيط : أخبرني بعضُ بني نمير قال : أغار عُمَيرُ بن الحُباب على كلْبٍ فأصابهُمْ يومَ الغُوَيْر ويَوم الهُبل ويوم كآبة . فأمّا يومُ الغُوير فإنَّه أرسل رجُلاً من بني نُمَيْرٍ يقال له كُلَيب بن سَلَمة عيناً له ، ليعْلم له عِلْمَ ابن بَحْدَل ، وكانت أُمُّ النمَيْريّ كلبيّةً ، فكانت تتكلَّم بكلامِهم ، فكان الحُسام بن سالم طريداً فيهم فنذِروا به فقتَلُوه وأخذوا فرسه ، فلَقِيَ كُلَيبُ ابن سَلمة رجلاً من بني كلبٍ فعَرفه ، فقال : مِن أين جئتَ ؟ فقال : من عندِ الأميرِ حُمَيد بن حُرَيث ، قال : وأينَ تركته ؟ قال : بمكان كذا وكذا ، قال كليبٌ : كذبتَ ! أنا أحدَثُ به عهداً منكَ ، قال : فأين تركته أنتَ ؟ قال بغُوير الضبع ، قال : لكنّي فارقته أمس ، فخرج النُّميريُّ يسوقُ الكلبيَّ إلى أصحابِه ، قال : فوالله إنِّي لو أشاءُ أن أقتله لقتلْته ، أو آخذه لأخذتُه ، فخرجَ يسوقُه ، حتّى إذا نظر إلى القوم أنكرهم ، فقال : والله ما أرى هؤلاء أصحابنا . قال : ويستدبرهُ النُّميْريّ فيَطْعُنه عند ناغض[1] كتفِه اليمنى ، حتى أخرج السِّنانَ من حَلمَة الثّدْي ، وأخطأ المقتَلَ ، وحرَّكَ الكلبيُّ فرسَه مُوَلِّياً ، فاتّبَعتْه الخيلُ حتى يدفع إلى ابن بَحْدلٍ فانهزم . فقتلوا من كلب مقتلة عظيمة ، واتّبع عُمَيرٌ بن بَحدل فجعل يقول لفرسِه : [من الرجز]

---

1 ناغض : أصل العنق .

أَقْدِمْ صِدامُ إنّـهُ ابنُ بَحْدَلْ[1]
لا تُدْرِكِ الخيلَ وأنتَ تَدْأَلْ[2]
ألاّ تمـرَّ مثـلَ مَـرِّ الأَجدلْ[3]

قال : فمضى حُمَيْدٌ حتى يَدفَع إلى الغُوَيرِ[4] ، وقد كاد الرُّمْح ينالُه ، فانطَلَقَ يُريدُ الباب ، فطعَـن عميرٌ البابَ وكسر رُمْحَه فيه ، فلم يُفْلِت من تلك الخيلِ غيرُ حُمَيدٍ وشبلِ بن الخيتار . فلمّا بلغ ذلك بشرَ بنَ مروانَ قال لخالدِ بن يزيدَ بن معاوية : كيف ترى خالي طَرَدَ خالَك ؟ .

وقال عُمَيْرٌ : [من الطويل]

وَأفلتَنا ركْضاً حُمَيدُ بن بَحْـدلٍ ... عـلى سابحٍ غَـوْج اللَّبانِ مُثابرِ[5]
ونحنُ جَلبْنا الخيلَ قُبّـاً شَوازِباً ... دِقاقَ الهوادِي داميـاتِ الدَّوابرِ[6]
إذا انتقصَتْ من شأْوِه الخيلُ خلفَه ... تَرامى بـه فوقَ الرِّماح الشواجِرِ
تُسائلُ عـن حَيَّـيْ رُفيدةَ بعدَما ... قَضَتْ وَطـراً من عَبْد وُدٍّ وعامِرِ

وقال شِبْل بن الخَيتار : [من البسيط]

نجَّـى الحُسامِيَّـةَ الكَبْداءَ مُبْتَرِكٌ ... من جَريها وحَثِيثُ الشدِّ مَذعورُ[7]
من بعدِ مـا التثق السِّربالَ طَعْنَتُه ... كأنّـه بنَجيـع الوَرْسِ ممكـورُ[8]
ولّـى حُمَيـد ولم يَنْظُـرْ فوارسَهُ ... قَبْـلَ التَّقِـرَّة والمغـرورُ مغرورُ[9]
فقد جَزِعتُ غَداةَ الروْع إذ لقِحتْ ... أبطالُ قيسٍ عليها البَيضُ مَشْجورُ[10]
يَهـدِي أوائِلَهـا سمـحٌ خلائِقُـهُ ... ماضي العِنانِ على الأعداء منصورُ

---

1 صدام : اسم الفرس .
2 يدأل : يقارب الخطو بتثاقل .
3 والأجدل : الصقر .
4 الغوير : ماء لبني كلب في السماوة .
5 غوج اللبان : واسع جلدة الصدر .
6 قب : ضامرة البطون . والشوازب : الضامرة من غير هزال .
7 مبترك : سريع .
8 التثق : ابتل . وممكور : مصبوغ .
9 التقرة : الثبات والسكون .
10 مشجور : مربوط .

يَخْرجْنَ من بَرَض الإكْلِيل طالِعةً ... كأنَّهـنَّ جَـرادُ الحَـرَّةِ الزُّورُ[1]

وذكر زِيادُ بن يزيد بن عُمَيرِ بن الحُباب ، عن أشياخ قومِه ، قال : أغار عميرُ بن الحُباب على كلْبٍ ، فلقِيَ جمعاً لهم بالإكْليل في سِتّمائة أو سبعمائة ، فقتل منهم فأكثرَ ، فقالت هند الجُلاحيّة تُحرِّضُ كلباً : [من الوافر]

أَلا هـل ثائِـرٌ بدمـاء قـومٍ ... أَصابَهُـمُ عُميرُ بـن الحُبابِ
وهَـل في عامِرٍ يومـاً نَكِيرٌ ... وحَيّـيْ عَبـدِ وُدٍّ أو جَنابِ
فإن لم يَثأَرُوا مَنْ قـد أُصابُوا ... فكانُـوا أَعْبُداً لبنـي كِلابِ
أَبعدَ بني الجُلاحِ ومَن تركتُمْ ... بجانِبِ كوكبٍ تحتَ الترابِ
تطِيبُ لغائـرٍ منكـم حيـاةٌ ... أَلا لا عيشَ للحـيِّ المُصابِ

فاجتمعوا فقاتلهم عُمَيْرٌ ، وأصاب فيهم ، ثم أغار فلقِيَ جمعاً منهم بالجوْفِ فقتلهم ، ثم أغار عليهم بالسّماوةِ فقتل منهم مَقتلة عظيمة ، فقال عُمَيرٌ : [من الوافر]

أَلا يـا هِنْدُ هندَ بنـي الجُلاحِ ... سُقِيتِ الغيثَ من قُلَلِ السَّحابِ
أَلَمَّـا تُخبَري عنَّـا بأنَّـا ... نرُدُّ الكبشَ أَعْضبَ في تَبابِ
أَلا يـا هنـدُ لـو عاينْتِ يوماً ... لقَومِكِ لامْتَنَعْتِ من الشَّرابِ
غَداةَ نَدُوسُهُم بالخيلِ حتَّى ... أَبادَ القتـلُ حَـيَّ بني جَنابِ
ولـو عَطَفَـتْ مواساةٌ حُميداً ... لغُـودِرَ شِلْوُهُ جَـزَرَ الذِّئابِ

وذكر زِيادُ بن يزيد بن عُمَيْرِ بن الحُباب ، عن أشياخِ قومه ، قال : خرج عُميرٌ فأغار على قومه أيضاً يومَ الغُوَيْر ، فلمّا دنا من الغُوَيْرِ وصار بين حُمَيد ودمشقَ دعا رجلاً من بني نُمَيْرٍ ، وقال له : سِرِ الآنَ حتى تأتي حُميدَ بن بَحْدَلٍ ، فقُل له : أجِبْ ، فإن قال : مَن ؟ فقل : صاحِب عَقْدٍ خرجَ قبل ذلك بيومين من دمشق ، فإن جاءَ معك فلا تَهِجْهُ حتى تأتيَني به ، فنكونَ نحن الذين نلي منه ما نريدُ أن نَلِيَ ، فإنّه إن رَكِب الحُساميَّة لم يُدْرك . فأتـاه النميريُّ فقال : أجِبْ ، فقال : ومَنْ ؟ قال : فلانَ بن فلانٍ صاحبَ العَقْدِ . قال : فركِب ابنُ بَحْدَل الحُساميّةَ . ثم خرج يسيرُ في أثَرِ النُّميريِّ ، حتى طَلَع النميريُّ على عُمَيْرٍ ، فقال النُّميريُّ في نفسِه : أَقتُلُه أنا أحبُّ إليَّ من أن يقتُلَه عمَيرٌ لقتلِه الحُسامَ بنَ سالمٍ . فعطف عليه ، وولّى حُميدٌ ، واتّبعَهُ عميرٌ وأصحابه ، وتَرَكَ العسكر ، وأمرهُم عميرٌ أن يميلوا إلى القوم ، فذلك

1 البرض : ما يخرج قليلاً . والزور : مائلة الرقاب .

حيثُ يقول لفرسِهِ :

أَقدم صِدامُ إنَّه ابنُ بحدلْ

فاستباح عسكر ابن بحدل وانصرف .

ثم أغار عليهم يومَ دهمان كما ذكر عَوْنُ بن حارثة بنِ عديّ بنِ جَبَلة أحد بني زُهَيْرٍ عن أبيه ، قال : أغارَ عُميرٌ على كَلْبٍ ، فأخذ الأموالَ ، وقتل الرِّجالَ ، وبلغ ابنَ بحدلٍ مخرجُه من الجزيرة ، فجمع له ، ثم خرج يعارضُه ، حتى إذا دنا منهم بعث العينَ يأخُذُ لهم أثَرَ القوم . فأتاهُ العينُ فأخبره أنّ عميْراً قد أتى دُهمانَ فاستباح فيهم ، ثم خلَّف عسكره وخرج هو في طلب قوم قد سمع بهم ، فقال حميدٌ لأصحابه : تهيّئوا للبياتِ ، وليكن شِعارُكم : «نحن عِبادُ اللهِ حقّاً حقّاً» . فبيَّتَهُم فقتل فيهم فأوجَعَ . وانقلب عُميرٌ حين أصبحَ ، إلى عسكره ، حتى إذا أشرف على عسكرِه رأى ما أنكرهُ من كَثْرةِ السَّوادِ ، فقال لأصحابه : إنِّي أرى شيئاً ما أعرفُه ، وما هو بالذي خلَّفنا ، فلمّا رآهم ابنُ بَحْدلٍ قال لأصحابه : احملوا عليهم ، فقتل من الفريقين جميعاً ، فقال ابن مِخْلاة : [من الطويل]

لقد طار في الآفاقِ أنَّ ابنَ بحْدَلٍ حُمَيْداً شَفى كلباً فقرَّت عيونُها

وقال مُنْذِر بن حسّان : [من الوافر]

وباديـةِ الجواعِـرِ مـن نُمَيرٍ تُنـادي وهْـيَ سافرةُ النِّقابِ
تنادِي بالجزيرةِ : يـا لقَيْسٍ وقيسٌ بئسَ فِتيـانُ الضِّرابِ
قَتَلنا مِنْهُـم مائتَيـنِ صَبْراً وأَلفـاً بالتِّـلاعِ وبالرَّوابي
وأَفلَتَنا هَجِـينُ بنـي سُليـمٍ يُفَدِّي المُهْرَ من حُبِّ الإيابِ
فلـولا اللهُ والمُهْـرُ المُفَـدَّى لغُودِرَ وَهْـو غِربالُ الإهابِ

ثم سار عُمَيرٌ ، وجمعَ لهم أكثر ممّا كان تجمَّع ، فأغار عليهم ، فقَتل منهم مَقْتَلةً ، واستاق الغنائمَ وسَبى . فلمّا سَمِعت كلبٌ بإيقاعِهِ تحمَّلت من منازِلها هاربةً منه ، فلم يَبْقَ منهم أحدٌ في موضع يقْدِر عُميرٌ على الغارة عليه إلاّ أن يخوضَ إليهم غيرَهم من الأحياء ، ويخلِّفَ مدائِنَ الشامِ خلفَ ظهرِه ، وصارُوا جميعاً إلى الغُوَيْر ، فقال عُميرٌ في ذلك : [من الرجز]

بَشِّرْ بنـي القَيْنِ بطعنٍ شَرْجِ يُشْبِعُ أَولادَ الضِّباع العُرْجِ[1]
مـا زال إمرارِي لهمْ ونَسْجِي وَعُقْبَتي للكُـورِ بعـد السَّرْجِ

---

1 طعن شرج : طعن يسيل الدماء .

حتّـى اتَّقَوْني بالظُّهورِ الفُلْـجِ ... هـل أُجْزِيَنْ يوماً بيوم المَرْجِ

ويـومِ دُهمانَ ويـومِ هَرْجِ

وقال رجلٌ من نُمَيْرٍ : [من الوافر]

أَخذتُ نِساءَ عبدِ اللهِ قهـراً ... وما أعفيتُ نِسوةَ آلِ كلبِ

صَبَحْناهــم بِخَيـلٍ مُقْرَباتٍ ... وَطَعْنٍ لا كِفاءَ لـه وضَرْبِ[1]

يُبَكِّينَ ابنَ عمرو وهـو تَسْفي ... عليـهِ الرِّيحُ تُرْبـاً بعـد تربِ

وسعدٌ قـد دَنـا منـه حِمامٌ ... بأسمرَ من رماحِ الخَطِّ صُلْبِ

وَقـد قالَـتْ أُمامةُ إذ رأَتْني ... بُلِيتُ وَما لُقيتُ لِقاءَ صَحْبِ

وَقـد فقـدَتْ معانقَتي زَماناً ... وَشَدَّ المِعْصمَينِ فُوَيْـقَ حَقْبِ

لقـد بُدِّلتَ بَعْدِي وَجْهَ سَوْءٍ ... وآثـاراً بجِلْدِكَ يـا ابنَ كعْبِ

فقلْتُ لهـا كذلكِ مِنْ يُلاقي ... عِتاقَ الخَيْلِ تحملُ كلَّ صَعْبِ

وقال المُجير بن أَسْلم القُشَيْريّ : [من الخفيف]

أَصبَحـتْ أُمُّ مَعْمـرٍ عَذَلَتني ... في رُكوبي إلى مُنادي الصَّباحِ

فدَعِيني أُفيـدُ قوْمَكِ مَجْداً ... تَندُبيني بـه لَـدى الأنواحِ

كلَّ حَيٍّ أذقْتُ نُعمى وَبُؤسى ... بنـي عامِـر الطِّـوالِ الرِّماحِ

وصَدمنا كلْبـاً فَبَيْنَ قتيـلٍ ... أو سليبٍ مُشَرَّدٍ مـن جراحِ

وأَتَوْنا بكـلِّ أجـردَ صافٍ ... ورجـالٍ مُعَـدَّةٍ وسلاحِ

وقال أيضاً : [من الوافر]

أَبْلِغْ عامِـراً عنّـي رسولاً ... وأَبْلغْ إن عَرَضْتَ بَني جَنابِ

هَلُـمَّ إلى جيـادٍ مُضْمراتٍ ... وَبِيضٍ لا تُفَـلُّ مـن الضِّرابِ

وسُمْرٍ في المَهَزَّةِ ذاتِ لِـينٍ ... نُقيمُ بهِنَّ مِـنْ صَعَرِ الرِّقابِ

إذا حَشَدتْ سُليمٌ حَولَ بيتي ... وَعامِرُها المركَّبُ في النِّصابِ

فمَن هـذا يُقاربُ فخرَ قومي ... وَمَنْ هذا الذي يَرْجُو اغْتصابي؟

وقال زُفَرُ بن الحارثِ : [من الكامل]

1 الخيل المقربات : التي تقرب معالفها ومرابطها لكرامتها .

يا كلبُ قـد كَلِب الزّمانُ عليكمُ وَأَصابكُـم منّـي عـذابٌ مُرسَلُ
أَيَهُولُنا يـا كلـبُ أَصْدقُ شِدَّةٍ يـومَ اللِّقـاء أَم الهُوَيـلُ الأَوَّلُ
إنَّ السَّماوَةَ لا سَماوَة فالْحقي بالغَوْرِ فالأفحـاصِ بِئْسَ المَوْئِلُ
فجَنُوب عَكَّـا فالسَّواحِـلِ إنَّها أَرضٌ تَـذُوبُ بها اللِّقاحُ وَتُهزَلُ
أَرْضُ المذلَّـةِ حيثُ عَقَّتْ أُمُّكم وأَبُـوكُمُ أَوْ حيثُ مُـزِّع بَحْدَلُ[1]

وقال عُمير بن الحُباب : [من الوافر]

ورَدْنَ على الغُوَير غُويـرِ كلْبٍ كأَنَّ عُيونهـا قُلُـبُ انتزاحِ
أَقَرَّ العَيْـنَ مَصْرعُ عبدِ وُدٍّ وَما لاقَتْ سَراةُ بني الجُلاحِ
وقائمـةٍ تُنـادِي يـا لَكلْبٍ وكَلْبٌ بئْسَ فِتيـانُ الصَّباحِ

وقال عُمَيْر أيضاً : [من الطويل]

وكلْبٌ تركْنا جمعَهمْ بينَ هاربٍ حِذارَ المَنايـا أَوْ قَتيلٍ مُجَدَّلِ
وأفلَتنـا لَمّـا التقَينـا بِعاقِدٍ على سابحٍ عند الجِراء ابنُ بَحْدلِ
وأُقْسِمُ لَـو لاقَيْتُـه لعَلَوْتُـه بأَبيَضَ قَطّاعِ الضَّرِيبَةِ مِقْصَلِ

وقال عُمير أيضاً : [من الطويل]

وكلباً تركْناهُـمْ فلولاً أذِلَّةً أَدرْنا عليهمْ مثلَ راغيةِ البَكْرِ[2]

وقال جهمٌ القُشَيريّ : [من السريع]

يا كلْبُ مَهْلاً عـن بني عامرٍ فليس فيهـا الجَـدُّ بالعاثِرِ
وَلَّى حُمَيدٌ وَهـو في كُرْبَـةٍ عـلى طويـلٍ متنُـهُ ضامِرِ
بالأُمِّ يَفْدِيهـا وَقـد شَمَّرَتْ كاللَّبْـوَةِ المَطْلُولَـةِ الكاسِرِ
هَـلاَّ صَبَرْتُـم للقَنـا ساعـةً وَلَم تَكُـنْ بالماجِـدِ الصابِرِ

وقال عُمَيرٌ[3] : [من الطويل]

وَأَفلتنا رَكْضـاً حُمَيدُ بـنُ بَحْدلٍ على سابح غَـوْجِ اللبَّـانِ مُثابِرِ

---

1 عقت : حملت . مزع : تقطع وتفرق .

2 المثل «كراغية البكر» في جمهرة العسكري 2 : 156 وانظر مجمع الميداني 2 : 141 وفصل المقال : 458 ومستقصى الزمخشري 2 : 211 .

3 تقدمت هذه الأبيات عدا الثالث منها .

إذا انتقصتْ مِنْ شأْوِهِ الخيلُ خلفَهُ ... تَرامَى بـه فوقَ الرِّماحِ الشّواجرِ
لدُنْ غـدوةٍ حتـى نَزَلنـا عَشِيَّةً ... يَمـرُّ كمِرِّيـخ الغُـلامِ المُخاطِرِ

وقال عُمَيرٌ : [من الكامل]

يا كَلْبُ لم تترُكْ لكـم أَرْماحُنا ... بِلـوى السَّماوةِ فالغُوَيْـرِ مَـرادا
يا كلبُ أُحرَمْنا السماوةَ فانظري ... غير السَّماوةِ في البـلادِ بِـلادا
ولقد صكَكنا بالفوارسِ جَمْعكم ... وَعَديدَكم يـا كلـبُ حتـى بادا
ولقـد سبقـتُ بوَقْعـةٍ تركَتْكُمُ ... يـا كلبُ بالحَـرْبِ العَوانِ بعادا

وقال زُفر بن الحارث : [من الطويل]

جزى اللهُ خَيْراً كلّما ذَرَّ شارقٌ ... سَعيـداً ولاقتْـهُ التحيَّة والرُّحْبُ
وحَلْحلـةُ المغْـوارُ للهِ جَـدُّهُ ... فلو لَم يَنَلْهُ القتلُ بادتْ إذنْ كلبُ
بنـي عَبْـدِ وُدٍّ لا نطالبُ ثأرنا ... من الناسِ بالسُّلطانِ إن شَبَّتِ الحربُ
ولكـنَّ بِيضَ الهِنْـدِ تُسعِرُ نارَنا ... إذا ما خَبَتْ نارُ الأَعادِي فما تخبُو
أَبادتكمُ فُرسانُ قيسٍ فمـا لَكُـمْ ... عَدِيدٌ إذا عُدَّ الحصى لا ولا عَقْبُ
بأَيديهـمُ بيضٌ رِقـاقٌ كأَنَّهـا ... إذا ما انتضَوْها في أَكُفِّهِمُ الشُّهْبُ
فسُبُّوهُمُ إن أَنتُـم لم تُطالِبـوا ... بثأرِكُمْ قـد ينفعُ الطالبَ السَّبُّ
ومـا امتنَعَ الأَقـوامُ عنّا بنأْيِهم ... سواءٌ علينا النأيُ في الحربِ والقُرْبُ

وقال عُمير : [من الطويل]

شَفَيتُ الغليلَ مـن قُضاعةَ عَنْوةً ... فظـلَّ لهـا يـومٌ أَغَـرُّ مُحَجَّلُ
جزَيْناهُـم بالمَـرجِ يومـاً مُشَهَّراً ... فلاقَوْا صَباحـاً ذا وَبـالٍ وقُتِّلوا
فلم يَبْقَ إلاّ هـاربٌ من سُيُوفِنا ... وإلاّ قتيـلٌ في مَكَـرٍّ مُجدَّلُ[1]

وقال ابنُ الصَّفّار المحاربيّ : [من الكامل]

عَظُمَتْ مصيبةُ تَغْلـبَ ابنةِ وائلٍ ... حتى رأَتْ كلبٌ مَصيبَتَها سُوى
شَمتُوا وكان اللهُ قـد أَخزاهـمُ ... وتُريدُ كلـبٌ أَن يكونَ لها أُسا
وبكُمْ بدأْنـا يـالَ كَلْبٍ قَتلَهُمْ ... ولعلّنا يومـاً نَعُـودُ لكم عَسى

---

1 المكر : موضع الحرب . ومجدل : صريع .

أخنَتْ على كلبٍ صُدُورُ رِماحِنـا   مـا بينَ أَقْبِلـةِ الغُويرِ إلى سُوا[1]
وعركْنَ بَهـراءَ بن عمرٍو عَركةً   شَفَتِ الغليـلَ ومَسَّهُمْ مِنّـا أذى

وقال الرّاعي[2] : [من الطويل]

متى نفترشْ يومـاً عُلَيمـاً بغارةٍ   يكونوا كعَوْصٍ أو أذَلَّ وأضرعا[3]
وحَيَّ الجُلاحِ قـد تركْنا بدارِهِمْ   سَواعِـدَ مُلقـاةً وهامـاً مُصَرَّعا
ونحن جَدَعْنا أنفَ كلبٍ ولم نَدَعْ   لِبَهراءَ في ذكـرٍ من النّاسِ مَسْمَعا
قَتَلْنا لَـوَ انَّ القتلَ يَشْفي صُدورَنا   بتدمُـرَ ألفاً مـن قُضاعةَ أقْرَعا[4]

وقال زُفَر بن الحارث ، وذكر أبو عُبَيدة أنّها لعقِيل بن عُلَّفَة[5] : [من الطويل]

أَقرَّ العُيونَ أنَّ رهطَ ابنِ بحدَلٍ   أُذِيقُوا هَواناً بالذي كان قُدِّما
صَبَحناهمُ البِيضَ الرِّقاقَ ظُباتُها   بجانب خَبْتٍ والوشيجَ المقَوَّما
وجَرْداءَ مَلَّتْها الغُزاةُ فكلُّها   تَرى قَلِقاً تحت الرِّحالةِ أهضَما
بكلِّ فتًـى لم تأبُرِ النّخـلَ أمُّه   ولم يُدْعَ يوماً للغرائر مِعْكَما[6]

وهذه الحروب التي جرت : ببنات قَيْن[7] . فلمّا ألحَّ عميرٌ بالغارات على كلب رحَلت حتى نزلت غَوْريّ[8] الشام ، فلمّا صارت كلب بالموضع الذي صارت قيس ، انصرفت قيس في بعضِ ما كانت تنصرف من غَزْوِ كلب ، وهم مع عمير ، فنزلوا بِثنيٍ من أثناءِ الفُرات بين منازل بني تَغلب ، وفي بني تَغْلب امرأةٌ من تمِيم يقال لها : أم دُوَيل ناكحةٌ في بني مالك بن جُشَم بن بكرٍ ، وكان دُوَيلٌ من فرسانِ بني تَغْلب ، وكانت لها أعنزٌ بمَجْنبة[9] ، فأخذوا من أعْنزِها ، أخذها غلامٌ من بني الحَرِيش ، فشكَوْا ذلك إلى عُميرٍ فلم يُشْكِهم ، وقال : مَعَرَّة

1 الغوير وسُوا : ماءان .
2 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 168 .
3 نفرش : نصيب ونستبيح . عليم : أبو بطن . وعوص : قبيلة من كلب .
4 ألف أقرع : تامة .
5 في ترجمة عقيل بن علفة أبيات على نفس الوزن والروي للحصين بن همام . وانظر ترجمة الحصين والحماسة رقم 41 في شرح المرزوقي .
6 المعكم : المكتنز اللحم .
7 بنات قين : موضع .
8 الغوري : ما انخفض من الأرض .
9 ل : بمحنية .

الجُنْد ، فلمَّا رأى أصحابُه أنّه لم يَقدَعْهم وثَبوا على بقيّة أعنزِها فأخذُوها وأكلُوها ، فلمّا أتاها دُوَيل أخبرتْه بما لَقِيت ، فجمع جمعاً ثم سار فأغار على بني الحريش ، فلقي جماعةً منهم فقاتلوه ، فخرج رجلٌ من بني الحريش ، زعمتْ تغلبُ أنّه مات بعد ذلك ، وأخذَ ذوْداً[1] لامرأةٍ من بني الحريش يقال لها : أمُّ الهيثم ، فبلغ الأخطل الوقعةُ ، فلم يَدْرِ ما هي ، وقال وهو بِراذان[2] : [من الطويل]

أتاني ودُوني الزَّابيـانِ كلاهما ... ودِجْلَةُ أنباءٌ أمـرُّ مـن الصَّبْرِ
أتاني بـأن ابنـي نِـزارٍ تهادَيا ... وتَغْلِب أولى بالوفـاء وبالغَدْرِ

فلمّا تبين الخبرَ قال[3] : [من الطويل]

وجاءوا بجَمْعٍ ناصِرِي أمِّ هيثمٍ ... فمـا رَجَعُوا مـن ذَوْدِها ببعيرِ

فلمّا بلغ ذلِكَ قيساً أغارتْ عَلى بني تَغلب بإزاء الخابُور ، فقتلوا منهم ثلاثةَ نَفَرٍ ، واستاقُوا خمسةً وثلاثين بعيراً . فخرجت جماعة من تغلب ، فأتوا زُفَر بن الحارث وذكروا له القرابةَ والجوارَ ، وهم بَقرْقيسيا ، وقالوا : ائتنا برحالنا ورُدَّ علينا نعَمنا . فقال : أما النّعمُ فنردُّها عليكم ، أو ما قدرنا لكم عليه ، ونكمل لكم نعمكم من نَعَمِنا إن لم نصبها كلَّها ، وندِي لكم القتلى . قالوا له : فدَع لنا قرَيات الخابور ، ورحِّل قيساً عنها ، فإنَّ هذه الحروب لن تُطْفأ ما داموا مجاورينا . فأبى ذلك زفرُ ، وأبَوْا هم أن يرضَوْا إلاّ بذلك . فناشدَهم اللهَ وألحَّ عليهم ، فقال له رجلٌ من النَّمِر كان معهم : واللهِ ما يسرُّني أنّه وَقاني حربَ قيسٍ كلبٌ أبقعُ تركتُه في غنمي اليومَ . وألحَّ عليهم زفرُ يطلب إليهم ويُناشِدهم ، فأبَوْا فقال عميرٌ : لا عليكَ ، لا تُكْثِر ، فواللهِ إنّي لأرى عيونَ قومٍ ما يريدون إلاّ محاربتك . فانصرفوا من عندِه ، ثم جمعوا جمعاً ، وأغاروا على ما قرُب من قَرْقيسيا من قُرى القَيْسيّة . فلقيهم عُميرُ بن الحُباب ، فكان النُّميريُّ الذي تكلَّم عند زفر أوّلَ قتيل ، وهَزَم التغلَبيِّين ، فأعظم ذلك الحيّان جميعاً قيسٌ وتغلِبُ ، وكرهوا الحربَ وشماتة العدُوّ .

فذكر سليمانُ بن عبد الله بن الأصَمِّ : أنَّ إياس بن الخرّازِ ، أحدَ بني عُتَيْبَة بن سعد بن زُهَير ، وكان شريفاً من عيونِ تغلِبَ ، دخل قَرْقيسيا لينظُرَ ويُناظِر زفَر فيما كان بينهم ، فشدَّ عليه يزيدُ بن بحزن القرشيّ فقتَلَه . فتذمَّم زفرُ من ذلك ، وكان كريماً مجمِّعاً لا يُحبّ

1 الذود : قطيع من الإبل من ثلاث إلى خمس عشرة .
2 راذان : منطقة في سواد العراق . والبيتان في ديوان الأخطل : المقطوعة 301 .
3 ديوان الأخطل : المقطوعة 36 .

الفرْقَة . فأرسل إلى الأمير ابنِ قَرْشة بن عَمرو بن رِبْعيّ بن زُفَر بن عُتَيْبة بن بعْج بن عُتْبة بن سعد بن زُهير بن جُشَم بن الأرْقم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلب ، فقال له : هل لك أن تَسُود بني نزار فتقبلَ منّي الدِّيَةَ عن ابن عمِّك ؟ فأجابه إلى ذلك . وكان قَرْشة من أشراف بني تغلب ، فتلافى زفر ما بين الحيّيْن ، وأصلح بينهم ، وفي الصدورِ ما فيها . فوفَد عمير على المُصْعَبِ بن الزُّبير ، فأعلمه أنّه قد أوْلَجَ قضاعة بمدائِنِ الشام . وأنّه لم يبقَ إلاّ حيٌّ من ربيعةَ أكثرُهم نصارى ، فسأله أن يولِّيَه عليهم . فقال : اكتب إلى زُفر ، فإن هو أراد ذلك وإلاّ ولاّك . فلمَّا قَدِم على زُفر ذكر له ذلك فشقَّ عليه ذلك ، وكَرِه أن يليَهُم عميرٌ فيحِيف بهم ويكون ذلك داعيةً إلى منافرتِه . فوجَّه إليهم قوماً ، وأمَرَهُمْ أن يرفُقُوا بهم . فأتَوْا أخلاطاً من بني تغلِبَ من مشارقِ الخابورِ فأعلمُوهم الذي وُجِّهُوا به ، فأبَوْا عليهم ، فانصرفوا إلى زُفر ، فردَّهم وأعلَمهم أنّ المصعب كتب إليه بذلك ، ولا يجدُ بُدّاً من أخذِ ذلك منهم أو محارَبتِهم ، فقتلوا بعضَ الرسُل .

وذكر ابن الأصمّ : أنّ زُفر لمّا أتاه ذلك اشتَدَّ عليه ، وكره استفْسادَ بني تغلب ، فصير إليهم عُميرُ بن الحُباب فلقِيَهم قريباً من ماكِسِين على شاطىء الخابور ، بينه وبين قَرْقِيسيا مسيرةُ يوم ، فأعظم فيها القتل .

[أسر القطامي]

وذكر زيادُ بن يزيدَ بن عُمير بن الحُباب : أنّ القتل استحرَّ ببني عَتّاب بن سَعْد ، والنَّمِر ، وفيهم أخلاطُ تَغْلِب ، ولكنَّ هؤلاءِ معظمُ النّاس ، فقَتلوهم بها قتلاً شديداً ، وكان زفرُ بن يزيد أخو الحارث بن جُشَمٍ له عشرون ذكراً لصُلْبِهِ ، وأُصِيب يومئذٍ أكثرُهم ، وأُسِر القطاميُّ الشاعرُ وأُخِذَت إبلُه . فأصاب عميرٌ وأصحابُه شيئاً كثيراً من النّعَم ، ورئيس تَغْلب يومئذٍ عبد الله بن شُرَيح بن مُرّة بن عبد الله بن عمْرو بن كلثُوم بن مالِك بن عتّاب بن سعد بن زهير بن جُشَم . فقُتِل ، وقُتِل أخوه ، وقُتِل مُجاشِعُ بن الأجلح ، وعمرو بن معاويةَ من بني خالدِ بن كعب بن زُهير ، وعبدُ الحارث بن عبد المسيح الأوسيُّ ، وسَعْدان بن عبدِ يسوعَ بن حرب ، وسعد وُدّ بن أوْس من بني جُشَم بن زُهير . وجعلُ عُمَيرٌ يصيحُ بهم : «وَيْلكمْ لا تَسْتَبْقُوا أحداً» . ونادى رجلٌ من بني قُشَيْر يقال له النّدّار : «أنا جارٌ لكلِّ حاملٍ أتتني ، فهي آمِنَةٌ» ، فأتته الحبالى ، فبلغني أنّ المرأة كانت تشُدُّ على بطنها الجَفْنة من تحتِ ثوبِها تشبيهاً بالحُبْلى بما جَعَل لهُنَّ . فلمَّا اجتمعْنَ له بَقَر بطونهُنَّ فأفظع ذلك زُفَرَ وأصحابَه ، ولام زفرُ عُميراً فيمن بُقِر من النّساء ، فقال ما فعلتُه ولا أمرتُ به ، فقال في ذلك الصفّارُ المحاربيُّ : [من الوافر]

بقَرْنا مِنكُمُ ألْفَيْ بَقِيرٍ فلم نَتْرُكْ لحاملةٍ جَنِينَا

وقال الأَخطلُ يذكر ذلك[1] : [من الوافر]

فليتَ الخيلَ قد وَطِئَتْ قُشَيْراً سَنابكُها وقد سَطَع الغبارُ
فنجْزِيهمْ ببَغيِهمُ علَينا بني لُبنى بما فَعلَ الغُدارُ

وقال الصّفّار : [من الطويل]

تمنَّيتُ بالخابُور قيساً فصادَفَتْ مَنايا لأَسباب وِفاقٍ إلى قَدْرِ

وقال جَرير[2] :

نُبِّئْتُ أَنَّك بالخابورِ مُمْتَنعٌ ثم انْفَرَجْتَ انفراجاً بعدَ إقرارِ

فقال زُفرُ بنُ الحارث يُعاتِبُ عُمَيراً بما كان منه في الخابُور : [من الوافر]

أَلا مَن مُبلغٌ عنّي عُميراً رسالة عاتِبٍ وعليكَ زارِي
أَتترُكُ حَيَّ ذي كلَعٍ وَكلبٍ وتجعلُ حَدَّ نابِكَ في نزارِ
كمُعتمدٍ على إحدى يديهِ فخانَتْهُ بوهْيٍ وانكسارِ

[زفر يفك أسر القطامي]

ولمّا أُسِر القُطاميُّ أَتى زفر بقرقيسيا فخلَّى سَبيله ، وردّ عليه مائة ناقةٍ ، كما ذكر أدهمُ بن عِمران العبديّ ، فقال القطاميُّ يمدحه[3] : [من الوافر]

قِفِي قَبْلَ التفرُّقِ يا ضُباعا ولا يكُ موقفٌ منكِ الوَداعا
قِفي فادِي أَسيرك إنَّ قَوْمي وقومكِ لا أَرى لهم اجتماعا
أَلَم يَحزنْكِ أَنَّ حِبالَ قَيسٍ وتغلبَ قد تَبايَنت انْقِطاعا
فصارا ما تُغِبُّهما أُمورٌ تزيدُ سَنا حريقتِها ارتفاعا[4]
كما العظْمُ الكَسِيرُ يُهاضُ حتى يَبِتَّ وإنَّما بدأَ انصداعا[5]
فأَصبح سبلُ ذلِك قد تَرَقى إلى مَن كان منزلُه يَفاعا

---

1 لم يرد البيتان في ديوان الأخطل .
2 ديوان جرير (صادر) : 242 .
3 ديوان القطامي : 31–38 .
4 الديوان : وصاروا . . . . حريقهما .
5 يهاض : يكسر بعد جبر . ويبت : ينقطع . أي أن الكسر بدأ صدعاً ثم أصبح كلّما جبر انكسر .

فـلا تبْعَـد دمـاءُ ابني نزارٍ ولا تَقْـرَر عيونُكِ يا قَضاعا
ومَـن يكن استَلامَ إلى ثَويٍّ فقـد أُحسنتَ يا زفرُ المَتاعا[1]
أكُفْـراً بعـد رَدِّ الموتِ عنّي وبعد عَطائِكَ المائـةَ الرِّتاعا[2]
فلو بيدَيْ سِواكَ غـداةَ زَلَّتْ بـيَ القدَمانِ لم أَرْجُ اطِّلاعا[3]
إذن لهلكتُ لـو كانَتْ صِغارٌ من الأَخْلاق تُبْتدعُ ابتِداعا[4]
فَلَـم أرَ مُنعِمـينَ أقـلَّ مَنّاً وأكرمَ عِندَما اصطُنِعُوا اصْطناعا
مِن البِيضِ الوُجُوهِ بنـي نُفَيلٍ أبَـتْ أخلاقُهـمْ إلاَّ اتِّساعا
بَنِي القَـرْم الذي عِلِمتْ مَعدٌّ تفضَّـلَ قومَهـا سعـةً وباعا

وقال أيضاً[5] : [من الرجز]

يا زفرُ بنَ الحارثِ ابن الأكرمِ قد كنتَ في الحربِ قديمَ المُقْدَمِ[6]
إذْ أُحجم القومُ ولمّـا تُحجِمِ إنَّـكَ وابنيكَ حفِظتمْ محْرَمي
وحقَـنَ اللهُ بِكفَّيـكَ دمـي مِن بعدِ ما جَفَّ لِساني وفمي[7]
أنقذتني مـن بطـلٍ مُعمَّـمِ والخيـلُ تحت العارضِ المُسَوَّمِ
وَتغلبٌ يَدعونَ يـا لَلأَرْقمِ

وقال أيضاً[8] :

يـا نـاقُ خُبِّـي خبَباً زِوَرَّا وقلِّبـي مَنْسِمَـكِ المُغْبَرّا[9]

1 استلام : فعل ما يلام عليه . والثوي : الضيف والمقيم . وفي الديوان : فقد أكرمت .
2 الرتاع : التي ترعى كيف شاءت في خصب وسعة .
3 لم أرج اطلاعاً : لم أرج نجاة .
4 تبتدع ابتداعاً في ل : تنتزع انتزاعاً ، وهي رواية .
5 ديوان القطامي : 122–123 .
6 قديم المقدم في الديوان : كريم المقدم .
7 الديوان :
بعد العوالي بعدما ذب فمي وحقـن الله بأيديكـم دمـي
8 ديوان القطامي : 120–121 .
9 زورّ : شديد .

وعارضي اللَّيلَ إذا ما اخضرَّا سوف تُلاقين جَـواداً حُرَّا[1]

سيِّـدَ قيسٍ زُفَـرَ الأَغَـرَّا ذاكَ الذي بايَـعَ ثُـمَّ بَرَّا

ونَقَضَ الأَقْـوامُ واستمـرَّا قَـد نفـعَ اللهُ بِـهِ وضَرَّا[2]

وكانَ في الحَرْبِ شِهاباً مُرَّا

وقال أيضاً[3] : [من الرجز]

كأَنَّ في المركَبِ حينَ راحـا بدراً يزيـدُ البصرَ انفِضاحا[4]

ذا بلَـجٍ ساواكَ أَنَّى امْتاحـا وَقَـرَّ عينـاً ورَجـا الرَّباحا

أَلا ترى مـا غَشيَ الأَرْكاحا وغشيَ الخابـورَ والأَملاحا[5]

يُصفِّقُون بالأَكُـفِّ الرَّاحا

وقال فيه أيضاً هذه القصيدةَ التي فيها الغناءُ المذكورُ بذكرِ أخبارِ القُطاميّ[6] : [من البسيط]

ما اعتادَ حُبُّ سُليمى حينَ معتادِ ولا تَقَضَّى بَواقي دَيْنِها الطادِي[7]

بيضاءُ مَحْطُوطَـةُ المَتْنَيْن بَهْكَنَةٌ رَيَّا الرّوادفِ لم تُمغِـلْ بأَولادِ[8]

مـا لِلكواعبِ ودَّعْـنَ الحياةَ كما ودَّعْنَني واتَّخَذْنَ الشَّيْبَ ميعادي

أَبصارُهُـنَّ إلى الشُّبّـانِ مائلـةٌ وقَـدْ أَراهُـنَّ عَنِّـي غيرَ صُدّادِ

إذْ باطِـلي لم تَقشَّع جاهليَّتُـهُ عنِّي ولم يَترُكِ الخُلاَّنُ تَقوادِي

كنِيّة الحيِّ منْ ذي القَيضةِ احتَملوا مُسْتَحْقِبين فُـؤاداً مالُـه فادِي[9]

---

1 الديوان :
وعارضي الليل إذا ما اخضرّا أخبرك البـارح حـين مــرا
إذ سوف تلقين جـواداً حرّا سيد قيس زفــر الأغــرا

2 نقض في الديوان : وتقض .

3 ديوان القطامي : 173–174 .

4 الديوان :
كأن في الموكب حـين لاحا بدراً يزيـد النظر انفساحـا
أفلح ساق بيديـك امتاحـا

5 الأركاح : الأفنية .

6 ديوان القطامي : 78–87 .

7 الطادي : الثابت القديم .

8 محطوطة المتنين : ممدودتهما . الممغل من النساء : التي تحمل كل سنة قبل فطام الصبي .

9 مستحقب : محتمل . وفي الديوان : ذي الغضبة ويروى : ذي الغيضة ، وهو مكان .

بانُوا وكانوا حياتي في اجتماعِهِمُ ... وفي تفرُّقِهِمْ قَتْلي وإقصادي[1]

يَقْتُلننا بحديثٍ لَيْسَ يعلمُه ... مَن يَتَّقِينَ ولا مكنُونُه بادِي

فهنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِمْنَ بِهِ ... مواقعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصَّادِي

يقول فيها في مدح زُفَر بن الحارث :

مَنْ مُبلغٌ زُفرَ القَيسيَّ مِدْحَتَه ... من القُطاميِّ قَولاً غيرَ إفنادِ[2]

إنّي وإن كان قَوْمي ليسَ بينهُم ... وبينَ قومِكَ إلاَّ ضَربةُ الهادِي[3]

مُثنٍ عليكَ بما استبْقيتَ مَعرِفتي ... وقد تَعْرض منِّي مَقتلٌ بادِي[4]

فلن أُثيبَك بالنَّعماءِ مَشتَمةً ... ولن أُبدِّل إحساناً بإفسادِ[5]

فإن هجوتُكَ ما تَمَّت مكارِمَتي ... وإن مَدحتُ فقد أَحسنتَ إصفادي[6]

وما نسيتُ مَقامَ الوَرْدِ تحبِسُه ... بيني وبينَ خَفيفِ الغابةِ الغادي[7]

لولا كتائِبُ من عمرٍو تصول بها ... أُرْدِيتُ يا خيرَ مَن يَنْدُو له النَّادي[8]

إذْ لا ترى العينُ إلاَّ كلَّ سَلْهبةٍ ... وسابحٍ مثل سِيدِ الرَّدْهةِ العادي[9]

إذ الفَوارسُ من قيسٍ بِشِكَّتِهِمْ ... حَوْلي شُهودٌ وما قَوْمي بشُهَّادي

إذ يَعتريكَ رجالٌ يسألونَ دَمي ... ولو أطعتَهمُ أَبكيتَ عُوَّادي

فقد عَصَيتَهمُ والحربُ مقبلةٌ ... لا بل قَدَحْتَ زناداً غيرَ صلاَّدِ[10]

والصِّيدُ آلُ نُفَيْلٍ خيرُ قومِهِمُ ... عند الشتاءِ إذا ما ضُنَّ بالزَّادِ

المانِعُونَ غَداةَ الرَّوْعِ جارَهمُ ... بالمَشْرَفِيَّةِ من ماضٍ ومُنْآدِ[11]

---

1 وكانوا حياتي في الديوان : وكانت حياتي .

2 إفناد : كذب .

3 الهادي : العنق .

4 استبقيت معرفتي : استبقيتني لمعرفتك إيّاي .

5 الديوان : ولن أُكافىء .

6 إصفادي : إعطائي .

7 الورد : فرس كان للزفر بن الحارث والغابة هنا : الرماح .

8 يندو : يجتمع .

9 سلهبة : الفرس الطويل . والسيد : الذئب . الردهة : أكمة كثيرة الحجارة أو نقرة في الجبل .

10 الصلاد : الزند الذي لا يوري .

11 المنآد : المعوج .

أَيَّامَ قومي مكاني مُنْصِبٌ لهمُ ... ولا يظنُّونَ إلاَّ أَنَّني رادِي[1]

فانتاشَني لكَ من غمّاءَ مظلمةٍ ... حبلٌ تضمَّن إصداري وإيرادِي[2]

ولا كردِّكَ مالِي بعدَما كرَبَتْ ... تُبْدِي الشماتَة أعدائي وحُسَّادي

فإنْ قَدَرتُ على خيرٍ جَزَيتُ به ... واللهُ يجعلُ أقواماً بمِرْصادِ

قال ابنُ سلاَّم : فلمّا سمع زفرُ هذا قال : لا أَقْدرَكَ اللهُ على ذلك .

وقال أيضاً[3] : [من الوافر]

أَلا مَن مُبلغٌ زُفَرَ بن عمرٍو ... وخيرُ القولِ ما نَطَقَ الحكِيمُ

أبيٌّ ما يُقادُ الدَّهرَ قَسْراً ... ولا لِهَوى المصرِّف يَسْتقيمُ

أَنوفٌ حينَ يغضبُ مُسْتَعِزٌّ ... جَنوحٌ يَسْتبِدُّ به العزيمُ[4]

فما آلُ الحُبابِ إلى نُفَيلٍ ... إذا عُدَّ المُمهَّلُ والقديمُ[5]

كأَنَّ أَبا الحُبابِ إلى نُفَيلٍ ... حِمارٌ عَضَّهُ فرسٌ عَذُومُ[6]

بَنى لك عامرٌ وبنو كلابٍ ... أُرُوماً ما يُوازيه أُرومُ

[أحسن الناس ابتداء]

أخبرني أَحمد بن جعفر جَحظة ، قال : حدَّثني علي بن يحيى المنجِّم ، قال : سمعت مَن لا أُحصى من الرُّواة يقُولون : أَحسنُ النّاسِ ابتداءً قصيدٍ في الجاهليَّة امرؤُ القيس حيثُ يقولُ :

أَلا عِم صباحاً أيُّها الطَّللُ البالي

وحيث يقول :

قفا نبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ

وفي الإسلاميِّين القطاميُّ ، حيث يقول :

إنّا مُحيُّوكَ فاسْلم أَيُّها الطَّلَلُ

وفي المحدثين بَشَّارٌ ، حيث يقول :

1 منصب : متعب . ورادي : هالك .

2 غنّاء في الديوان : غبراء .

3 ديوان القطامي : 113–115 .

4 مستعز : عزيز النفس . والعزيم والعزيمة واحد .

5 آل الحباب : آل عمير بن الحباب . ونفيل : الرهط الذين ينتسب إليهم زفر بن الحارث . والممهل : المتروك المنسي .

6 الفرس العذوم : العضوض .

أَبـى طَلَلٌ بالجَزْعِ أن يَتكلَّما ... ومـاذا عليه لـو أجابَ مُتيَّما
وبالفَرْعِ آثـارٌ لِهنـدٍ وباللِّوى ... مَلاعِبُ مـا يُعْرَفْنَ إلاَّ تَوَهُّما

[الشعبي يفضله على الأخطل]

نسختُ مِنْ كتابِ أحمد بن الحارث الخرَّاز ، ولم أسمعه من أحدٍ ، وهو خبرٌ فيه طولٌ اقتصرتُ منه على ما فيه من خَبَر القُطاميّ ، قال أحمد بن الحارث الخرّاز : حدَّثني المدائنيّ ، عن عبد الملك بن مُسلم ، قال[1] : قال عبدُ الملك بن مَرْوان للأخطل ، وعنده عامر الشّعبيّ : أتحبّ أن لك قياضاً[2] بشعرك شعرَ أحدٍ من العَرب أم تحبّ أنّك قلته ؟ قال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ، إلاّ أنّي وَدِدتُ أنّي كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رجل منّا مُغدَفُ القِناع ، قليلُ السَّماع ، قصيرُ الذِّراع ، قال : وما قال ؟ فأنشد قول القُطاميّ : [من البسيط]

إنَّا مُحيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلـلُ ... وإن بَليتَ وإن طَالَتْ بِكَ الطِّيَلُ
ليسَ الجديدُ بـه تبقى بَشاشَتُه ... إلاّ قليـلاً ولا ذو خُلَّـةٍ يَصِلُ
والعيشُ لا عَيْشَ إلاّ مـا تَقَـرُّ به ... عَينٌ ولا حـالَ إلاّ سوفَ تَنْتقلُ
إن تَرْجِعي من أبي عثمانَ مُنْجحةً ... فقد يهُونُ على المستَنْجحِ العَمَلُ[3]
والناسُ مَـنْ يلْقَ خيراً قائلونَ له ... مـا يَشتهِي ولأُمِّ المخطِـىءِ الهَبلُ
قد يُـدْرِكُ المتأنِّي بعضَ حاجَتِهِ ... وقـد يكونُ مع المسْتعجل الزَّللُ

حتى أتى على آخرها : قـال الشّعبيُّ : فقلتُ له : قد قال القُطاميُّ أفضلَ من هذا ، قال : وما قال ؟ قلت : قال[4] : [من الكامل]

طرقتْ جَنُوبُ رِحالَنا من مَطْرَقِ ... مـا كنت أَحْسِبُها قريبَ المُعْنَقِ[5]
قَطعتْ إليكَ بمثـل جِيـدِ جَدايةٍ ... حَسَنٍ مُعلَّـقُ تُومَتَيْـه مُطوَّقِ[6]
ومُصرَّعـينَ مـن الكَلالِ كأنّما ... بكَروا الغَبوقَ من الرَّحيقِ المُعتِقِ[7]

1 تقدم هذا الخبر والشعر في ترجمة النابغة الذبياني في الجزء 11 : 17 .
2 قياضاً : مقايضة .
3 الخطاب للناقة .
4 ديوان القطامي : 105–112 .
5 أعنق : سار سيراً سريعاً . ويعني أنّ المكان الذي أعنقت منه قريب .
6 الجداية : الغزال . والتومة : اللؤلؤة . ويعني هنا الحبّة في القرط .
7 الرحيق : الخمر .

مُتوسِّديـــن ذراعَ كلِّ شِمِلَّـــةٍ ومُفـــرّجٍ عُـــرَقِ المَقَـــذِّ مُنَوَّقِ[1]
وجَثَتْ على رُكَبٍ تهُدُّ بهـا الصَّفا وعلى كلاكِـلَ كالنَّقِيلِ المُطرَقِ[2]
وإذا سمِعْـــنَ إلى هَماهـــمِ رُفْقَةٍ ومِـــن النُّجُومِ غوابـــرٌ لم تخفقِ[3]
جعلـتْ تُميـلُ خُدودَها آذانُها طرَبـاً بهـــنَّ إلى حُـداءِ السُّوَّقِ
كالمُنْصِتـاتِ إلى الزَّميرِ سَمِعْنَــه مِـن رائـعٍ لقلوبهـــنَّ مُشَوِّقِ[4]
فإذا نَظَـرْنَ إلى الطَّريـقِ رأينَـهُ لَهَقاً كَشاكلـةِ الحِصانِ الأَبلقِ[5]
وإذا تخلَّـفَ بعدهُـنَّ لحاجـةٍ حـادٍ يُشَسِّعُ نَعلَـه لم يَلحقِ
وإذا يُصيبُك ، والحوادثُ جمَّةٌ ، حدثٌ حَداكَ إلى أَخيكَ الأَوثقِ[6]
ليتَ الهُمُومَ عـن الفؤادِ تفرَّجَتْ وخـلا التَّكلُّـم للِّسان المُطلَقِ[7]

قال : فقال عبدُ الملك بن مروانَ : ثكِلت القطاميَّ أُمُّه ، هذا واللهِ الشِّعرُ . قال : فألتفتَ إليَّ الأخطلُ فقال لي : يا شعْبيُّ ، إن لكَ فنوناً في الأَحاديث ، وإنّما لنا فنٌّ واحدٌ ، فإن رأيتَ ألاّ تحملني على أكتافِ قوْمِكَ فأدَعهم حَرْبى فقلت : وكرامةً ، لا أعرِضُ لك في شِعرٍ أبداً ، فأقِلني هذه المرَّة .

ثم التفتُّ إلى عبد الملك بن مروان ، فقلتُ : يا أَمير المؤمنين : أَسأَلُكَ أَن تستغفرَ لي الأخطل ، فإنِّي لا أُعاودُ ما يَكره . فضَحِك عبدُ الملك بن مروان وقال : يا أخطلُ إنَّ الشعبيَّ في جواري . فقال : يا أميرَ المؤمنين : قد بدأْته بالتحذير ، وإذا ترك ما نكره لم نَعرض له إلاّ بِما يُحبّ . فقال عبد الملك بن مروان للأخطل : فعليَّ ألاّ يعْرِضَ لك إلاّ بما يحبُّ أبداً . فقال له الأخطلُ : أنت تتكفَّل بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال عبدُ الملك بن مروان : أنا أكفُل به ، إن شاء الله تعالى .

---

1 الرواية السابقة : كل نجيبة . الشملة : الناقة الخفيفة . المفرج : ما بان مرفقه عن إبطه . والمقذ : ما بين الأذنين . والمنوق : الجمل الذي أحسنت رياضته .

2 النقيل : رقاع النعل والخف . والمطرق : الذي وضع بعضه فوق بعض .

3 هماهم رُفْقةٍ في الديوان : هماهماً من رفقة . والهماهم : الكلام الخفي . غوابر : بواق . وتخفق : تغيب .

4 إلى الزمير في الديوان : إلى الغناء .

5 اللهق : البياض دون لمعان . والشاكلة : الخاصرة .

6 وإذا يُصيبُك في الديوان : وإذا أصابك .

7 ليتَ في الديوان : لئن .

صوت

[من البسيط]

يا ابنَ الذين سَما كِسْرى لجمْعِهِمُ فجلَّلُوا وَجْهَه قاراً بِذِي قارِ[1]
دوِّخْ خُراسانَ بالجُرْدِ العِتاقِ وبالْبِـ ـيضِ الرِّقاق بأَيْدِي كلِّ مِسعارِ

الشِّعر لأبي نجدة ، واسمه لُجيم بن سعد ، شاعِرٌ من بني عِجْلٍ .

أخبرني بذلك جماعةٌ من أهلِه . وكان أبو نجدةَ هذا مع أحمد بن عبد العزيز بن دُلَف بن أبي دُلفٍ ، منقَطِعاً إليه .

والغناء لكُنيز دبَّة ، ولحنه فيه خفيفٌ بالبِنْصر ، ابتداؤه نشيد .

[مناسبة هذا الشعر]

وكان سَببُ قوله هذا الشعر أَنَّ قائداً من قُوَّاد أَحمد بن عبد العزيز التجأ إلى عمرو بن اللَّيث ، وهو يومئذٍ بخُراسانَ ، فغمَّ ذلك أحمدَ وأَقْلقه ، فدخل عليه أبو نجدة ، فأَنْشده هذين البيتين ، وبعدهما : [من البسيط]

يا مَنْ تيمّم عَمراً يستجيرُ به أَما سَمِعْتَ ببيْتٍ فيهِ سيّارِ
المسْتجيرُ بعمْرو عند كُرْبته كالمسْتجير من الرّمْضاء بالنَّارِ[2]

فسُرَّ أَحمد بذلك ، وسُرِّي عنه ، وأمر لأبي نجدة بجائزةٍ ، وخَلعَ عليه وحمَلَه ، وغنَّى فيه كُنيزٌ لحنه هذا ، وهو لحنٌ حسنٌ مشهورٌ في عصرنا هذا ، فأمر لكنيز أيضاً بجائزةٍ ، وخلع عليه وحمله .

سمِعْتُ أَبا عليٍّ محمدَ بن المَرْزبان يُحدِّثُ أَبي ، رحمه الله ، بهذا على سبيل المذاكرة ، وكانت بيننا وبين آل المرْزُبانِ مودّةٌ قديمةٌ وصِهرٌ .

---

1 ذو قار : ماء لبكر بن وائل قرب الكوفة .

2 المثل «كالمستجير (كالمستغيث) من الرمضاء في النار» في مجمع الميداني 1 : 375 ، 2 : 149 وجمهرة العسكري 2 : 160 وفصل المقال : 377 . وعمرو في البيت الأول هو عمرو بن الليث المذكور في الخبر ، وفي البيت الثاني هو عمرو بن الحارث الذي طلب منه كليب أن يغيثه بشربة ماء فنزل وأجهز عليه .

[527] ـ خبر وقعة ذي قار[1]
التي فُخِر بها في هذا الشعر

أَخبرنا بخبرها عليُّ بن سليمانَ الأَخفش ، عن السّكريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الكلبيّ ، عن خِراش بن إسماعيل . وأضفتُ إلى ذلك رواية الأثْرَم عن أبي عبيدةَ ، وعن هشامٍ أيضاً ، عن أبيه ، قالوا : كان من حديث ذي قار أنّ كِسْرى أَبَرويز بن هُرْمُز لّما غضِبَ على النُّعمانِ بن المنذر أتى النُّعمانُ هانيء بن مَسعود بن عامر بن عمرو بن ربيعة بن ذُهْلِ بن شَيبان[2] ، فاستودعه مالَه وأهلَه وولَده ، وألفَ شِكّةٍ ، ويقال : أربعة آلاف شِكّة ، قال ابنُ الأعرابيِّ : والشِّكّةُ : السّلاحُ كلّه ، ووضع وضائعَ عند أحياء من العرب ، ثم هرَبَ وأتى طيِّئاً لصهره فيهم .

وكانت عنده فَرعةُ بنتُ سعيد بن حارثةَ بن لأْمٍ ، وزينبُ بنتُ أُوس بن حارثة . فأَبوْا أَن يُدخلُوه جَبَلهم ، وأتتْهُ بنو رواحة بن ربيعةَ بن عنبس ، فقالوا له : «أبيتَ اللَّعنَ ، أقمْ عندنا ، فإنَّا مانِعوكَ ممّا نَمنعُ منه أنفسنا» . فقال : ما أُحِبُّ أن تهلِكوا بسببي ، فَجُزِيتم خيراً .

ثم خرج حتى وضع يدَه في يدِ كسرى ، فحبسه بساباط[3] ، ويقال بخانِقين ـ وقد مضى خبرُه مشروحاً في أخبار عديّ بن زيد ، قالوا : فلمّا هَلَكَ النُّعمانُ جعلتْ بكرُ بن وائلٍ تُغيرُ على السَّوادِ . فوفد قيس بنُ مسْعودِ بن قيس بن خالدِ ذي الجدَّيْن ، بن عبدِ الله بن عمرٍو إلى كسْرى ، فسأله أن يجعل لـه أُكُـلاً وطُعْمةً ، على أن يضْمنَ له على بكر بن وائلٍ ألاّ يدخلوا السّوادَ ولا يُفسدُوا فيه ، فأقطَعه الأُبُـلّة وما والاها .

وقال : هل تكْفيكَ وتكفي أعْرابَ قومِك ؟ . . وكانتْ له حُجْرة[4] فيها مائةٌ من الإبل للأضياف ، إذا نُحرَتْ ناقةٌ رُدَّت مكانها ناقةٌ أُخرى وإيّاه عَنى الشمّاخُ بقوله : [من البسيط]

---

1 خبر وقعة ذي قار في كتب التاريخ كالطبريّ وابن الأثير والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي وفي الخزانة والعقد والنقائض وأيام العرب في الجاهلية وغيرها . وانظر التذكرة الحمدونية 3 : 15–18 .

2 في الطبري عن أبي عبيدة أنّ هانيء بن مسعود لم يدرك هذا الأمر ، إنّما هو هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود .

3 ساباط : بلد قرب سمرقند .

4 الحجرة : حظيرة الإبل .

فادْفعْ بألْبانها عنكـمُ كما دَفعت عنهم لِقاحُ بني قيس بن مَسعودِ[1]

قال : فكان يأتيه مَنْ أتاه منهـم فيُعطيه جُلَّة تمـر وكِرْباسةً[2] ، حتى قدِم الحارثُ بن وَعلة بن مجالد بن يَثربيٍّ بن الدَّيّان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة ، والمكسِّر بن حنظلةَ بن حُيَيّ بن ثعلبة بن سيّار بن حُيَيّ بن حاطبة بن الأسعد بن جَذِيمة بن سَعْد بن عجل بن لُجَيم ، فأعطاهما جُلَّتي تَمْرٍ وكِرْباستَيْن ، فغَضبا وأبيا أن يَقْبلا ذلك منه ، فخرجا واسْتَغويا ناساً من بكر بن وائلٍ ، ثم أغارا على السّواد ، فأغار الحارثُ على أسافل رُودمَيسان[3] وهي من جِرْد ، وأغار المكسِّر على الأنبار ، فلقيهُ رجل من العِباديِّين من أهل الحيرة ، قد نُتِجتْ بعض نُوقهم ، فحملوا الحُوار على ناقةٍ ، وصرّوا[4] الإبل .

فقال العِباديُّ : لقد صبَّح الأنبارَ شرٌّ ، جَمَلٌ يحملُ جَمَلاً ، وجملٌ بُرَتُهُ[5] عودٌ ، فجعلوا يضحكون من جهله بالإبل .

قال : وأغار بُجيرُ بن عائذ بن سُوَيد العجليّ ، ومعهُ مَفْرُوق بن عمرِو الشَّيبانيّ على القادسيّة وطِيرناباذ ، وما والاهما ، وكلُّهم ملأ يَديْهِ غنيمةً . فأمّا مَفْرُوقٌ وأصحابه فوقع فيهم الطاعون فموَّت منهم خمسةَ نفرٍ مع مَن موّت من أصحابهم ، فدُفِنُوا بالدُّجَيل ، وهو رِحله[6] من العُذيب يسيرةٌ ، فقال مفروقٌ : [من الطويل]

أتـاني بأنْباطِ السَّوادِ يَسُوقُهـمْ إليَّ وأوْدَتْ رَجْلَتـي وفَوارِسي[7]

فلمّا بلَغ ذلك كِسرى اشتدَّ حَنَقُه على بكرِ بن وائِلٍ ، وبلغه أن حَلْقةَ[8] النُّعمانِ وولَدَه وأهلَه عندَهم ، فأرسل كِسْرى إلى قيسِ بن مَسْعودٍ ، وهو بالأُبُـلَّة فقـال : غررتَني من قومِكَ ، وزعمتَ أنّك تكفينيهم ، وأمَر به فحُبِس بساباطَ ، وأخذ كسرى في تعبئةِ الجيوشِ إليهم ، فقال قيسُ بن مسعود ، وهو محبوسٌ ، من أبيات : [من الوافر]

ألا أبلـغْ بَني ذُهْـلٍ رَسُولاً فمن هذا يكونُ لكـم مكاني

1 ديوان الشمّاخ : 119 .
2 الجلة : القفة الكبيرة . والكرباسة : ثياب خشنة .
3 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . وروذ : من أسماء بعض القرى .
4 صروا الإبل : شدّوا ضروعها فلا ترضعها أولادها .
5 البرة : حلقة تجعل في أنف البعير .
6 ل : مروحة .
7 الرجلة : جمع رجل .
8 الحلقة : الدروع والسلاح .

أيأْكُلُها ابـنُ وعْلَة في ظَلِيفٍ ويأمَـنُ هَيْثَـمٌ وابنـا سِنانِ[1]
ويأمَـنُ فيكمُ الذُّهْليُّ بَعْدي وقـد وسَموكم سِمـةَ البيانِ
ألا مَـنْ مُبلغٌ قَوْمي ومَن ذا يبلِّـغُ عـن أسيرٍ في الإوانِ

يعني الإيوان .

تطاوَلَ ليلُـه وأصاب حُزْنـاً ولا يَرْجُـو الفِكاك مع المِنانِ

يعني بالهَيْثم وابني سِنان : الهيثمَ بن جَرِير بن يساف بن ثَعلبة بن سَدوس بن ذُهْل بن ثَعلبة ، وأبو عِلباءَ بن الهيثم .

وقال قيس بن مسعود يُنذِرُ قومَه[2] : [من الطويل]

ألا لَيتَني أَرشُو سِلاحِـي وبَغْلَتي لِمَن يُخبِرُ الأَنباءَ بكرَ بن وائلِ[3]

ويروى : لِمَن يُعلم الأنباءَ .

فأُوصِيهِـمُ باللهِ والصُّلح بينهـمْ لينصأ معـروفٌ ويُزْجَرَ جاهِلُ[4]
وصاةَ امرىء لو كان فيكم أعانَكُم على الدَّهرِ والأَيّامُ فيهـا الغوائِلُ
فإيّـاكُم والطّـفَّ لا تقْرَبُنّـهُ ولا البحرَ إنَّ الماءَ للبحرِ واصِلُ[5]
ولا أَحْبِسَنْكم عن بُغا الخَيْرِ إنَّني سَقَطتُ عَلى ضِرغامةٍ فهـو آكِلُ[6]

رواه ابن الأَعرابيِّ فقال :

. . . . إنّ الماءَ للقَوْدِ واصِلُ

أي أنّه مُعِينٌ لهم ، يقُود الخَيل إليكم .

قال : وقال قيسٌ أيضاً يُنْذِرُهم : [من الطويل]

تَعنَّاكَ مـن ليـلى مع اللَّيلِ خائِلُ وذِكرٌ لهـا في القَلبِ ليس يُزايِلُ
أُحبّك حُبَّ الخَمرِ ما كان حُبُّها إلَـيَّ وكُـلٌّ في فـؤادِيَ داخِلُ
ألا لَيتَني أَرْشُو سِلاحي وبَغْلتـي فيُخْبِرَ قومـي اليومَ مـا أنا قائِلُ

---

1 في ظليف : بغير حقّ .
2 الأبيات في معجم المرزباني : 201 .
3 عجز البيت في المرزباني : لأن تعلم الأنباء والعلمَ وائلُ ، وبه يزول الإقواء .
4 المرزباني : لينطق معروف .
5 المرزباني : للقود واصل .
6 لم يرِد هذا البيت عند المرزباني .

فإنّا ثَوَيْنا في شُعوبٍ وإنَّهُمْ غَزَتْهُمْ جنودٌ جَمَّةٌ وقبائِلُ
وإنَّ جُنودَ العُجْمِ بيْني وبَينَكم فيا فَلَجي يا قومُ إن لم تقاتلوا[1]

قال : فلمّا وضَح لكسرى واستبانَ أنّ مال النُّعمانِ وحلْقتَه وولَدَه عند ابن مَسْعود ، بعث إليه كسرى رجلاً يخبره أنّه قال له : إنَّ النُّعمانَ إنّما كان عاملي ، وقد استودَعَك مالَه وأهلَه والحلقةَ ، فابْعث بها إليَّ ولا تكلِّفْني أن أبعثَ إليكَ ولا إلى قومِكَ بالجنودِ ، تقْتُلُ المقاتِلَة وتَسْبي الذُّرِّية . فَبَعثَ إليه هانئ : إنَّ الذي بلغكَ باطلٌ ، وما عِندي قليل ولا كثير ، وإن يكن الأمرُ كما قِيل فإنّما أنا أحدُ رجُلَين ؛ إمّا رجلٌ استُودِعَ أمانة ، فهو حقيق أن يردَّها على مَن اسْتودَعَه إيّاها ، ولن يُسَلِّم الحُرُّ أمانته أو رجلٌ مكذوبٌ عليه ، فليس ينبغي للملِكِ أن يأخذه بقول عدوٍّ أو حاسدٍ .

قال وكانت الأعاجمُ قوماً لهم حِلْم ، وقد سمِعوا ببعض عِلم العرب ، وعَرفوا أنَّ هذا الأمر كائنٌ فيهم .

فلمّا ورد عليه كِتابُ هانيء بهذا حملته الشَّفَقةُ أن يكونَ ذلك قد اقتربَ ، فأقْبل حتى قطع الفُراتَ ، فنزل غَمْر بني مُقاتل . وقد أحْنَقَهُ ما صنعتْ بكرُ بن وائل في السَّوادِ ومَنْعُ هانيء إيّاه ما مَنَعَهُ .

قال : ودَعا كِسرى إياسَ بنَ قبيصَةَ الطائيَّ ، وكان عاملَه على عين التَّمر وما والاها إلى الحِيرة ، وكان كسرى قد أطعمه ثلاثين قريةً على شاطىء الفرات ، فأتاه في صَنائِعِه من العَربِ الذين كانوا بالحِيرةِ فاستشارَهُ في الغارةِ على بكرِ بن وائلٍ ، وقال : ماذا تَرى ؟ وكم ترى أن نُغْزِيَهم من الناس ؟ فقال له إيّاسٌ : إن المِلكَ لا يَصلُح أن يَعْصِيَه أحدٌ من رَعِيّته ، وإن تطِعني لم تُعلم أحداً لأيّ شيءٍ عبرتَ وقطعتَ الفُراتَ ، فيَرَوْا أنّ شيئاً من أمر العرب قد كَرَبكَ ، ولكن تَرجعُ وتُضْرِبُ عنهم ، وتَبعث عليهم العُيونَ حتى ترى غِرَّةً منهم ثم ترسل حَلْبة من العجم فيها بعضُ القبائل التي تَلِيهم ، فيُوقِعونَ بهم وقعةَ الدَّهرِ ، ويأتونَك بطِلبَتِكَ . فقال له كسرى : أنت رجلٌ من العرب ، وبكرُ بن وائل أخوالك ، وكانت أُمُّ إياس ، أُمامةُ بنتُ مسعودٍ ، أختَ هانيء بن مسعود ، فأنت تتعصَّبُ لهم ، ولا تألُوهُم نُصحاً . فقال إياسٌ : رأيُ الملك أفضل . فقامَ إليه عمرو بن عديٍّ بن زيدٍ العِبادِيُّ ، وكان كاتبَه وتُرجُمانَه بالعربيّة في أُمور العربِ ، فقال له : أقِمْ أيُّها الملكُ ، وابْعث إليهم بالجُنودِ يَكفُوك . فقامَ إليه النُّعمانُ بن زُرْعَةَ بن هَرَميٍّ ، من ولد السَّفّاح التَّغْلبيِّ ، فقال : أيُّها المِلكُ ، إنَّ هذا الحيَّ من

1 الفلج : الإصابة بالفالج .

بكرِ بن وائلٍ إذا قاظوا بذي قارٍ تهافَتُوا تهافُتَ الجرادِ في النّارِ . فعَقد للنُّعمانِ بن زُرعةَ على تغلِبَ والنّمِرِ ، وعقد لخالدِ بن يزيد البهرانيِّ على قُضاعةَ وإيادٍ ، وعَقَد لإياسِ بن قَبيصة على جميع العرَب ، ومعه كَتِيبتاهُ الشَّهْباءُ والدَّوْسَرُ ، فكانت العربُ ثلاثةَ آلافٍ . وعقد للهامُرْزِ على ألفٍ من الأساوِرةِ[1] ، وعقد لخُنابِرين على ألفٍ ، وبعث معهم باللَّطيمةِ ، وهي عِيرٌ كانت تخرُج من العراقِ فيها البَزّ والعِطْر والألطافُ ، تُوصَل إلى باذامَ عامِله باليمين ، وقال : إذا فَرَغْتم من عدوِّكم فسيروا بها إلى اليَمن ، وأمر عمرو بن عديٍّ أن يسيرَ بها ، وكانت العربُ تخفِرهم وتجيرهم حتى تبلغَ اللَّطيمةُ اليمنَ . وعَهِدَ كسرى إليهم إذا شارفُوا بلاد بَكْرِ بن وائلٍ ودنَوا مِنها أن يبعثوا إليهم النُّعمانَ بن زُرعةَ ، فإن أتَوْكُم بالحلقة ومائةِ غلامٍ منهم يكونون رَهْناً بما أحدث سُفهاؤهُم ، فاقبلوا منهم ، وإلاّ فقاتِلوهم . وكان كِسرى قد أوقع قبلَ ذلك ببني تميمٍ ، يومَ الصَّفْقةِ[2] ، فالعرَبُ وَجِلةٌ خائفة منه . وكانت حُرَقةُ بنتُ حسَّانَ بن النُّعمانِ بن المنذرِ يومئذٍ في بني سِنانٍ ، هكذا في هذه الرِّواية .

وقال ابنُ الكلبيِّ : حُرَقةُ بنت النُّعمانِ ، وهي هندُ ، والحرَقة لقبٌ ، وهذا هو الصحيح . فقالتْ تُنْذِرُهُم : [من الوافر]

أَلا أَبلِــغْ بنــي بكــرٍ رَسُولاً ... فقــد جَــدَّ النَّفيرُ بعَنْقَفيرِ[3]

فَلَيتَ الجيشَ كُلَّهــمُ فِداكُمْ ... ونَفسِيَ والسَّريرَ وذا السَّريرِ

كأنّي حــينَ جَــدَّ بهم إليكُمْ ... مُعَلَّقَــةُ الذَّوائــبِ بالعَبُورِ[4]

فلــو أنِّي أطقتُ لِذاكَ دَفْعاً ... إذَنْ لَدَفَعْتُــهُ بِدَمِــي وريرِي[5]

فلمّا بَلَغ بكرَ بن وائلٍ الخبرُ سار هانيء بنُ مسعودٍ حتى انتهى إلى ذي قار ، فنزل به . وأقبل النُّعمانُ بن زُرْعة ، وكانت أُمُّه قِلْطِفَ بنت النُّعمان بن معديكرِب التّغلبيِّ ، وأمّها الشَّقِيقة بنتُ الحارث الوصّاف العِجْليّ ، حتى نزلَ على ابن أُختِه مُرَّةَ بنِ عمرو بن عبدِ الله بن مُعاويةَ بن عبد الله بن قيس بن سعدِ بن عِجْل ، فحمِد الله النُّعمان وأثنى عليه ثم قال : إنّكم أخوالي وأحدُ طرَفيَّ ، وإنَّ الرائِدَ لا يَكذِبُ أهلَه[6] ، وقد أتاكُم ما لا قِبَل لكم به من أحرار

1 الأساورة : جمع أسوار ، وهو الفارس من الفرس .

2 تقدم خبر يوم الصفقة في الأغاني 17 : 228 .

3 عنقفير : داهية .

4 العبور : تعني الشعرى العبور .

5 الرير : مخ العظام وفي رواية : وزيري ، وهو ما أحكم فتله من الأوتار ، وتعني بذلك عروقها .

6 المثل «الرائد لا يكذب أهله» في مجمع الميداني 2 : 233 وجمهرة العسكري 1 : 472 .

فارسَ ، وفُرسانِ العرب ، والكتيبتان : الشَّهباءُ والدَّوْسَرُ ، وإن في هذا الشّرِّ خِياراً . ولأن يفتديَ بعضُكم بعضاً خيرٌ من أن تُصطلموا[1] ، فانظُروا هذه الحلقةَ فادفعوها وادفعوا رهناً من أبنائِكُم إليه بما أحدث سُفهاؤُكم . فقال له القومُ : ننظرُ في أمرِنا . وبعثوا إلى مَن يَلِيهمْ من بكر بن وائل ، وبَرزوا ببطحاء ذي قار بين الجهلتَيْن .

قال الأثرم : جَلْهة الوادي : ما استقبلَكَ منه واتّسع لك . وقال ابنُ الأعرابيِّ : جَلْهةُ الوادِي : مُقدَّمُه ، مثل جَلْهة الرأسِ إذا ذهب شعره ، يقال : رأس أجْلَهُ .

قال : وكان مرداسُ بن أبي عامر السُّلَميّ مُجاوِراً فيهم يومئذٍ ، فلمّا رأى الجيوشَ قد أَقبلتْ إليهم حَمَل عِيالَه فخرج عنهم ، وأنشأ يقولُ يحرّضُهم بقوله : [من البسيط]

أبلِـغ سَراةَ بنـي بكـرٍ مُغَلْغَلَةً إنّي أخافُ عليهم سُرْبَـةَ الدّارِ[2]
إنّي أرى الملِـكَ الهامُرْزَ مُنْصَلِتاً يُزْجِي جِياداً وركبـاً غير أبرارِ[3]
لا تَلْقُطُ البَعَر الحَـوْليَّ نِسْوَتُهُمْ للجائزين عَلى أعطـانِ ذِي قارِ[4]
فإن أَبَيْتُمْ فإنّـي رافِـعٌ ظُعُني ومُنْشِبٌ في جِبال اللُّوبِ أظْفاري[5]
وجاعِـلٌ بيننا وِرداً غَوارِبُـه تَرْمي إذا مـا ربـا الوادي بتيّارِ

ربا : ارتَفَع وطال ، وقوله : ورداً غواربُه : أراد البحرَ .

قال علي بن الحسين الأصفهانيّ : هذه الحكايةُ عندِي في أمر مِرداس بن أبي عامرٍ خطأ ؛ لأن وقعَةَ ذِي قار كانت بعد هجرةِ النبيِّ ، ﷺ وآله ، وكانت بين بَدْرٍ وأُحُد ومرداس بن أبي عامرٍ وحربُ بن أُميَّة أبو أبي سفيان ماتا في وقتٍ واحدٍ ، كانا مرَّا بالقريّة ، وهي غَيْضة مُلتفةُ الشَّجر ، فأحْرقا شَجَرها ليتخذاها مزرعةً ، فكانت تخرجُ من الغَيْضة حيّاتٌ بِيضٌ فتطِيرُ حتى تغيبَ . ومات حربٌ ومرداسٌ بعِقب ذلك ، فتحدَّث قومُهما أنّ الجنّ قتلتْهُما لإحْراقِها منازِلَهمْ من الغَيْضَةِ ، وذلك قبل مَبْعَث النبيِّ ، ﷺ ، بحين . ثم كانت بين أبي سُفيانَ وبين العبّاسِ بن مِرداس مُنازَعةٌ في هذه القُرية ، ولهما في ذلك خبرٌ ليس هذا مَوْضعَه . وأظنُّ أنّ هذه الأبياتَ للعبّاسِ بن مرداس بن أبي عامرٍ .

---

1 اصطلموا : استؤصلوا .
2 السربة : جماعة الخيل المغيرة ، أو السرعة في قضاء الأمر .
3 في رواية : غير أعيار أو أعرار ، والأولى جمع عير وهو الحمار الوحشي ، والثانية : جمع عر وهو الغلام .
4 أعطان : مبارك الإبل .
5 جبال اللوب : موضع .

رجع الحديث إلى سياقته في حديث ذي قار .

قال : وجعلتْ بكر بن وائل حين بَعَثُوا إلى مَن حَولَهمْ من قبائلِ بكرٍ لا تُرْفَعُ لهم جَماعةٌ إلاّ قالوا : سيدُنا في هذه . فرُفِعت له جماعةٌ ، فقالوا : سيِّدُنا في هذه ، فلمَّا دنَوا إذا هم بعبدِ عمرو بن بِشْر بن مَرْثَد ، فقالوا : لا . ثم رُفِعَت لَهُم أُخْرى ، فقالُوا : في هذه سيِّدُنا ، فإذا هو جَبَلَةُ بن باعث بن صَرِيم اليَشْكُريّ ، فقالوا : لا .

فرفِعت أُخرى ، فقالوا : في هذه سيّدُنا ، فإذا هو الحارثُ بن وعْلَة بن مُجالِدٍ الذُّهْليّ فقالوا : لا . ثم رُفِعت لهم أُخرى ، فقالوا : في هذه سيّدُنا ، فإذا فيها الحارث بن ربيعة بن عثمان التيميُّ ، من تيم الله ، فقالوا : لا . ثم رفعت لهم أُخرى أكبر ممّا كان يجيءُ ، فقالوا : لقد جاءَ سيّدنا ، فإذا رجلٌ أصلَعُ الشعر ، عظيمُ البَطْنِ ، مُشْرَبٌ حُمرةً ، فإذا هو حَنْظلةُ بن ثعلبةَ بن سيّار بن حُيَيّ بن حاطِبة بن الأسْعد بن جذيمة بن سَعد بن عجل . فقالوا : يا أَبا مَعْدانَ ، قد طال انتظارُنا ، وقد كرِهْنا أن نقطع أمراً دونَكَ ، وهذا ابن أختِكَ النُّعمانُ بن زُرعةَ قد جاءَنا ، والرائِدُ لا يكذبُ أهلَه . قال : فما الذي أجمعَ عليه رأيكم ، واتّفق عليه ملؤُكم ؟ قالوا : قال : إنّ اللّخْي أهْوَنُ من الوَهْي [1] وإنّ في الشرِّ خياراً ، ولأنْ يفتديَ بعضكم بعضاً خيرٌ من أن تُصطَلَموا جميعاً .

قال حنظلةُ : فقبّح اللهُ هذا رأياً ، لا تَجرُّ أَحرارُ فارس غُرَلَها [2] ببطحاءِ ذي قارٍ وأَنا أَسمعُ الصوتَ .

ثم أمر بقُبَّتِه فضُرِبَتْ بوادي ذي قار ، ثم نزَلَ ونزلَ الناسُ فأَطافُوا به ، ثم قال لهانىء بن مَسْعود : يا أبا أُمامةَ ، إن ذمَّتَكم ذمَّتُنا عامةً ، وإنّه لن يوصلَ إليك . حتى تفنى أرواحُنا ، فأخرِجْ هذه الحلقة ففرِّقْها بين قومِكَ ، فإن تَظْفر فستُرَدُّ عليكَ ، وإن تهلِكْ فأهونُ مفقودٍ .

فأمر بها فأُخرِجتْ ، ففرقها بينَهُم . ثم قال حنظلة للنُّعمانِ : لولا أَنَّكَ رسولٌ لما أُبْتَ إلى قومِكَ سالماً . فرجع النُّعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما ردَّ عليه القَومُ ، فباتُوا ليلتَهُم مستعدِّين للقتال ، وباتت بكرُ بن وائل يتأهّبون للحرب .

فلمّا أصبحوا أقبلت الأعاجمُ نحوهم ، وأمر حنظلةُ بالظعن جميعاً فوقفها خلفَ النّاسِ ، ثم قال : يا معشرَ بكرِ بن وائل ، قاتِلوا عن ظُعُنكم أو دَعُوا ، فأقبلتْ الأعاجمُ يسيرونَ على تعبئةٍ ، فلمّا رأتْـهُم بنو قيس بن ثعلبةَ انصرفوا فلحِقُوا بالحيّ فاستخفَّوْا فيه ، فسمِّي : «حيّ

1 اللخي : العطاء . والوهي : الوهن والهلاك .

2 الغرل : جمع غرلة ، وهي القلفة .

بني قيس بن ثعلبة» قال : وهو على موضع خفيٍّ فلم يشْهدُوا ذلك اليومَ .

وكان ربيعةُ بنُ غزالة السُّكونيّ ، ثم التُّجيبيُّ ، يومئذٍ هو وقومُهُ نُزولاً في بني شيْبانَ ، فقال : يا بني شَيبانَ ، أما لو أنِّي كنتُ منكم لأشرتُ عليكم برأيٍ مثلِ عُروةِ العِكْمِ[1] . فقالوا : فأنت والله من أوسطنا ، فأَشِرْ علينا . فقال : لا تُسْتهدَفُوا لهذه الأعاجم فتُهْلِككم بِنُشَّابها ، ولكن اتكردَسُوا لهم كراديس[2] ، فيُشدّ عليهم كُردوسٌ ، فإذا أقبلوا عليه شدَّ الآخرُ ، فقالوا : فإنَّكَ قد رأيتَ رأياً ، ففعلوا .

فلمّا التَقى الزحفانِ ، وتقارَبَ القَوْمُ قام حَنظلةُ بن ثعلبة فقال : يا معشرَ بكْر بنِ وائل ، إنَّ النُّشَّاب الذي مع الأعاجم يعرِفُكم ، فإذا أرْسَلوه لم يُخْطِئكم ، فعاجلوهم باللِّقاء ، وابدءوهم بالشِّدَّة .

ثم قام هانىءُ بنُ مسعودٍ فقال : يا قومُ ، مَهلِكٌ مَعْذُورٍ خيرٌ من نجاء معرورٍ[3] وإن الحذَر لا يدفع القَدَرَ ، وإنَّ الصَّبر من أسباب الظَّفر ، المنيّةُ ولا الدَّنيّةُ[4] ، واستقبالُ الموت خيرٌ من استدبارهِ ، والطَّعنُ في الثَّغر خيرٌ وأكرمُ من الطعن في الدُّبر ، يا قوم ، جِدُّوا فما من الموت بدٌّ ، فتحٌ لو كان له رجالٌ ، أسمعُ صوتاً ولا أرى قوماً ، يا آلَ بكرٍ ، شُدُّوا واستعدُّوا ، وإلاّ تَشُدُّوا تُرَدُّوا .

ثم قام شَرِيك بن عمرو بن شراحيل بن مُرَّة بن همَّام فقال : يا قوم ، إنّما تهابُونهم أنّكم ترَوْنهمْ عند الحفاظِ أكثرَ منكم ، وكذلك أنتم في أعينهم ، فعليكم بالصبر ، فإنّ الأسنّة تُرْدِي الأعنّة ، يا آلَ بكرٍ قُدُماً قُدُماً .

ثم قام عمرو بن جَبَلَة بن باعث بن صَرِيم اليَشْكُرِيُّ فقال : [من الرجز]

يا قَـوْمُ لا تغرُرْكم هذِي الخِرَقْ وَلا وَميضُ البَيْضِ في الشَّمْسِ برقْ
مَـنْ لم يقاتِلْ مِنْكمُ هذِي العُنُق فجنبُـوه الرَّاح واسقُـوه المَرَقْ[5]

---

1 العكم : ما جمع وشدّ لإحكام الربط . وهذا من الأمثال .

2 الكردوس : الجماعة الكبيرة من الخيل .

3 النجاء المعرور : الفرار الذي يلحق العار .

4 من المثل «لا ينفع حذر من قدر» في مجمع الميداني 2 : 237 . والمثل «المنية ولا الدنية» في مجمع الميداني 2 : 303 وجمهرة العسكري 2 : 225 وأمثال القاسم بن سلام : 197 . أمّا باقي أقواله فهي في حكم الأمثال ولكن لم ترِد في كتب الأمثال .

5 العنق : الجماعة . وفي رواية : فجنبوه اللحم . . .

ثم قام حنظلةُ بن ثعْلبة إلى وَضِينِ[1] راحلةِ امرأتِه فقطعَهُ ، ثم تتبّع الظُّعُنَ يقْطعُ وُضُنَهنّ لئلاّ يفرَّ عنهن الرجال ، فسُمِّيَ يومئذٍ : مُقطِّع الوَضين» .

والوَضِين : بِطانُ الناقةِ .

قالوا : وكانت بنو عِجل في الميمنةِ بإزاءِ خُنابرين ، وكانت بنو شَيبان في الميسرةِ بإزاءِ كتيبة الهامُرْز ، وكانت أفناءُ بكر بن وائل في القَلب . فخرج أُسوارٌ من الأعاجم مُسوَّرٌ ، في أُذنيه دُرَّتان ، من كتيبة الهامُرْز يتحدّى الناسَ للبراز ، فنادى في بني شيبان فلم يبرزْ له أحدٌ ، حتى إذا دنا من بني يَشْكُرَ برز له يزيدُ بن حارثةَ أخو بني ثعلبةَ بن عمرو فشدَّ عليه بالرُّمح ، فطعنه فدقَّ صُلْبَه ، وأخذ حِلْيته وسلاحَه ، فذلك قولُ سُوَيْدِ بن أبي كاهل يفتخر[2] : [من الطويل]

ومنَّا يَزيدُ إذْ تحـدَّى جُموعَكم فلـم تَقْرَبـوه ، المَرْزُبانُ المشهَّرُ[3]
وبـارَزَهُ منّـا غـلامٌ بِصارمٍ حُسامٍ إذا لاقـى الضَّرِيبَةَ يَبتُرُ

ثم إنَّ القومَ اقتتلوا صدرَ نهارهم أشدَّ قتالٍ رآهُ الناسُ ، إلى أن زالت الشمس . فشدّ الحوْفزانُ ، واسمه الحارث بن شَرِيك ، على الهامُرْزِ فقتَلهُ ، وقتلَتْ بنو عجلٍ خُنابرين ، وضرب اللهُ وجُوهَ الفُرْسِ فانهَزَموا ، وتَبِعتْهم بكرُ بن وائل ، فلحِق مَرثَدُ بنُ الحارث بن ثوْر بن حرْملة بن علقمة بن عمرو بن سَدُوس ، النُّعمانَ بن زرعةَ ، فأهوى له طعناً ، فسبقَهُ النّعمانُ بصدرِ فرسِهِ فأفْلتَهُ ، فقال مَرْثدٌ في ذلك : [من الطويل]

وَخَيْـلٍ تَبـارى للطِّعانِ شَهِدتُها فأغرقتُ فيها الرُّمْحَ والجمعُ مُحجِمُ
وأفلتَني النُّعمانُ قـابَ رماحِنـا وفوقَ قَطـاةِ المُهْـرِ أَزْرقُ لهذَمُ[4]

قال : ولحِقَ أسودُ بن بُجَير بن عائذ بن شَرِيك العجْليّ النُّعمانَ بن زُرعةَ ، فقال له : يا نعمانُ ، هلمّ إليَّ ، فأنا خير آسرٍ لك ، وخير لك من العطش ، قال : ومَنْ أنتَ ؟ قال : الأسودُ بن بُجيرٍ ، فوضع يدَهُ في يدِه ، فجزّ ناصيَته ، وخلّى سبيله ، وحَمَلهُ الأسودُ على فرسٍ له ، وقال له : انجُ على هذه ، فإنّها أجودُ من فَرَسكَ . وجاء الأسودُ بن بُجير على فرس النُّعمانِ بن زُرعة . وقُتِلَ خالد بن يزيدَ البهراني ، قتله الأسودُ بن شَرِيك بن عمرو ، وقُتِل يومئذٍ عمرو بن عديّ بن زَيْدٍ العباديُّ الشاعر ، فقالت أُمُّه تَرثيهِ : [من الرمل]

1 الوضين : حزام الرحل .
2 تقدمت ترجمة سويد بن أبي كاهل في الأغاني وفيها بعض أبيات هذه القصيدة في الجزء 13 : 72 .
3 عجز البيت في ترجمة سويد : فلم تفرحوه المرزبان المسور . وفي الطبري : فلم تقربوه المرزبان المسورا .
4 قطاة المهر : عجزه . واللهذم : القاطع .

وَيْحَ عمرو بن عديٍّ من رجُلْ حانَ يومـاً بعدما قيل كَمِلْ
كان لا يعقِـلُ حتى مـا إذا جاءَ يـومٌ يأكلُ الناسَ عَقَلْ
أيُّهـم دَلاَّكَ عمْرٌو للرَّدى وقديمـاً حَيّنَ المـرْءَ الأجلْ
ليـت نُعمانَ علينْـا مَلِكٌ وبُنَـيَّ ليَ حَـيٌّ لم يَزَلْ
قد تنظَّرْنـا لغـادٍ أوْبـةً كان لو أغنى عـن المرء الأمَلْ
بانَ منـهُ عَضدٌ عَـنْ ساعدٍ بؤسَ للدَّهـر وبؤسى للرجلْ

قال : وأفلتَ إيّاسُ بن قَبيصَةَ على فرس له كانت عند رجل من بني تَيْم الله يقال له : «أبو ثَوْر» فلمّا أراد إياسٌ أن يغزُوهم أرسَل إليه أبو ثور بها ، فنهاهُ أصحابه أن يفعلَ ، فقال : واللهِ ما في فرس إياسٍ ما يُعِزُّ رجلاً ولا يُذلّه ، وما كنتُ لأقطعَ رحِمَه فيها ، فقال إياس : [من الطويل]

غَذاهـا أبو ثـوْرٍ فلمّا رأيتُها دَخِيسَ دواءٍ لا أُضِيعَ غِذاؤها[1]
فأعددتُها كفـؤاً ليَوْمٍ كريهـةٍ إذا أقبلتْ بكرٌ تُجَـرُّ رشاؤها

قال : وأتْبعَتْهم بكْرُ بن وائل يقتلونهم بقيَّةَ يومهم وليلتهم ، حتى أصبحوا من الغدِ ، وقد شارفُوا السّوادَ ودخلوه ، فذكروا أنَّ مائةً من بكر وائل ، وسَبْعين منْ عِجْل ، وثلاثينَ مِن أفناء بكر بن وائلٍ ، أُصبَحوا وقد دَخلوا السّوادَ في طَلَبِ القومِ ، فلم يُفلِت منهم كبيرُ أحدٍ وأقبلتْ بكرُ بنُ وائلٍ على الغَنائم فقسَّموها بينهم ، وقسَّموا تلك اللَّطائمَ بين نِسائهم . فذلك قولُ الديّان[2] بن جَندل : [من البسيط]

إن كنتِ ساقيةً يومـاً على كَـرمٍ فاسْقي فوارسَ من ذُهلٍ بن شيبانا
واسْقِي فوارسَ حامَوْا عن ديارهِمُ واعْلِي مَفارِقَهمْ مِسكاً ورَيْحانا

قال : فكانَ أوّلَ مَن انصرَف إلى كسرى بالهزيمةِ إياسُ بن قَبِيصةَ . وكان لا يأتيه أحدٌ بهزيمةِ جيشٍ إلاّ نَزعَ كتفيه ، فلمّا أتاهُ إياسٌ سأله عن الخبرِ ، فقال : هَزمْنا بكرَ بن وائلٍ ، فأتيناك بنسائهمْ ، فأعجَب ذلك كسْرى وأمر له بكُسوة ، وإنَّ إياساً استاذنـهُ عند ذلك ، فقـال : إنَّ أخي مريضٌ بعين التَّمر ، فأردتُ أن آتِيَه ، وإنّما أرادَ أن يتنحَّى عنه . فأذِنَ له كسرى ، فترك فَرسَه «الحمامة» وهي التي كانت عند أبي ثورٍ بالحيرةِ ، ورَكِب نجيبةً فلحق بأخيه . ثـم أتى كسْرى رَجلٌ من أهلِ الحِيرة وهو بالخَوَرْنَق ، فسأل : هلْ دخَلَ على الملكِ

1 دخيس : مكتنزة .
2 ل : الدهان .

أحدٌ ؟ فقالوا : نعَمْ ، إياسٌ ، فقال : ثكِلتْ إياساً أُمُّه ! وظَنَّ أنّه قد حدَّثه بالخبر ، فدَخلَ عليه فحدَّثه بهزيمةِ القوْمِ وقتلِهِمْ ، فأمَر به فنُزِعتْ كتِفاه .

[الرسول عليه السلام يشيد بنصر العرب]

قال : وكانت وقعة ذي قار بعد وقعةِ بدْرٍ بأشهرٍ ، ورسولُ الله ، ﷺ ، بالمدينة ، فلمّا بَلغهُ ذلك قال : «هذا يومٌ انتصفتْ فيه العربُ من العجم ، وبي نُصِروا» .

قال ابنُ الكلبيّ : وأخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاسٍ ، قال : ذُكِرت وَقْعةُ ذي قارٍ عند النبيّ ، ﷺ ، فقال : «ذلك يومٌ انتصفَت فيه العربُ من العجَم وبِي نُصِرُوا» .

ورُوِي أنّ النبيّ ، ﷺ ، مُثِّلت له الوقعةُ وهو بالمدينة ، فرفع يديه فدعا لبني شيبان ، أو لجماعة ربيعةَ بالنَّصرِ ، ولم يزَلْ يدعو لهم حتى أُرِيَ هزيمةَ الفُرْسِ .

ورُوِي أنّه قال : «إيهاً بني ربيعةَ ، اللهُمَّ انْصر بني ربيعة» فهم إلى الآنَ إذا حاربوا دَعوْا بشِعار النبيِّ ، ﷺ ، ودعوتِه لهم ، وقال قائلهم : «يا رسول الله وَعْدَك» ، فإذا دَعوْا بذلك نُصِرُوا .

[الفخر بعد النصر]

وقال أبو كلبة التّيميّ يفخر بيوم ذي قارٍ[1] : [من البسيط]

لولا فوارسُ لا مِيلٌ وَلا عُزُلٌ ... من اللّهازِم ما قِظْتُم بذي قارِ[2]

ما زلتُ مُفترِساً أجسادَ أفْتيةٍ ... تُثِيرُ أعطافَها منها بآثارِ

إنَّ الفَوارسَ من عِجلٍ هُمُ أنِفُوا ... من أن يُخَلّوا لكِسْرى عَرْصةَ الدَّارِ

لاقَوْا فَوارِسَ من عِجْلٍ بشكَّتِها ... ليسوا إذا قَلَّصَتْ حربٌ بأغمارِ

قد أحسنَتْ ذُهلُ شيبانٍ وما عدَلَتْ ... في يومِ ذِي قارَ فُرْسانُ ابنِ سيَّارِ

همُ الذين أتَوْهُمْ عنْ شمائلهمْ ... كما تلبَّس وُرَّادٌ بصُدَّارِ[3]

فأجابه الأعشى فقال[4] : [من البسيط]

أبلغْ أبا كلْبةَ التَّيميَّ مألُكةً ... فأنتَ من مَعْشرٍ ، واللهِ ، أشْرارِ

شيبانُ تَدْفعُ عنك الحربَ آونةً ... وأنتَ تنبَح نبْحَ الكلْبِ في الغارِ

---

1 في الطبري أربعة أبيات من هذه القصيدة منها البيتان الأوّل والأخير هنا .

2 الطبري : ما قاظوا .

3 الطبري : نحن أتيناهم من عند أشملهم .

4 لم يرد البيتان في ديوان الأعشى .

وقال بُكَيْرٌ الأَصَمُّ[1] : [من الكامل]

إن كنتِ ساقيةَ المُدامــةِ أَهْلَها فاسقي على كَــرَمٍ بني هَمَّامِ

وأبــا رَبيعــة كلَّهــا ومُحلَّماً سبَقُوا بأنْجَــدِ غايــةِ الأيّامِ[2]

زَحفُوا بجمْعٍ لا تُــرى أَقْطارُه لقِحَتْ بِــه حرْبٌ لغيرِ تمامِ

عَرَبٌ ثلاثـــةُ آلُفٍ وكتيبةٌ أَلْفانِ عُجْمٌ مِــن بني الفَدَّامِ[3]

ضربُوا بني الأحرارِ يومَ لَقُوهُمُ بالمشرفيِّ عـــلى شُؤُون الهامِ[4]

وغدا ابنُ مَسعُودٍ فأوقعَ وَقْعةً ذَهَبَتْ لهــمْ في مُعرِقٍ وشآمِ[5]

وقال الأعشى[6] :

فِدًى لبني ذُهْلِ بن شَيبان ناقتي وراكبُهــا يــومَ اللِّقاءِ وقلَّتِ

هُمُ ضَربُوا بالحِنْوِ حِنوِ قُراقِرٍ مُقدِّمــةَ الهامُرْز حتــى تولَّتِ

وقال بعْضُ شعراء ربيعةَ في يوم ذِي قار : [من الطويل]

أَلا مَن لليــلٍ لا تغُورُ كواكبُه وهمٌّ سَرى بين الجوانحِ جانبُهْ

أَلا هَلْ أَتاها أَنّ جيْشاً عَرَمْرماً بأسفلِ ذي قارٍ أُبيدتْ كتائبُهْ

فما حلْقةُ النُّعمانِ يومَ طلبتَها بأقرَبَ من نجم السماءِ تراقبُهْ

وقال الأعشى[7] : [من البسيط]

حَلفْتُ بالمِلْح والرَّمادِ وبالعُزَّ ى وبــاللاَّتِ تُسْلَــم الحلقَهْ

حَتّى يظَــلَّ الهمــامُ مُنجدِلاً ويقْــرَعَ النَّبــلُ طُرَّة الدَّرَقَهْ

---

1 هذه الأبيات في الطبري مع اختلاف في الترتيب .

2 الطبري : سبقاً بغاية أمجد الأيام . وفي ل : سبقاً لغاية أفضل الأقسام .

3 الطبري :

عربــاً ثلاثــةَ آلــفٍ وكتيبة ألفــين أعجــمَ من بني الفدام

وفيه البيت التالي قبل هذا البيت فنصب . وقيل : كان سقاة الأعاجم إذا سقوا فدموا (أي غطوا) أفواههم (اللسان) .

4 الطبري : على مقيل الهام .

5 الطبري :

شد ابن قيس شدة ذهبت لهــا ذكـرى لــه في معـرق وشآم

6 البيتان في الطبري وديوان الأعشى (صادر) : 33 .

7 لم يرِد البيتان في ديوانه .

وقال ابن قِردِ الخنْزِيرُ التَّيْمِيُّ : [من الوافر]

أَلا أَبلِغْ بنـي ذُهْـلٍ رسُولاً ... فـلا شَتماً أَردتُ ولا فسادا

هزرتُ الحامِلِينَ لكـي يَعُودُوا ... إذا يـومٌ مـن الحَدثانِ عادا[1]

وجدتُ الرِّفْدَ رِفْدَ بني لُجَيْمٍ ... إذا مـا قَلَّـت الأَرفادُ زادا

هُم ضَرَبُوا الكتائبَ يومَ كِسْرى ... أَمامَ النّاسِ إِذْ كَرِهُـوا الجِلادا

وهُمْ ضَرَبُوا القِبابَ ببَطْنِ فَلْجٍ ... وذادُوا عـن محارِمنـا ذِيادا

وقال الأَعشى في ذلك[2] : [من البسيط]

لـو أنَّ كلَّ معـدٍّ كان شارَكَنا ... في يوم ذي قارَ ما أُخطاهُمُ الشَّرَفُ

لَمّـا أَتَوْنـا كأنَّ الليلَ يقدُمُهم ... مُطَبِّق الأَرض تغشاها لهم سَدَفُ

بطَارِقٌ وبنـو مُلْـكٍ مرازِبَـةٌ ... من الأَعاجِـمِ في آذانِها النُّطَفُ[3]

من كلِّ مَرْجانةٍ في البَحْرِ أَحْرَزَها ... تَيَّارها ووقاها طينَهـا الصَّدَفُ[4]

وظُعْنُنا خَلْفَنـا تَجْـري مَدامِعُها ... أَكبادُها وَجَلاً مِمّا تَـرى تَجِفُ[5]

يَحْسِرْنَ عن أَوجهٍ قد عايَنَتْ عِبَراً ... ولاحهـا غُبْرَة أَلوانُهـا كِسَفُ[6]

ما في الخُدودِ صُدودٌ عن وُجُوهِهِمُ ... ولا عن الطَّعْنِ في اللبَّاتِ مُنحَرِفُ[7]

عَوْداً على بَدْئِهـم مـا إنْ يُلَبِّثُهمْ ... كرَّ الصُّقُورِ بناتِ المـاءِ تَخْتَطِفُ

لَمّا أَمالُـوا إلى النُّشّابِ أَيديَهـمْ ... مِلْنا بِبيضٍ فظَـلَّ الهامُ يُقْتَطفُ[8]

وخيلُ بكرٍ فمـا تَنْفَكُّ تطحنُهُمْ ... حتـى تولَّوْا وكادَ اليومُ يَنْتَصِفُ

وقال حُرَيم بن الحارث التَّيميّ : [من الطويل]

---

1 هزر : ضرب ضرباً شديداً .

2 ديوان الأعشى : 112 مع اختلاف في الترتيب والرواية .

3 بطارق في الديوان : جحاجح .

4 أحرزها تيارها في الديوان : أخرجها غواصها .

5 وجلاً في الديوان : وجف .

6 الديوان :

حواسر عن خدود عاينت عبراً ... ولاحها وعلاها غبرة كسف

7 لم يرد هذا البيت والذي يليه في الديوان .

8 لما في الديوان : إذا .

وإنَّ لُجَيماً أَهلُ عزٍّ وَثَرْوَةٍ وأَهلُ أَيادٍ لا يُنالُ قَديمُها
همُ مَنَعُوا في يومِ قارٍ نِساءَنا كما مَنَع الشَّولَ الهِجانَ قُرومُها[1]
إذا قِيلَ يوماً أَقدِمُوا يتقَدَّموا وهل يمنعُ المخْزاةَ إلاّ صَميمُها

قال : ولم يزل قيسُ بن مسعود في سِجْن كسرى بساباطَ ، حتى مات فيه .

صوت

[من الطويل]

خليلَيّ ما صَبْرِي على الزَّفَراتِ وما طاقتي بالهمِّ والعَبَراتِ
تَساقَطُ نفسي كلَّ يومٍ وليلةٍ على إثْرِ ما قد فاتَها حَسَراتِ

الشعر : للقُحَيفِ العُقَيْليّ . والغِناء : لإبراهيمَ الموصليّ ، رمَل بالوُسْطى ، عن عمرو بن بانة ، وذكر الهِشاميُّ أنّ الرّمل لعَلّويه ، وأنّ لحنَ إبراهيم من الثّقيلِ الأوّل بالوُسْطى .

1 القروم : السادة .

[528] ـ أخبار القُحَيف ونسبه[1]

القُحَيف بن حُمَيِّر ، أحَد بني قُشَير بن مالك بن خَفاجة بن عُقَيل بن كعب بن رَبيعةَ بن عامرِ بن صَعْصَعة . شاعر مُقِلّ من شعراء الإسلام .

[تشبيه بخرقاء]

وكان يشبِّب بخرقاءَ التي كان ذو الرُّمَّة يُشَبِّب بها[2] .

فأخبرني محمد بن خَلَف بن وكيع ، وعمِّي ، قالا : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبدِ الملِك ، عن العَدَويّ ، عن أبي الحَسَنِ المدائنيّ ، عن الصّباح بن الحجَّاج عن أبيه[3] ، قال : مررتُ بخرقاءَ وهي بفَلْج فقالت : أقضَيتَ حجَّك وأتْمَمْتَه ؟ فقلتُ : نعم ، فقالت : لم تفعل شيئاً ، فقلت : ولِمَ ؟ فقالت : لأنّك لم تُلْمِم بي ولا سَلَّمتَ عليّ ، أو ما سمِعتَ قولَ ذي الرُّمَّة : [من الوافر]

تمـامُ الحـجّ أن تَقِفَ المَطايا   على خَرقـاءَ واضِعـةِ اللِّثامِ

فقال : هيهات يا خرقاءُ ، ذهب ذاك منك ، فقالت : لا تَقُلْ ذاكَ ، أما سمعتَ قولَ القُحَيْفِ عمِّك : [من الطويل]

وخَرقاءُ لا تَـزْدادُ إلاَّ مَلاحـةً   ولـو عُمِّرتْ تَعْميرَ نُوحٍ وجلَّتِ

أخبرني الحِرْميُّ بنُ أبي العَلاءِ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّارٍ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن إبراهيم الجمحيّ قال : حدّثني أبو الشِّبلِ المعَدِّي قال : نَسَب ذو الرُّمَّةِ بخرقاءَ البكّائيّةِ ، وكانت أصبحَ من القَبس ، وبقيتْ بقاءً طويلاً ، فنَسب بها القُحَيفُ العُقَيليّ فقال :

وخَرقـاءُ لا تـزدادُ إلاَّ مَلاحـةً   ولـو عمِّـرتْ تعمير نُوحٍ وجَلَّتِ

أخبرني حَبِيبُ بن نَصرٍ المهلّبيّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شَبّةَ قال : حدَّثني أبو غسّان دَماذ قال : كبِرتْ خرقاءُ حتى جاوزتْ تسعين سنة ، وأحبَّت أن تنفِّقَ ابنتَها وتُخطَبَ ، فأرسَلَتْ إلى القُحَيفِ العُقَيليّ ، وسألتْهُ أن يشبِّب بها ، فقال : [من الطويل]

---

1 ترجمة القحيف العقيلي في طبقات ابن سلام : 791−797 وذكره باسم القحيف بن سليم العقيلي ومعجم المرزباني : 211 وفيه القحيف بن حمّير (بالحاء) والمؤتلف : 129 وفيه القحيف بن خمير (بالخاء) وكذلك في الخزانة 10 : 139 .

2 تقدم الخبر وشعره في خرقاء في ترجمة ذي الرمة جزء 18 : 28 .

3 في ترجمة ذي الرمة هو الحجاج بن عمير بن يزيد .

لَقد أُرسلَتْ خَرْقاءُ نحوِي جَرِيَّها ... لِتَجعَلني خرقاءُ مِمَّن أُضَلَّتِ[1]

وخرقاءُ لا تزدادُ إلاّ مَلاحةً ... ولو عُمِّرت تَعمِير نوحٍ وجَلَّتِ

[عشق عبسية ثم رحل حياء من كذبه]

وقال عمرو بنُ أَبي عَمْرٍو الشيبانيّ : كان القُحَيف العُقَيْليّ يتحدّث إلى امرأةٍ من عَبْس ، وقد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عِشْقاً ، وكان يخبرها أنّ له نَعَماً ومالاً ، وهويته العَبْسِيّةُ ، وكان من أجمل الرجالِ وأشطِّهم[2] ، فلمّا طال عليها واستحْيا من كَذِبِه إيّاها في مالِه ارتحلَ عنهمُ ، وقال : [من البسيط]

تَقُولُ لي أُختُ عَبْسٍ : ما أَرى إبلاً ... وأَنــت تزعمُ مَن والاك صِنْدِيدُ

فقلتُ يكْفــي مكانُ اللَّوْمِ مُطَّرِدٌ ... فيــه القَتِير بسَمْرِ القَيْنِ مَشْدُودُ[3]

وشِكَّةٌ صاغَهــا وَفْــراءَ كامِلــةً ... وصارمٌ مــن سُيُوفِ الهِنْدِ مَقْدُودُ

إنِّي ليَرْعــى رجــالٌ لي سَوامَهُمُ ... لِيَ العقائِــلُ منهــا والمَقاحِيدُ

[شعره حول عدوان المهير]

وقال أَبو عمرو : كان الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك وَلَّى عليَّ بن المهاجر بن عبد الله الكلابيُّ اليمامةَ . فلمّا قُتِل الوليدُ بن يزيدَ جاءه المهيْرُ بن سلمى الحنفيّ فقال له : إنّ الوليد قد قتِل ، وإنّ لكَ عليَّ حقّاً ، وكان أبوك لي مُكرِماً ، وقد قُتِل صاحِبك ، فاختر خَصلةً من ثلاثٍ : إن شئتَ أن تُقيمَ فينا وتكونَ كأحدِنا فافْعَلْ ، وإن شئت أن تتحوّلَ عنّا إلى دارِ عمِّك ، فتنزلَها أنتَ ومَن معك إلى أن يَرد أمرُ الخليفة المُوَلّى فتعملَ بما يأمُرُ به ، فافعل . وإن شئتَ فخُذ من المال المجتمع ما شئتَ والْحق بدار قومِكَ . فأنِفَ عليّ بن المهاجِر من ذلك ولم يقْبَله ، وقال للمُهَيْر : أنت تعزلني يا ابن اللَّخْناءِ ؟ فخرج المُهَير مُغضَباً ، والتفَّ معه أهلُ اليمامةِ ، وكان مع عليَّ ستُّمائةِ رجل من أهل الشام ومثلُهم من قومِهِ وزُوّاره . فدعاهم المُهَيرُ وذكر لهم رأيه ، فأبوْا عليه وقاتلوه . وجاء سهمٌ عائرٌ فوقع في كبِدِ صانعٍ من أهل اليمامة . فقال المَهير : احمِلوا عليهم ، فحملوا عليهم فانهزموا ، وقُتِل منهم نَفَرٌ ، ودخلوا القصر وأغلقوا البابَ وكان من جُذوعٍ . فدعا المُهَير بالسَّعف فأحرقه ، ودخل أصحابُه فأخذوا ما في القَصْر ؛ وقامَ عبدُ الله بنُ النُّعمان القَيْسيّ في نفرٍ من قومه فحمَوْا بيتَ المالِ ومنعُوا منه ، فلم يَقْدر عليه المُهَير ، وجمع المُهَير جيشاً يريد أن يغزوَ بهم بني عُقيل وبني كِلابٍ ، وسائرَ بطون

---

1 جريها : رسولها .

2 أشطهم : أطولهم وأكثرهم اعتدال قامة .

3 القتير : رؤوس المسامير . وسمر : شد الشيء بالمسمار : والقين : الحداد .

بني عامرٍ ، فقال القُحيف بن حُمَيِّر لمّا بلَغَهُ ذلك : [من الوافر]

صوت

أمِن أَهْـلِ الأَرَاكِ عَفَتْ رُبُوعُ نَعَـمْ سَقْياً لهـم لو تَستطيعُ[1]

زيارتَهـم ، ولكـنْ أَحْضَرَتْنا همـومٌ مـا يزالُ لهـا مُشيعُ

غنَّى في هذين البيتين إبراهيم ، فيما ذكره هو في كتابه ، ولم يذكر طريقته :

كأنَّ البَيْنَ جَرَّعَنـي زُعافـاً مـن الحيَّـاتِ مَطعَمُه فَظِيعُ

وماءٍ قـد ورَدتُ على جِباهُ حمـامٌ حائـمٌ وقطاً وُقوعُ[2]

ومِمَّا يغنَّى فيه من هذه القصيدة : [من الوافر]

صوت

جعلتُ عِمامتي صِلةً لدَلْوي إليهِ حـينَ لم تَـرِد النُّسُوعُ[3]

لأَسْقـيَ فِتيـةً ومُنَقَّبـاتٍ أَضرَّ بِنقْيِهـا سَفَـرٌ وَجيعُ[4]

قال أَبو الفرج : غنَّى في هذين البيتين سُليمٌ ، خفيف رملٍ بالوسطى ، ذكر ذلك حَبش : [من الوافر]

لقـد جمَـع المُهَيْرُ لَنا فقُلْنا : أَتحسَبُنـا تروِّعُنـا الجُمُوعُ

ستَرْهَبُنا حَنِيفـةُ إن رأَتْنـا وفي أَيمانِنـا البِيضُ اللّمُـوعُ

عُقَيْـلٌ تَعْتَزِي وبَنُـو قُشَيرٍ تَوارى عن سواعِدِها الدُّرُوعُ

وجَعْدَةُ والحَرِيشُ لُيوثُ غابٍ لهـم في كلِّ مَعْرَكَـةٍ صَرِيعُ

فنعمَ القَوْمُ في اللَّزَباتِ قومي بنُو كَعْـبٍ إذا جَحد الرَّبيعُ[5]

كُهولٌ مَعْقِـلُ الطُّرَداءِ فيهِمْ وفتيـانٌ غَطارفـةٌ فُروعُ

فمهلاً يـا مُهَيرُ فأَنت عَبْـدٌ لِكَعْـبٍ سامِـعٌ لهـمُ مُطِيعُ

قال : وبعثَ المُهَيْرُ رجُلاً من بني حنيفةَ يقال له : المُنْذَلِف بن إدريس الحنفيّ ، إلى الفَلْج ،

1 عفت ربوع في ل : هوى يريع .

2 قد وردت في ابن سلام : قد يظل .

3 ابن سلام : لتبلغ إذ تقاصرت النسوع . وصلةً لدلوي في ل : صلة لبردي .

4 منقبات في ابن سلام : منفهات أي متعبات وأضر بنِيِّها سفر رجيع . والنيّ : الشحم والنقي : مخ العظام . والسفر الرجيع : السفر المتتابع .

5 اللزبات : الشدائد . وجحد الربيع : لم يطل .

وهو منزلٌ لبني جَعْدَةَ ، وأمَرهُ أن يأخُذَ صَدَقاتِ بني كَعْبٍ جميعاً . فلمّا بلغهم خبرُه في أطرافهم يستصرِخُون عليه . فأتاهم أبو لطيفة بن مَسْلَمة العُقَيليّ في عالمٍ من عُقيل ، فقتلوا المندَلِفَ وصلبوه ، فقال القُحَيفُ في ذلك : [من الوافر]

أتانا بالعَقِيقِ صَرِيخُ كعْـبٍ ... فحنَّ النَّبْـعُ والأَسَلُ النِّهالُ[1]

وحالَفْنا السُّيوفَ ومُضمَراتٍ ... سواءٌ هُــنَّ فينــا والعِيالُ[2]

تعادَى شُزَّباً مثــلَ السَّعـالي ... ومِن زُبَــرِ الحَديدِ لها نِعالُ[3]

وقال أيضاً ، ويروى لنَجْدة الخَفاجيّ : [من الوافر]

لقد منعَ الفرائِضَ عـن عُقَيلٍ ... بِطَعْنٍ تحـتَ ألْوِيـةٍ وضَرْبِ

تـرى مِنْهُ المُصَدِّق يـومَ وافى ... أطــلَّ عـلى مَعاشِرِه بصَلْبِ

[نظرة فاسقة في الحجّ]

قال أبو عمرو في أخباره : ونَظر بعضُ فُقَهاء أهل مكَّةَ إلى القُحَيف ، وهو يُحِدّ النظر إلى امرأةٍ ، فَنَهاهُ عن ذلك ، وقال له : أما تَتَّقي الله ؟ تنظر هذا النَّظَر إلى غير حُرْمة لك وأنت مُحْرِمٍ ؟ فقال القُحَيفُ : [من الطويل]

أقْسمتُ لا أنسى وإن شَطَّت النَّوى ... عَرانِينَهنَّ الشُّمَّ والأعـينَ النُّجْلا

ولا المِسْكَ من أعطافِهِنَّ ولا البُرى ... ضَمَمْنَ وقد لوَّيْنَها قُضُباً خُدْلا[4]

يقول لِيَ المُفْتي وهُــنَّ عَشِيَّـةً ... بمكّةَ يُلْمِحْن المهدَّبَـــة السُّحْلا[5]

تَقِ اللهَ لا تَنظـرْ إليهنَّ يا فَتى ... وما خِلتُني في الحجّ مُلْتَمِساً وَصْلا

وإنَّ صِبا ابــنِ الأربعـينَ لَسُبَّةٌ ... فكيف مع اللائي مَثَلْنَ بنا مَثْلا[6]

عَواكِفَ بالبيتِ الحــرام وربَّما ... رأيتَ عيونَ القَوْم من نحوها نُجْلا

---

1 العقيق هنا : واد باليمامة . والصريخ : المستغيث . والنبع : شجر تعمل منه القسي . والأسل : شجر كثير الأغصان دقيقها وبلا ورق . والنهال : جمع نهل ، وهي العطاش (إلى الدم) .

2 ومضمرات في ابن سلام : وصافنات .

3 ابن سلام :

شعير زادها وفتيت قــت ... ومن ماء الحديد لها نعال

وشزباً في ل : في الوغى ، والشزب : الضامرة .

4 البرى : جمع برة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال . والخدل : الممتلئة الساق .

5 المهدبة السحل : الثياب الرقيقة ذات الأهداب .

6 مثلن بنا : نكلن بنا .

صوت[1]

[من الهزج]

كَفَفْنا عن بَنـي ذُهْلٍ وقُلنـا القومُ إخوانُ[2]
عَسى الأيّامُ أن يَرجِعْـ ـنَ قوماً كالذّي كانُوا
فلمّـا صَـرَّحَ الشَرُّ وأَمسَى وهْـو عُرْيانُ[3]
ولم يبـقَ سِوى العُدْوا نِ دِنَّاهُـمْ كما دانُـوا

الشعر : للفِند الزِّمَّانيّ ، والغِناءُ : لعبدِ الله بن دَحْمان ، خفيفٌ رمَل بالبِنْصَر ، عن بَذْل والهشاميِّ وابن المكّيّ .

وتمامُ هذا الشعرِ :

شَددنا شدَّةَ اللّيـثِ غَـدا واللّيثُ غَضْبانُ[4]
بضَرْبٍ فيـه تَفْجيعٌ وتأْييـمٌ وإرْنـانُ[5]
وطَعْـنٍ كفَـمِ الزِّقِّ غَـذا والـزِّقُّ ملآنُ[6]
وفي العُـدْوانِ للعُدْوا نِ تَوهـينٌ وإقْـرانُ[7]
وبعضُ الحلْمِ عِندَ الجهْـ ـلِ للذلّـةِ إذْعانُ
وفي الشَّرِّ نَجـاةٌ حِيـ ـنَ لا يُنْجيك إحسانُ

قوله : دِنّاهم كما دانُوا ، أي جَزَيْناهُم .

ومثلُه قولُ الآخر :

إنَّا كذاكَ نَدِينُ الناسَ بالدِّينِ

والتأْيـيمُ : تركُ النساءَ أَيامى . والإرْنان والرَّنَّةُ : البُكاءُ والعَويل .

والإقران : الطَّاقةُ للشَّيء ، قال اللهُ عَزَّ وجلَّ : ﴿وما كُنَّا لَه مُقْرِنينَ﴾ أي مُطِيقينَ .

---

1 هذه هي القصيدة الثانية في حماسة أبي تمام (انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي 32–38) .

2 كففنا في الحماسة : صفحنا .

3 الحماسة : فأمسى .

4 الشطر الأول في الحماسة : مشينا مشية الليث .

5 الحماسة :

بضرب فيـه توهـ ـين وتخضيع وإقران

6 غذا : سال .

7 لم يرِد هذا البيت في الحماسة .

[529] ـ أخبار الفند الزّمّاني ونسبه[1]

[نسبه]

الفِنْدُ : لَقبٌ غَلبَ عليه ، شبّه بالفِنْد من الجَبَل ، وهو القطعةُ العظيمةُ ، لعِظَم خَلْقه .

واسمه : شهْل بن شيبان بن ربيعة بن زِمّان بن مالك بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائِلٍ .

وكان أحدَ فرسان ربيعةَ المشهورين المعدودينَ ، وشهِد حربَ بكْر وتغلبَ وقد قاربَ المائة السنةِ . فأبْلى بلاءً حسناً ، وكان مشهدُه في يومِ التحالُقِ[2] الذي يقولُ فيه طرفة[3] : [من الرمل]

سائلوا عنّا الذي يَعرِفُنا ... بقوانا يومَ تَحلاقِ اللِّمَمْ

يومَ تُبدي البِيضُ عن أسوُقِها ... وتَلُفُّ الخَيْلُ أعْراجَ النَّعَمْ[4]

[هو والشيطانتان في بني شيبان]

وقد مضى خبرُه في مقتل كُلَيْب : فأخبرني محمد بن الحسنِ بن دُرَيْد قال : حدَّثني عمِّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال : أرسلتْ بنو شيبانَ في محاربتِهم بني تغلبَ إلى بني حنيفة يستنجدونَهُمْ ، فوجَّهُوا إليهِم بالفِنْد الزِّمّانيّ في سبعينَ رجلاً ، وأرسلوا إليهِمْ : إنَّا قد بعثْنا إليكمُ ألفَ رجُلٍ[5] .

وقال ابنُ الكلبيِّ : لمّا كان يومُ التحالُقِ أقبل الفِنْدُ الزِّمانيُّ إلى بني شيبان ، وهو شيخٌ كبيرٌ قد جاوز مائة سنةٍ ، ومعه بنتانِ له شيطانتانِ من شياطين الإنسِ ، فكشفَتْ إحداهُما عَنها وتجرَّدَتْ ، وجعلت تصيحُ ببني شيبان ومَن معهم من بني بكرٍ : [من الرجز]

وَعا وَعا وَعا وَعا

حَـرَّ الجُوادُ والتَظى[6]

ومُلِئَتْ منه الرّبى

---

1 ترجمة الفند الزماني في خزانة البغدادي 3 : 434–435 و7 : 119–120 والسمط : 578–579 وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي .

2 المثل «يوم التحالق» أو «يوم تحلاق اللمم» في مجمع الميداني 2 : 439 وهو اليوم الذي حلقت فيه بنو بكر رؤوسها استبسالاً للموت وليكون ذلك علامة بينهم وبين نسائهم .

3 ديوان طرفة : 90 (صادر) .

4 أسوُق : جمع ساق ، وهو لغة في أسوق . والأعراج : جمع عرج ، وهو قطعة من الإبل نحو ثمانين أو أكثر .

5 لذلك سمّي الفند الزماني : عديد الألف .

6 حر الجواد : بضم الجيم : جهده العطش من الحر . وفي رواية : «حر الجياد والمطا» ، والمطا : الظهر .

يـــا حَبَّذا يـــا حَبَّذا
المُلْحِقُــون بالضُّحَى

ثم تجرَّدت الأُخرى وأَقبلتْ تقول[1] : [من مجزوء الرجز]

إن تُقْبِلُوا نُعانِــقْ ونَفْرِشِ النَّمارِقْ
أَو تُدْبِروا نُفارِقْ فِـراقَ غيرِ وامِقْ

قال : والتَقى الناسُ يومئذٍ ، فأصْعَدَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعْلَبة ابنتَه على جَمل له في ثنيّةِ قِضَة[2] ، حتى إذا توسَّطَها ضرب عُرقوبي الجمل ، ثم نادى : [من الرجز]

أَنا البُرَكْ أَنا البُرَكْ أَنزِلُ حيثُ أُدْرَكْ

ثم نادى : ومحلوفةٍ لا يَمُرُّ بي رجلٌ من بكر بن وائلٍ إلاّ ضربتُه بسَيفي هذا ، أَفي كلِّ يومٍ تفِرُّونَ فيعطف القومُ ؟ فقاتَلُوا حتى ظَفِرُوا فانهزمت تغلبُ .

قال ابنُ الكلبيِّ : ولحِقَ الفِنْد الزِّمّاني رجلاً من بني تغلِب يقال له : مالِك بن عَوْف ، قد طعَن صبيّاً من صبيان بكرِ بن وائل ، فهو في رأس قناتِه ، وهو يقول : يا وَيْسَ أمِّ الفرْخ[3] ، فطعنَه الفِنْد وهو وراءه ردفٌ[4] له فأنفذهما جميعاً ، وجعل يقول[5] : [من الهزج]

أَيــا طعنــةَ ما شَيْخٍ كبيرٍ يَفَــن بــالي[6]
تفتَّيتُ بهـــا إذ كـــ ـــرِه الشِّكّةَ أَمثالي[7]
تُقيــمُ المأْتَــم الأعــلى على جُهـــدٍ وإعْوالِ[8]
كجَيبِ الدِّفْنسِ الوَرْها ء رِيعَتْ بعدَ إجفالِ[9]

ويروى : قد رِيعَتْ بإجفال .

1 نسب هذا الرجز في الطبري إلى امرأة من بني عجل في وقعة ذي قار .
2 قضة : موضع .
3 ويس : بمعنى ويح .
4 يعني أنه عندما طعن الرجل كان وراء الرجل ردف فانتظمهما .
5 هذه الأبيات وردت في الحماسة 176 وبعضها في خزانة البغدادي 7 : 119 .
6 ما هنا زائدة . وكأنّه يعجب من هول الطعنة (انظر شرح الحماسة والخزانة) . اليفن : الفاني .
7 الشكة : السلاح كلّه ، وفي رواية «السَّكة» بفتح السين فيكون معناها الطعنة .
8 المأتم الأعلى : الأفظع شأناً .
9 الدفنس : الحمقاء . والورهاء : المتساقطة العقل الضعيفة التماسك .

[530] ـ أخبار عبد الله بن دحمان

عبدُ الله بن دَحمان الأشْقر المُغَنِّي . وقد تقدَّم خبرُ أبيه وأخيه الزُّبير[1] .

[يتعصب لإبراهيم بن المهدي]

وكان عبدُ الله في جَنَبة إبراهيمَ بن المهديِّ ومتعصِّباً له ، وكان أخوه الزُّبير في جنَبةِ إسحاقَ الموصليِّ ومتعصِّباً له ، فكان كلُّ واحدٍ منهما يرفع من صاحبه ويُشيدُ بذكره . فعلا الزُّبيرُ بتقديم إسحاقَ له ، لتمكُّن إسحاقَ وقبول النَّاس منه ، ولم يرتفعْ عبدُ اللهِ بذكر إبراهيم له ، مَع غضِّ إسحاقَ منه ، وكان الزُّبير على كلِّ حالٍ يتقدَّم أخاهُ عبد اللهِ .

فأخبرني الحسينُ بن يحيى ، عن حمّادٍ ، عن أبيه ، قال : كان أبي كثيراً ما يقولُ : ما رأيتُ أقلَّ عقلاً ومعرفةً ممّن يقولُ : إنّ دَحمانَ كان فاضلاً ، واللهِ ما يساوي غناؤه كلّه فَلْسَين ، وأشبهُ الناسِ به صوتاً وصنعةً وبلادةً وبرداً ابنه عبدُ الله ، ولكنَّ المحسنَ ، واللهِ ، المُجمِلَ المؤدِّيَ الضاربَ المطربَ : ابنهُ الزُّبيرُ .

وقال يوسفُ بن إبراهيم : كان أبو إسحاقَ يؤثِرُ عبدَ الله بن دَحْمان ويقدِّمهُ ، وإذا صنع صوتاً عرضهُ على أبي إسحاق فيقوِّمُه له ويُصلحُه ، مضادّةً لأخيه الزُّبير في أمره ؛ لميل الزُّبير إلى إسحاق وتعصُّبه له ، وأوصلهُ إلى الرشيدِ مع المغنِّينَ عدّة مرّاتٍ ، أخرج له في جميعها جائزةً .

صوت[2]

[من البسيط]

أَقُــولُ لَمَّــا أُتاني ثَــمَّ مَصْرَعُهُ ... لا يَبْعَدِ الرُّمْحُ ذو النّصلَيْنِ والرَّجُلُ[3]
التــاركُ القِــرْنَ مُصفــرًّا أناملهُ ... كأنّهُ مِــنْ عُقــارٍ قَهْـوةٍ ثمِلُ[4]

1 في الجزئين 6 : 19 و18 : 219 .
2 شرح أشعار الهذليين (أشعار) : من قصيدته في الجزء 3 : 1280–1285 .
3 أشعار : أقول لما أتى الناعيان به .
4 مصفراً أنامله : أي نزف دمه كله .

ليس بعَــلٌّ كبيرٍ لا شَبابَ لَــهُ ... لكــنْ أُثيلةُ صافي الوَجـهِ مُقْتَبَلُ
يُجيبُ بعــدَ الكرى لبَّيكَ داعِيَهُ ... مِجْذامــةٌ لهــواهُ قُلْقــلٌ عجِلُ

قوله : لا يَبْعَد الرُّمْح ، يَعني ابنهُ الذي رَثاه ، شبَّههُ بالرُّمْحِ في نفاذِه وحِدَّته . والنَصلانِ : السِّنانُ والزُّجُّ . والرجُلُ : يعني به ابنه أيضاً من الرُّجْلة ، يصفُه بها ، أو أنّه عَنى : لا يبعد الرجلُ ورمحُه . والعلُّ : الكبير السِّنِّ الصّغيرُ الجسم ، ويقال أيضاً للقُرادِ : عَلٌّ . والمُقْتبَل : المقبِل . وقولُه : مِجْذامةٌ لهواهُ ، يَعني أنّه يقطعُ هواهُ ولا يتّبعُه فيما يغُضُّ من قَدْره . وقُلقُل : خفيفٌ سريعٌ ، والمتقلْقل ، الخفيفُ .

الشعر للمتنخِّل الهُذليّ . والغناءُ : لمعبَد ، وله فيه لحنان : أحدُهما من القَدْر الأوسطِ من الثقيلِ الأوّل ، بإطلاقِ الوتر في مَجرى البِنصر ، عن إسحاقَ ، والآخرُ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر ، عن عمرٍو .

وذكر الهِشاميُّ أنَّ فيه للغريض لحناً من الثقيل الأوّل ، ابتداؤه :

ليسَ بِعَلٍّ كبيرٍ لا شبابَ له

والذي بعده : وأن لجميلةَ فيه خفيفَ ثقيلٍ . وفيه ثاني ثقيل يُنسَبُ إلى ابن سُرَيج ، وأظنُّه ليَحيى المكّيِّ .

وقال حبَشٌ : فيه لعبدِ الله بن العبّاس ثقيل أوّل بالبِنصر .

[531] ـ أخبار المتنخِّل ونسبه[1]

[نسبه]

المُتَنَخِّلُ لَقَبٌ ، واسمُه مالكُ بنُ عُوَيْمر بن عثمانَ بن سُوَيدِ بن حُبَيْش[2] ، بن خُناعةَ بن الدِّيلِ بن عادِيةَ بن صَعْصعة بن كعب بن طابِخة بن لِحْيان بن هُذَيل بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَرَ بن نِزار . هذه رواية ابن الكلبيِّ وأبي عمرٍو .

وروى السُّكّريُّ عن الرياشيِّ عن الأصمعيِّ ، وعن ابن حبيب ، عن أبي عُبيدةَ وابن الأعرابيِّ : أنّ اسمَه مالكُ بنُ عُوَيمر بن عثمانَ بن حُبيش بنِ عادِيةَ بن صعصعَةَ بن كعب بن طابخةَ بن لحيان بن هُذَيلٍ ، ويكنّى أبا أُثَيْلة . من شُعراءِ هُذيلٍ وفُحُولهم وفُصَحائِهم .

وهذه القصيدةُ يرثي بها ابنَه أُثيلةَ ، قتلَتْه بنو سعد بن فَهم بن عَمرو بن قيس بن عَيْلانَ بن مُضَر .

[مقتل ابنه أُثيلة]

وكان من خَبَرِ مقتلِهِ فيما ذكر أبو عمرٍو الشيبانيُّ : أنَّه خَرَج في نفرٍ من قومِه يُريد الغارةَ على فَهْم ، فسلكوا النجديّة ، حتى إذا بلغوا السَّراةَ أتاهُ رجلٌ فقال : أين تريدونَ ؟ قالوا : نُريد فهماً . فقال : ألا أدُلّكم على خيرٍ من ذَلكم ، وعلى قومٍ دارهُم خيرٌ من دار فَهْم ؟ هذه دارُ بني حَوْفٍ عندكم ، فانصبُّوا عليهم على الكداءِ حتى تُبَيِّتوا بني حَوْفٍ . فقبلُوا منه وانحرفوا عن طريقهم ، وسَلكوا في شِعب في ظهر الطريق حتى نفَذوه ، ثم سَلكوا على السّمُرةِ ، فمرُّوا بدار «بني قُرَيم» بالسَّرو ، وقد لصقَتْ سيوفُهم بأغمادِهم من الدّمِ . فوجَدوا إياسَ بن المُقْعَد في الدار ، وكان سيداً ، فقال : من أينَ أقبلتُم ؟ فقالوا : أتينا بني حَوْفٍ ، فدعا لهم بطعامٍ وشرابٍ ، حتى إذا أكلوا وشَرِبوا دلَّهُم على الطريق وركبَ معهم ، حتى أخذوا سَنَنَ قصدهم . فأتَوا بني حَوف ، وإذا هُم قد اجتمعوا مع بطنٍ من فَهم للرّحيل عن دارهم ، فلقِيهم أوّلٌ من الرّجال على الخيل فعرفوهم ، فحملوا عليهم وأطردوهم ورمَوْهم ، فأثبتوا أُثيلةَ جريحاً ومضَوْا لطِيّتهم ، وعاد إليه أصحابُه فأدركوه ولا تحامُلَ به ، فأقاموا عليه حتى مات ، ودفنوه في موضعه .

---

1 ترجمة المتنخل الهذلي في الشعر والشعراء : 552–553 والمؤتلف : 129 والسمط : 724 والعيني 3 : 517 وشعره في الجزء الثالث من شرح أشعار الهذليين .

2 شرح أشعار الهذليين : خنيس .

فلمّا رجعوا سألهم عنه المتنَخّل ، فدامَجوه[1] وسترُوه .

ثم أُخبره بعضهم بخبَره ، فقال يرثيه[2] : [من البسيط]

مـا بالُ عينكَ تبكي دَمْعُها خضِلُ ... كما وهى سَرِبُ الأخرابِ مُنبزِلُ[3]

لا تَفتأُ الدَّهــرَ مِـن سَحٍّ بأربعةٍ ... كأنَّ إنسانَها بالصَّاب مُكتحِلُ[4]

تبكي على رجُــلٍ لم تَبـلَ جِدَّتُه ... خلّى عليها فِجاجـاً بينها خلَلُ[5]

وقد عجبتُ وهل بالدَّهْرِ من عَجَبٍ ... أنّى قُتِلتَ وأنــتَ الحازمُ البطَلُ

وَيــلِ أمِّــهِ رجلاً تأبى بـه غَبَناً ... إذا تجــرَّدَ لا خــالٌ ولا بَخَلُ

خالٌ : من الخُيلاء ، ويروى : خَذِل .

السالكُ الثُّغْــرةَ اليقظـانَ كالِئُها ... مشْيَ الهَلوك عليْها الخيعَلُ الفُضُلُ[6]

والتاركُ القِــرنَ مُصفــرًّا أناملُــه ... كأنّه مــن عُقــارٍ قهــوةٍ ثَمِلُ

مُجــدَّلاً يتسَقّى جلــدُهُ دَمَــهُ ... كما يُقطَّرُ جِذْعُ الدَّومـةِ القُطُلُ[7]

ليس بعَــلٍّ كبيرٍ لا شَبابَ بــهِ ... لكِــن أُثيلةُ صافي الوجـهِ مُقتبَلُ

يُجيبُ بعـد الكَرى لبَّيكَ داعِيَه ... مِجْذامــةٌ لهــواهُ قُلْقُــلٌ عَجِلُ

حُلوٌ ومُــرٌّ كعَطفِ القِدْح مِرَّتُه ... في كلِّ آنٍ أتــاهُ الليــلُ ينتعِلُ[8]

فاذهبْ فأيُّ فتًى في النَّاسِ أحرزَهُ ... من حتْفِه ظُلَمٌ دُعْــجٌ ولا جَبَلُ[9]

فلو قُتِلْتَ ورِجلي غيرُ كارهــةِ الــ ... ـإدْلاجِ فيها قَبيضُ الشَّدِّ والنسَلُ[10]

---

1 دامجوه : كتموا أمره .

2 هذه هي القصيدة التي أُشرنا إليها من قبل .

3 الأخراب : عرى المزادة ، واحدتها خُربة . وفي الديوان : الأُخرات ، جمع خرت ، وهو الثقب .

4 الصاب : شجرة إذا ذبحت يخرج منها لبن إذا أصاب شيئاً أحرقه .

5 لم تبل جدته : أي مات شاباً . وخلى عليك فجاجاً : أي كان يسد كل مكروه فلمّا مات خلى فجاجاً ينفذ منها الشر . وعليها في الديوان «عليك» .

6 الثغرة والثغر واحد ، وهو مكان الخوف . والهلوك : الغنجة المتكسرة . والخيل : درع يخاط أحد شقّيه ويترك الآخر . والفضل : التي ليس لثوبها إزار . فالخيعل : ثوب . الفضل امرأة ، ورفعه على المجاورة .

7 الدَّومة في الديوان : النخلة . والجذع القطل : العود المقطوع .

8 الديوان : بكل إنْي حذاه الليل ينتعل . ومعناه أنه يسري في كل ساعة من الليل .

9 أحرزه من حتفه : منع حتفه .

10 عدو قبيض : شديد . والنسل : من نسلان الذئب ، وهو ضرب من المشي نحو الهَدَج .

إذنْ لأَعملتُ نفسي في غزاتهم ... أَو لابتَعثْتُ بـهِ نَوْحاً لـهُ زَجَلُ[1]
أقـولُ لمَّا أتـاني الناعِيان بهِ : ... لا يَبعَد الرمحُ ذو النّصْليْنِ والرجُلُ
رُمحٌ لنـا كان لم يُفلَلْ تنوءُ بـهِ ... تُوفَى بهِ الحرْبُ والعزَّاءُ والجُلَلُ[2]
ربَّـاءُ شمَّاءُ لا يدنُـو لِقُلَّتهـا ... إلاّ السَّحابُ إلاّ النُّوبُ والسَّبَلُ[3]

[يرثي أباه]

وقال أَبو عمرٍو الشيبانيُّ : كان عمرُو بن عثمان ، أَبو المتنخِّل يُكنى أَبا مالكٍ ، فهلك ، فرثاهُ المتنخِّل فقال[4] : [من المتقارب]

أَلا مَـن يُنادي أَبا مالكٍ ... أَفي أَمْرنـا أَمرُهُ أَم سِواهْ
فواللهِ مـا إنْ أَبو مالكٍ ... بـوانٍ ولا بضعيفٍ قُواهْ[5]
ولا بأَلَـدَّ لـه نـازعٌ ... يُعادي أَخاهُ إذا ما نهاهْ[6]
ولكنّـه هَيِّـنٌ ليِّـنٌ ... كعاليةِ الرُّمْح عَرْدٌ نَساهْ[7]
إذا سُدتَه سُدتَ مِطواعةً ... ومهما وكَلْتَ إليهِ كفاهْ
أَبو مالـكٍ قاصرٌ فقـرَهُ ... على نفسِه ومُشِيـعٌ غِناهْ

[تمثل بشعره]

حدَّثني أَبو عُبيد الصَّيرفيُّ قال : حدَّثنا الفضلُ بن الحسن البصريُّ قال : حدَّثنا أَحمد بن راشِدٍ قال : حدَّثني عَمِّي سعيد بن خَيْثَم قال : كان أَبو جعفرٍ محمدُ بن عليٍّ ، عليهما السلامُ ، إذا نظر إلى أَخيهِ زيدٍ تمثّلَ :

لعمرُكَ ما إنْ أَبُو مالكٍ ... بـواهٍ ولا بضعيفٍ قُواهْ
ولا بأَلَـدَّ لَـهُ نـازعٌ ... يُعادِي أَخاهُ إذا مـا نهاهْ

---

1 لأعملتُ في الديوان : إذن لأعلمت .
2 ل : الحرب والضراء . والجلل : الأمور العظيمة ، جمع جلّى .
3 الديوان : لا يأوي لقلّتها . . . وإلاّ الأوب . والأوب : رجوع النحل . والسبل : المطر وفي رواية «إلا العقاب وإلاّ . . .» . والمعنى أنّ هذه الهضبة لا يعلوها لارتفاعها إلاّ العقاب والنحل والمطر .
4 شرح اشعار الهذليين : 1276–1277 مع اختلاف في الترتيب .
5 الديوان : لعمرك ما .
6 يعادي أخاه في الديوان : يغاري أخاه .
7 عرد نساه : شديد ساقه .

ولكنّــه هيّــنٌ ليّــنٌ كعاليةِ الرُّمْحِ عَرْدٌ نَساهْ
إذا سُدتَه سُدتَ مِطْواعةً ومهما وكَلتَ إليهِ كفاهْ
أَبُو مالكٍ قاصرٌ فقــرَهُ على نفسهِ ومُشِيعٌ غِناهْ

ثم يقول : «لقد أنجبتْ أُمٌّ وَلَدتْك يا زيدُ ، اللّهُمَّ اشدُدْ أَزْري بِزَيْدٍ» .

[أجود طائية]

أخبرني محمدُ بن العبّاسِ اليَزيديُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيُّ ، عن الأصمعيِّ قال : أَجودُ طائيةٍ قالتها العربُ قصيدةُ المُتَنَخِّل[1] : [من الوافر]

عَرفتُ بأَجْدُثٍ فنِعافِ عِرْقٍ عَلامــاتٍ كتَحْبيرِ النِّمــاطِ
كأَنَّ مَزاحــفَ الحيَّاتِ فيهــا قُبيــلَ الصُّبحِ آثــارُ السِّياطِ

في هذين البيتين غِناء : [من الطويل]

صوت[2]

عَجبتُ لِسعْي الدَّهر بيني وبينها فلمّا انقضَى ما بيننا سكَن الدَّهْرُ
فيا هجْرَ ليلى قد بلغْتَ بيَ المدى وزدتَ على ما لم يكنْ بَلَغَ الهَجْرُ[3]
ويا حُبَّها زِدْني جوًى كُــلَّ ليْلةٍ ويــا سَلْوةَ الأيّامِ موعدُكِ الحَشرُ
أما والذي أَبكى وأَضحَكَ والذي أَماتَ وأَحيــا والذي أَمرُهُ الأَمْرُ
لَقد تركَتني أَحسُدُ الوحشَ أَن أَرى أَلِيفَيْن منهــا لا يَرُوعُهُما الزجْرُ[4]

الشعر : لأَبي صخرٍ الهُذَليِّ . والغِناء : لَمعبَد في الأوّل والثاني من الأبيات ، ثاني ثقيل بالوُسطى عن عمرٍو ، ولابن سُرَيجٍ في الرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ ولعريبَ فيهما أيضاً ثقيلٌ أوّلُ آخرُ ، وهو الذي فيه استهلال . وللواثق فيهما رمَلٌ ، ولابن سُريجٍ أيضاً ثاني ثقيل في الثالثِ وما بعدَه ، عن أحمدَ بن المكّيّ ، وذكرَ ابن المكّيّ أنّ الثقيلَ الثاني بالوسطى لجدّه يحيى المكّيّ .

---

1 هذان البيتان من قصيدة تتألف من أربعين بيتاً ، وهما الأول والتاسع والعشرون في شرح أشعار الهذليين : 1266–1277 .

2 هذه الأبيات من رائية أبي صخر الهذلي المشهورة (شرح أشعار الهذليين 2 : 956–959 وأمالي القالي 1 : 148–150) وقد نسب بعض أبياتها إلى مجنون ليلى (ديوانه : 130–132) .

3 الأمالي : فيا حب ليلى .

4 شرح أشعار الهذليين : أغبط الوحش .

[532] ـ أخبار أبي صخر الهذلي ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبدُ الله بن سَلْمٍ[2] السَّهميّ ، أحد بني مُرمِضٍ[3] وهذا أكثرُ ما وجدتُه من نسبهِ في نسخةِ السُّكريِّ ، وهي أتمُّ النسخِ مِمّا يأثُرُه عن الرّياشي عن الأصمعيِّ ، وعن الأثرمِ عن أبي عبيدة ، وعن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ . وهو شاعر إسلاميّ من شعراءِ الدولةِ الأمويّة ، وكان مُوالياً لبني مروانَ ، متعصّباً لهم ، وله في عبدِ الملك بن مروان مدائحُ ، وفي أخيه عبد العزيز ، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيدٍ . وحَبَسَه ابنُ الزُّبير إلى أن قُتِل .

[كان أموي الهوى غاضباً على ابن الزُّبير]

فأخبرني يحيى بن أحمد بن الجوْن ، مولى بني أُميَّة ، لقيته بالرّقَّة ، قال : حدَّثني الفيض بن عبدِ الملِك قال : حدَّثني مولايَ عن أبيهِ ، عن مَسلَمة بن الوليدِ القرشيِّ ، عن عبد العزيز بنُ عمر بن عبد العزيز قال : لمّا ظَهر عبدُ الله بن الزُّبير بالحجاز وغلب عليها ، بعد موت يزيدَ بن مُعاويةَ ، وتشاغل بنو أُميَّة بالحرب بينهم في مرْج راهِط وغيره ، دخل عليه أبو صَخْرٍ الهذليُّ ، في هُذيلٍ . وقد جاءوا ليقْبِضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهواهُ في بني أُميّة ، فمنعه عطاءه ، فقال : علامَ تمنعني حقّاً لي ؛ وأنا امرؤ مُسلمٌ ، ما أحدثتُ في الإسلام حدَثاً ، ولا أخرجْتُ من طاعةٍ يداً ؟ قال : عَليكَ بني أُميّة فاطلبْ عندهم عَطاءَك .

قال : إذن أجدهم سباطاً[4] أكُفُّهم ، سَمِحةً أنفسهُم ، بُذَلاءَ لأموالهم ، وهّابين لمجتَدِيهم ، كريمةً أعراقُهم ، شريفةً أصولهم ، زاكيةً فروعُهم ، قريباً من رسولِ اللهِ ، ﷺ ، نسبُهم وسَببهم ؛ ليسوا إذا نُسِبوا بأذنابٍ ولا وشائظَ[5] ولا أتباعٍ ، ولا هم في قُرَيشٍ

---

1 ترجمة أبي صخر الهذلي في الشعر والشعراء : 467 (الحاشية) وخزانة البغدادي 3 : 261–263 والسمط : 399 والعيني 1 : 62 وأمالي القالي 1 : 146 وشعره في الجزء الثاني من شرح أشعار الهذليين .

2 شرح أشعار الهذليين (أشعار) : سلمة .

3 أشعار : أحد بني مُرَمَّض بفتح الراء وأضاف الشارح : وفي موضع آخر بكسر الميم والكسر الصواب .

4 سبط الكف : سمح سخي .

5 وشائظ : دخلاء .

كفِقعَةِ القاع[1] ، لهُم السؤدُدُ في الجاهليّة ، والمُلكُ في الإسلام ، لا كمَن لا يُعدُّ في عِيرها ولا نفيرها[2] ، وَلا حُكّم آباؤه في نقيرِها ولا قِطميرِها[3] ، ليسَ من أحلافها المطيَّبين ، ولا من ساداتها المطعِمين ، ولا من جُوَدائها الوهّابين ، ولا من هاشمها المنتخَبين ، ولا عبد شمسها المسوَّدين . وكيف تُقابلُ الرؤوسُ بالأذنابِ ؟ وأين النَّصْلُ من الجفن ؟ والسِّنانُ من الزُّجِّ ؟ والذُّنابى من القُدامى ؟ وكيف يُفضَّل الشَّحيحُ على الجوادِ ، والسُّوقةُ على الملكِ ، والمُجيعُ بُخلاً على المطعِم فضلاً ؟ فغضِبَ ابنُ الزُّبير حتى ارتعدتْ فرائصُه ، وعَرِقَ جبينه ، واهتز من قَرنه إلى قدمِه وامتُقِع لونُه ، ثم قال له : يا ابن البوّالة على عقبيها ، يا جِلفُ ، يا جاهلُ ، أما واللهِ لولا الحرماتُ الثّلاثُ : حُرمةُ الإسلام ، وحُرْمة الحَرَمِ ، وحُرمةُ الشهر الحرامِ ، لأخذتُ الذي فيه عيناكَ .

ثمَّ أمَرَ به إلى سجن عارمٍ ، فَحُبِس به مُدّةً ، ثم استوْهبته هُذيلٌ ومنْ له بين قريشٍ خُؤولةٌ في هُذيل ، فأطلقه بعد سنةٍ ، وأقسم ألاّ يُعطيَه عطاء مع المسلمينَ أبداً .

[عبد الملك يقربه ويصله]

فلمّا كان عام الجماعةِ ووُلّي عبدُ الملك وحجَّ ، لقيهُ أبو صخر ، فلمّا رآه عبدُ الملك قرّبه وأدناه ، وقال له : إنّه لم يخْفَ عليَّ خبرُك «مع الملحدِ» ولا ضاع لكَ عندي هَواك وموالاتُك ؛ فقال : أما إذ شفى اللهُ منه نفسي ، ورأيتُه قتيل سيفك ؛ وصريعَ أوليائك ، مصلوباً مهتوك السِّتر ، مفرَّق الجمع ، فما أُبالي ما فاتني من الدُّنيا .

ثم استأذنه أبو صخر في الإنشاد ، فأذِن له ، فمثل بين يديه قائماً ، وأنشأ يقول[4] : [من الطويل]

عفَت ذاتُ عِرْقٍ عُصلُها فرِئامُها ... فدهناؤها وَحْشٌ وأجلى سَوامُها[5]

على أنَّ مَرسى خَيمةٍ خَفَّ أَهلُها ... بأَبْطحَ مِحلالٍ وَهَيهاتَ عامُها[6]

إذا اعتلَجَتْ فيها الرِّياحُ فأَدْرجتْ ... عَشيّاً جرى في جانبيها قُمامُها

1 تقدم هذا المثل الذي يضرب في الذلة جزء 18 : 82 .

2 المثل «لا في العير ولا في النفير» في الفاخر : 177 ومجمع الميداني 2 : 221 وجمهرة العسكري : 2 : 376 ومستقصى الزمخشري 2 : 264 .

3 النقير : نقرة في النواة ، والقطمير : القشرة الرقيقة على النواة ، وكلاهما حقير .

4 أشعار : 953–956 مع اختلاف في الترتيب .

5 عصل ورئام ودهناء : أسماء مواضع .

6 في أشعار الهذليين «سوى» بدل «على» وبأبهر بدل بأبطح ، والأبهر : اللين من الأرض .

وإنَّ مَعاجي في الدِّيـار وموقِفي بدارسة الرَّبعـين بـالٍ ثُمامُها[1]
لجهـلٌ ولكنّـي أسلّي ضَمانةً يُضعِّفُ أسرارَ الفـؤاد سَقامُها[2]
فأقصِرْ فلا ما قد مَضى لكَ راجع وَلا لـذَّةُ الدُّنيا يَدُومُ دوامُها[3]
وَفـدٌ أميرَ المؤمنين الذي رَمـى بجأواءَ جُمهـورٍ تَسيلُ إكامُها[4]
مِن أرض قُرى الزيتون مكّة بعدما غُلِبْنـا عليهـا واستُحِلَّ حرَامُها

يقول : رَمى مكّةَ بالرّجال من أهل الشام ، وهي أرضُ الزَّيتون .

وإذ عاثَ فيها النَّاكِثون وأفسدُوا فخِيفَتْ أقاصِيها وطـار حَمامُها
فشَجَّ بهـم عَـرضَ الفَلاةِ تعَسُّفاً إذا الأرضُ أخْفى مُستَواها سَوامُها[5]
فَصبَّحُهم بالخيلِ تزحَـفُ بالقَنا وبَيْضاءَ مثلِ الشَّمْس يبْرُق لامُها[6]
لهمْ عسكَرٌ ضافِي الصُّفوفِ عَرَمْرَمٌ وجُمهورَةٌ يَثني العـدوَّ انتقامُها[7]
فطهَّر منهمْ بطـنَ مكّـةَ ماجِـدٌ أبى الضَّيْمَ والميلاءَ حينَ يُسامُها[8]
فدَعْ ذا وبشِّر شاعِرَيْ أُمِّ مالكٍ بأبياتِ مـا خِزيٍ طوِيل غُرامُها[9]

شاعرَيْ أُمِّ مالكٍ : رجلان من كنانة كانا مع ابن الزُّبير ، يمدحانه ويحرِّضانه على أبي صخر ، لعداوةٍ كانَتْ بيْنهما وبينه .

---

1 أشعار : بوانية البندين بال ثمامها . والبندان : شرط الخيام التي تشد بها ، واحدها بند .
2 أشعار : أسلي زمانة .
3 أشعار : تمور إكامها .
4 أشعار :
وألحـد فيهـا الفاسقون وأفسدوا فخافـت فواشيها وطار حمامها
الفواشي : المال الراعي .
5 أشعار :
يشج . . . . وأما إذا يخفى مـن أرض علامهـا
6 لم يرد هذا البيت في متن القصيدة في شرح أشعار الهذليين . ولامها : مخفف لأمها ، وهي أداة الحرب .
7 أشعار :
له عسكر طاحي الصفاف عرمرم وجمهورة يزهـى العدو احتدامها
8 أشعار : أبيٌّ شباةِ الضيم حين يسامها .
9 لم يرِد هذا البيت في متن القصيدة في شرح أشعار الهذليين . وشاعرا أم مالك هما رجلان من كنانة كانا يمدحان ابن الزّبير ويحرضانه على أبي صخر لعداوة كانت بينهما وبينه .

فإنْ تَبـدُ تُجدَعْ مَنْخِراكَ بمُدْيةٍ مُشَرْشرةٍ حَرَّى حَديدٍ حُسامُها[1]

وإن تخفَ عنَّا أو تخَفْ منْ أذاتِنا تَنُوشُك نابـا حَيَّـةٍ وسِمامُها[2]

فلـولا قريشٌ لاسْتُرِقَّت عَجُوزُكم وطالَ على قُطْبَي رَحاها احتِزامُها

قال : فأمرَ له عبدُ الملك بما فاتهُ من العطاء ، ومثلِه صِلةً من مالِه ، وكَساهُ وحمَلَه .

[رثاء حيّ]

ونَسَخْتُ منْ كتاب أبي سَعيدٍ السُّكَّريِّ ، عن مُحمد بن حبيبٍ ، عن ابن الأعرابيّ وأبي عبيدة قالا : كان أبو صخر الهذليُّ مُنقطعاً إلى أبي خالدٍ عبدِ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ؛ مدّاحاً له ، فقال له يوماً : ارْثني يا أبا صخر وأنا حيٌّ ، حتى أسمع كيف تقول ، وأين مراثيك لي بعدِي من مديحَك إيّايَ في حياتي ؟ .

فقال : أُعيذُكَ باللهِ أيُّها الأميرُ من ذلك ، بل يُبقيكَ اللهُ ويقدِّمني قبلك ، فقال : ما مِنْ ذلك بُدٌّ . قال : فرثاهُ بقصيدته التي يقولُ فيها[3] : [من الطويل]

أبا خالدٍ نفسِي وقتْ نَفْسَك الرَّدى وكانَ بها من قبـلِ عَثرتك العَثْرُ

لتبكِك يـا عبـدَ العزيـز قلائصٌ أضرَّ بهـا نصُّ الهواجر والزَّجرُ[4]

سَمونَ بنـا يَجْتَبْن كلَّ تَنُوفـةٍ تضِلُّ بها عنْ بَيْضِهنَّ القطا الكُدرُ

فما قدِمَتْ حتـى تواتـرَ سَيرُها وحتى أُنيخَتْ وهي ظالعةٌ دُبْرُ[5]

فَفرَّجَ عنْ رُكْبانِها الهَم والطّوى كريمُ المحيَّـا ماجـدٌ واجدٌ صَقْرُ

أخو شَتواتٍ تَقْتُـل الجوعَ دارُهُ لِمَـنْ جاءَ لا ضَيْقُ الفِناءِ ولا وعرُ

ولا تَهنِـىءِ الفِتْيـانَ بعدَك لذَّةٌ ولا بلَّ هامَ الشامتين بِكَ القطْرُ[6]

وإن تُمسِ رمساً بالرُّصافةِ ثاويـاً فما مات يا ابنَ العِيصِ نائِلُك الغَمرُ[7]

---

1 أشعار :

وإن تبد تَجـدع منخريـك بمديـة مشرشرة حـرى رميض حسامهـا

2 أشعار :

فإن تبدُ أو تستخفِ تغضِ على أذى ويخطفـك نابـا حيـة وسمامهـا

3 أشعار : 950–953 .

4 أشعار : أضر بها طول المنصة والزجر .

5 أشعار : وهي داهفة دبر .

6 أشعار : فلا نفع الفتيان .

7 أشعار : أيامك الزهر .

وذي ورقٍ من فضلِ مالِكَ مالُه ... وذي حاجةٍ قد رِشْتَ ليس له وفرُ
فأمْسى مُرِيحاً بعدَ ما قد يؤوبه ... وكَلٌّ به المَوْلى وضاقَ به الأَمرُ

قال : فأضْعَفَ لهُ عبدُ العزيز جائِزَتَه ووصَلَه ، وأمر أولاده فرَووا القصيدة .

[رثاء ابنه]

وقال أبو عَمرو الشيبانيُّ : كان لأبي صَخرٍ ابنٌ يقالُ له داوُد لم يكن له ولدٌ غيرُه ، فماتَ ، فجزِع عليه جزعاً شديداً حتى خُولِط ، فقال يرثيه[1] : [من الطويل]

لقد هاجَني طيفٌ لداوُد بعدما ... دَنتْ فاستقلَّتْ تالياتُ الكواكبِ
وما في ذُهولِ النفس عن غيرِ سَلوةٍ ... رَواحٌ من السُّقم الذي هو غالبي[2]
وعندكَ لو يحيا صداكَ فنَلتَقي ... شِفاءٌ لمَنْ غادرتَ يومَ التّناضبِ
فهلْ لَك طِبٌّ نافعي من عَلاقةٍ ... تُهيِّمُني بين الحشا والتَّرائبِ
تشكِّيتها إذْ صدَّع الدَّهرُ شَعْبنا ... فأَمستْ وأَعيت بالرُّقى والطَّبائبِ[3]
ولولا يقيني أنَّما الموتُ عزمةٌ ... منْ اللهِ حتى يُبعثُوا للمَحاسبِ[4]
لقلتُ له فيما أُلِمُّ برمْسِه : ... هلَ آنتَ غداً غادٍ مَعي فَمُصاحبي
وماذا ترى في غائبٍ لا يُغِبُّني ... فلستُ بناسيه وليس بآئبِ[5]
سألتُ مليكي إذ بلاني بفقدِه ... وفاةً بأيدِي الرُّوم بين المقانبِ[6]
ثَنوْنِي وقد قدَّمْتُ ثأرِي بطعْنةٍ ... تجيشُ بَموَّارٍ من الجوفِ ثاعِبِ[7]
فقد خِفْتُ أن ألقى المَنايا وإنَّني ... لَتابعُ مَنْ وافى حِمامَ الجوالبِ
ولَمّا أُطاعِنْ في العدُوِّ تنفُّلاً ... إلى اللهِ أبغي فضْلَهُ وأُضاربِ
وأعطِفْ وراءَ المُسْلِمينَ بِطَعْنةٍ ... على دُبُرٍ مُجْلٍ من العيشِ ذاهِبِ[8]

1 من قصيدة في شرح أشعار الهذليين : 916–923 .
2 النفس في أشعار : الناس .
3 أشعار : فأمست قد آعيت .
4 أشعار : ولولا يقين .
5 لا يغبني : لا يزورني غبا .
6 المقانب : جمع مقنب ، وهو الجماعة من الخيل للغارة .
7 أشعار : تجيش بقلاص . والقلاص والموار بمعنى ، وهو الجرح الذي يفيض بشدّة . وثاعب : جارٍ .
8 بطعنة في أشعار : بشدة .

[رده على من عابه]

وقال أبو عمرٍو : بلغ أبا صخرٍ أنَّ رجلاً من قومه عابَهُ وقدح فيه ، فقال أبو صخرٍ في ذلك[1] : [من الكامل]

ولقـد أتـاني ناصحٌ عَنْ كاشحٍ بعَـداوةٍ ظهـرتْ وقُبْـحِ أقاوِلِ[2]
أَفَحِينَ أحكمني المشيبُ فلا فتًى غُمْرٌ ولا قَحْـمٌ وأعصلَ بازلي[3]
ولبِسْتُ أطـوارَ المعيشةِ كُلَّهـا بمُؤبَّـداتٍ للرِّجـالِ دَواغِلِ[4]
أَصْبَحْتَ تَنقُصُني وتَقْرَعُ مَرْوَتي بَطِـراً ولم يرْعَبْ شِعابَك وابلي[5]
وتنلكَ أظفـارِي ويبرِكَ مِسْحَلي بَرْيَ الشَّسِيبِ من السَّراء الذَّابِلِ[6]
فتكـونَ للباقـين بعـدكَ عِبرةً واطَـأً جَبِينَـك وَطـأةَ المُتثاقِلِ

[شعره في امرأة تزوجت ورحلت]

وقال أبو عمرٍو : وكان أبو صخرٍ الهذليُّ يهوى امرأةً من قُضاعة ، مجاورةً فيهم ، يقال لها ليلى بنتُ سَعْد ، وتكنى أُمَّ حَكيم ، وكانا يتواصلانِ بُرهةً من دهْرِهما ، ثم تزوَّجت ورحَل بها زوجُها إلى قومِهِ ، فقال في ذلك أبو صخرٍ[7] : [من الطويل]

أَلَمَّ خَيـالٌ طـارقٌ متـأوِّبُ لأُمِّ حكيمٍ بعدمـا نِمتُ مُوصِبُ[8]
وقـد دَنَـت الجوْزاءُ وَهْـيَ كأنَّها ومِرْزَمَهـا بالغَـوْرِ ثَـوْرٌ ورَبْربُ[9]
فبـاتَ شَرابي في المنـامِ مـع المُنى غَريضُ اللَّمى يَشْفي جَوى الحُزْنِ أشنَبُ[10]

---

1 من قصيدة في شرح أشعار الهذليين : 927–930 .
2 أشعار : «بل قد» بدل من «ولقد» و«زَغْر» بدل و«قبح» .
3 أعصل بازلي : اشتد نابي .
4 أشعار :

ولبست أطوار المعيشة كلهـا وعرفت من حق وراع عواذلي
وذببت عن أفناء خندف كلها بمؤبـدات للرجـال عداملي

مؤبدات : وحشيات ، يعني شعره . وعدامل : قديمة .
5 لم يرعب : لم يملأ .
6 الشسيب : القوس . والسَّراء : شجر تتّخذ منه القسي . والمسحل : مثل المبرد .
7 من قصيدة في «شرح أشعار الهذليين» 936–938 .
8 موصب : من الوصب ، وهو الوجع والألم .
9 المرزم : نجم من نجوم المطر ، وهما مرزمان .
10 الغريض : ماء المطر وكل أبيض طري .

قُضاعِيَّةٌ أدنى دِيارٍ تَحُلُّها قَناةُ وأنَّى من قناة المُحَصَّبُ[1]
سراجُ الدُّجى تَغْتَلُّ بالمسك طَفْلَةٌ فلا هي مِتْفالٌ ولا اللَّونُ أَكْهبُ[2]
دَميثةُ ما تحت الثِّيابِ عَميمةٌ هَضيمُ الحشا بِكْرُ المجسّةِ ثَيِّبُ[3]
تعلَّقْتُها خَوْداً لذيذاً حديثُها ليالِيَ لا تُحْمى ولا هِيَ تُحْجَبُ[4]
فكانَ لها وُدِّي ومحْضُ عَلاقتي وَليداً إلى أَنْ رأْسِيَ اليومَ أَشْيبُ[5]
فلم أَرَ مثلي أَيأَسَتْ بعد عِلْمِها بِوُدِّي ولا مِثْلي على اليأسِ يَطْلبُ
ولو تلتقي أصداؤُنا بعدَ موْتِنا ومِن دُونِ رَمْسَيْنا من الأرضِ سَبْسبُ[6]
لظلَّ صَدى رمسي ولو كنتُ رِمَّةً لِصوتِ صَدى ليلى يَهَشُّ ويطرَبُ[7]

[الرائية المشهورة]

وقصيدة أبي صخر التي فيها الغناءُ المذكورُ من مختار شعر هُذَيلٍ ، وأوَّلُها[8] : [من الطويل]

لِلَيلى بذاتِ الجيش دارٌ عرفتُها وأُخرى بذات البَين آياتُها سطْرُ[9]
وقفتُ برسميْها فلمَّا تنكَّرا صدفْتُ وعيني دمعُها سرِبٌ هَمْرُ
وفي الدَّمْعِ إن كَذَّبتُ بالحبِّ شاهدٌ يُبيِّنُ ما أُخْفي كما بَيَّن البَدْرُ
صبرتُ فلمّا غالَ نفْسي وشفَّها عجاريفُ نأيٍ دُونها غُلِبَ الصَّبْرُ[10]
إذا لم يكُنْ بينَ الخليلينِ رِدَّةٌ سِوى ذِكْرِ شيءٍ قد مضى درسَ الذِّكرُ[11]

وهذا البيت خاصّةً رواه الزُّبيرُ بن بكّار لنُصَيْبٍ :

---

1 وأنّى في أشعار : وأدنى .
2 تغتلّ : تتعطر ، من الغالية . ومتفال : منتنة الريح . وأكهب : أغبر .
3 عميمة : طويل . وبكر المجسة : حسنة الجسم لم تتغير ، فكأنّها بكر وهي ثيب .
4 خوداً في أشعار : بكراً . و«لا تعدى» بدل «لا تحمى» ، أي لا تشغل .
5 أشعار : فكان لها أدّي ورَيقةَ ميعتي . وأدّي : لغة هذيل في ودي . وريقة ميعتي : أولها .
6 سبسب في أشعار : منكب .
7 رمسي في أشعار : صوتي .
8 هذه هي القصيدة التي أشرنا في أوّل الترجمة ، وفيها اختلاف كبير في الرواية والترتيب عما في شرح أشعار الهذليين والأمالي .
9 أشعار : عكس موضعي الجيش والبين . وعفر بدل سطر .
10 أشعار : عجاريف ما تأتي . وعجاريف الدهر : حوادثه .
11 الخليلين في أشعار : الحبيبين .

إذا فلتُ هذا حينَ أُسلو يَهيجُني ... نسيمُ الصَّبا من حيثُ يَطَّلِعُ الفجرُ
وإنّي لتَعْروني لِذكراكِ فَتْرةٌ ... كما انتَفَضَ العُصفورُ بَلَّلهُ القَطْرُ[1]
هجرتُكِ حتَّى قِيل لا يعرِفُ الهوى ... وزُرْتُكِ حتى قيل ليسَ لهُ صبرُ
صَدقْتِ أَنا الصَّبُّ المصابُ الذي به ... تباريحُ حُبٍّ خامرَ القلبَ أو سِحْرُ
أَمَا والذي أَبكى وأَضْحكَ والذي ... أَماتَ وأَحيا والذي أمرُه الأَمْرُ
لَقد تركَتني أَحسُدُ الوحشَ أَن أرى ... أَليفَينِ منها لم يُروِّعْهُما الزَّجْرُ[2]
فيا هجْرَ لَيلى قد بلغتْ بِيَ المَدى ... وزدتَ على ما لم يكنْ بلغ الهجْرُ
ويا حُبَّها زِدْني جَوًى كلَّ ليلةٍ ... ويا سلوةَ الأيَّامِ موعِدُكِ الحشْرُ
عجِبتُ لسَعيِ الدَّهرِ بيني وبينها ... فلمّا انقَضى ما بيْننا سَكَنَ الدَّهرُ
فليستْ عَشيَّاتُ الحِمى برَواجعٍ ... لنا أبداً ما أوْرَق السّلَمُ النَّضرُ[3]

صوت

وإنّي لآتيها لكيما تُثيبَني ... وأُوذنُها بالصُّرْم ما وَضح الفَجْرُ
فما هُو إلاّ أَن أَراها فُجاءَةً ... فأُبْهتَ لا عُرْفٌ لديَّ ولا نُكرُ[4]
تكاد يَدي تندى إذا ما لَمسْتُها ... ويَنبتُ في أَطرافها الوَرقُ الخُضْرُ[5]

في هذه الأبياتِ ثقيلٌ أوّل قديمٌ مجهولٌ ، وفي البيت الأخير لعريب خفيفُ ثقيلٍ ، وقد أُضافت إليه بيتاً ليس من الشعر ، وهو :

أَبى القَلبُ إلاّ حُبَّها عامريّةً ... لها كنيةٌ «عمرٌو» وليس لها «عمرُو»[6]

[الهادي يشقّ ثيابه طرباً]

أَخبرني محمد بن مزيَد قال : حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أَبي عن جدِّي قال : دخلتُ يوماً على موسى الهادي وهو مصطَبحٌ ، فقال لي : يا إبراهيمُ غنّني ، فإن أَطربتَني فلكَ

1 الشطر الأول في أشعار : إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها .
2 أشعار : لا يروعهما الزعر .
3 فليست في أشعار : أليس .
4 فجاءة في أشعار : بخلوة .
5 لمستها في أشعار : مسستها .
6 لم يرد هذا البيت في شرح أشعار الهذليين ، وهو مما نسب إلى المجنون .

حكمُك ، فغنَّيتُه : [من الطويل]

وإنّـي لَتَعْروني لذكـراكِ فتـرةٌ ... كما انْتَفضَ العُصْفورُ بلَّلَـهُ القَطْرُ

فضرب بيده إلى جنْب دُرَّاعتِه فَشَقَّها حتى انتهى به إلى صدره .

ثمَّ غنَّيته : [من الطويل]

أما والذي أبكى وأضحَكَ والذي ... أماتَ وأَحْيـا والذي أمـرُه الأمرُ

لقد تَركتْني أَحسُدُ الوحْشَ أَنْ أرى ... أليفيْنِ منهـا لا يَرُوعُهمـا الزَّجرُ

فشق دُرَّاعتَه حتى انتهى إلى آخرها .

ثم غنَّيتُه : [من الطويل]

فيا حُبَّها زِدني جَـوًى كلَّ ليْلـةٍ ... ويـا سَلوةَ الأيّامِ موعدُكِ الحَشْرُ

فشَقَّ جبَّةً كانت تحت الدُّرَّاعةِ حتى هتكها .

ثمَّ غنَّيتُه : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْي الدَّهرِ بَيْني وبينها ... فلمّا انقضى ما بيننا سَكنَ الدَّهْرُ

فشقَّ قميصاً كان تحتَ ثيابه حتى بَدا جِسمُه . ثم قال : أَحسنتَ واللهِ فاحتكِمْ . فقلتُ : تهَب لي ، يا أميرَ المؤمنينَ ، عينَ مروان بالمدينةِ ، فغضِبَ حتى دارتْ عيناه في رأسِه ، ثم قال : لا ، ولا كرامةَ ، أردتَ أن تجعلَني أُحدوثةً للنّاسِ ، وتقول : أطربتُه فحكَّمني ، فحكمتُ ، فأمضى حُكمِي .

ثم قال لإبراهيم الحرّانيّ : خُذ بيد هذا الجاهلِ وأدخِله بيتَ مالِ الخاصَّة فإنْ أَخذَ كلَّ شيءٍ فيه فلا تمنعْه منه ، فدخلتُ معه فأخذْتُ مالاً جليلاً وانصرفتُ .

وممّا يُغنّى فيه من شعر أبي صخر الهذليِّ قولُه من قصيدةٍ له[1] : [من الكامل]

صوت

بيَدِ الذي شَغفَ الفؤادَ بكُم ... فـرَجُ الذي أَلْقى مـن الهمِّ

هَمٌّ مِـنَ اجلكِ ليْس يكْشِفهُ ... إلاّ مَليـكٌ جائـزُ الحُكمِ[2]

فاستَيقِني أَنْ قـد كلِفْتُ بكم ... ثمَّ افعَلي مـا شِئتِ عنْ عِلْمِ

1 هذه الأبيات من قصيدة له في شرح أشعار الهذليين مع اختلاف في الترتيب : 972–972 .

2 أشعار : كرب من أجلك . . . مليك الناس . . . .

قــدْ كان صُرْمٌ في المَماتِ لنا فعجِلت قبــل المَوْتِ بالصُّرْمِ

الشعر لأبي صخرٍ الهذليّ . والغناء للغَريض ، ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى ، عن عمرو . وفيه لسياط ثقيلٌ أوّل آخر بالبِنصر ، ابتداؤه نشيدٌ :

فاستَيقنــي أَنْ قــد كلِفْتُ بكُم

وهكذا ذكر الهشاميُّ أيضاً ، وذكر أنّ لحن الغريض ثاني ثقيلٍ ، وأنّ فيه لابن جامعٍ خفيفَ رملٍ .

[النظام والغلام]

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثنا محمدُ بن الحسن الحرون قال : حدَّثني الكِسْرَويُّ قال : لَقيَ إبراهيم النَّظّام غلاماً أمردَ فاستحسنه ، فقال له : يا بُنيَّ ، لولا أنّه قد سَبق من قول الحُكماء ما جعلوا به السَّبيلَ لمثلي إلى مثلِك في قولهم : «لا ينبغي لأحدٍ أن يكبَرَ عن أن يسألَ ، كما لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُرَ عن أن يقول» لما أنِستُ إلى مخاطبتك ، ولا هَشِشْتُ لمُحادَثتِكَ ، ولكنّهُ سببُ الإخاء ، وعقْدُ المودَّةِ ، ومحلُّكَ من قلبي[1] محلُّ الرُّوح من جَسدِ الجبان . فقال له الغُلامُ وهو لا يعرفُه : لَئِن قلتَ ذاك أيُّها الرجلُ لقد قال الأستاذ إبراهيمُ النّظّام : «الطبائِعُ تُجاذبُ[2] ما شاكَلَها بالمجانسةِ ، وتميلُ إلى ما يُوافقُها بالمؤانسَةِ» وكِياني مائِلٌ إلى كيانِك بكليَّتي ، ولو كان ما أنطوي لك عليه عَرَضاً ما اعتددتُ به وُدّاً ، ولكنَّه جوهرُ جسمي ، فبقاؤه ببقاء النفْس ، وعدمُه بعَدمها ، وأقولُ كما قال الهُذليُّ : [من الكامل]

فاسْتَيقني أَن قد كَلِفْتُ بِكم ثم افعلي ما شِئتِ عن عِلمِ

فقال له النظّامُ ، إنّما خاطبتُكَ بما سمعتَ ، وأنتَ عندي غلامٌ مستحسَنٌ ، ولو علمتُ أنّك بهذه المنزلة لرفعتُك إلى رتبتها .

قال أبو الحسن الأخفشُ : فأخذ أبو دُلَف هذا المعنى فقال[3] : [من الوافر]

أُحبّك يــا جِنانُ وأنتِ منّي محلُّ الرُّوحِ من جسدِ الجبانِ
ولو أنّي أقــولُ مكانَ نفسي لخفتُ عليكِ بادرةَ الزمانِ[4]

1 ل : مسألتي .

2 ل : توافق .

3 تقدمت هذه الأبيات في ترجمة أبي دُلَف جزء 8 : 177 .

4 ل : من ريب الزمان .

لإقدامي إذا مـا الخيلُ خامتْ ... وهـابَ كُماتُها حَـرَّ الطِّعانِ[1]

وتمام أبيات أبي صخرٍ الميميّةِ التي ذكرتُ فيها الغناءَ الأخيرَ وخبرَه أنشدنيها الأخفشُ عن السّكريّ عن أصحابه : [من الكامل]

ولَمّـا بقيـتِ ليَبْقَيَنَّ جَـوًى ... بينَ الجوانحِ مُضرِعٌ جِسْمِي[2]

ويُقِرُّ عينـي وهْـي نازحـةٌ ... مـا لا يُقِـرُّ بعـينِ ذي الحلمِ

أَطْلالُ نُعْـمٍ إذْ كَلِفْتُ بهـا ... يـا دِينَ هذا القَلْبَ من نُعْمِ[3]

ولو انَّنـي أُسْقى على سَقَمي ... بِلَمى عَوارِضِها شَفى سُقْمي

ولقد عَجِبْـتُ لِنَبْـلٍ مُقتدرٍ ... يَسِطُ الفؤادَ بهـا ولا يُدْمي[4]

يَرْمـي فيجْرَحُنـي برمْيتـهِ ... فلـوَ آنَّني أَرْمـي كما يرمي[5]

أَو كان قلـبٌ إذ عَزمتُ لهُ ... صُرْمي وهَجرِي كان ذا عَزْمِ[6]

أَو كان لي غُنْـمٌ بِذكرِكُـمُ ... أَمسيتُ قـد أَثريتُ مـن غُنْمِ

[العجوز التي تحسن الغناء]

أَخبرني الحسينُ بن يحيى ، عن حمَّادٍ عن أَبيه ، عن أَبي عبدِ اللهِ الأنصاريِّ ، عن غُرَير بن طلحةَ الأرقميِّ قال : قال لي أبو السَّائِبِ المخزوميُّ ، وكان من أهلِ الفضل والنُّسكِ : هل لك في أحسنِ النّاس غناءً ؟ قلت : نعم . وكان عليَّ يومئذٍ طيلسانٌ لي أُسمّيه من غِلَظه وثقَلِه «مُقطِّع الأزرار» . فخرجنا حتى جئنا إلى الجبّانةِ ، إلى دارِ مُسلم بن يحيى الأرَتِّ صاحب الخمر ، مولى بني زُهْرَةَ فأذِن لنا . فدخلنا بيتاً طولُه اثنتا عشرةَ ذراعاً في مِثلها ، وسَمْكُه في السماءِ ستَّ عشرة ذراعاً ، ما فيه إلاّ نُمرقتانِ قد ذَهبتْ منهما اللُّحمةُ وبقيَ السَّدَى ، وفراشٌ محشوٌّ ليفاً[7] ، وكُرسِيّان من خشب قد تقلّع عنهُما الصِّبْغُ من قِدَمهما[8] وبينَهما مِرفَقتانِ محشوّتانِ باللِّيف . ثم طلعتْ علينا عجوزٌ

---

1 خامت : نكصت .

2 مضرع في ل : مسقم .

3 دين : عادة .

4 يسط : يحل في وسطه .

5 الشطر الأول في أشعار : يرمي فلا تشويك رميته .

6 أشعار : ولو ان قلبي .

7 ل : ريشاً .

8 ل : فوقهما .

كَلْفاء[1] عَجْفاءُ ، كأَنَّ شعرَها شعرُ ميِّتٍ ، عليها قَرْقَل[2] هَرَوِيٌّ أصفرُ غَسيلٌ[3] ، كأَنَّ وَركيْها في خيطٍ من رسَحِها[4] حتى جَلَست . فقلتُ لأبي السّائبِ : بأبي أنتَ وأُمِّي ما هذه ؟ قال : اسكتْ : فتناولتْ عوداً فضرَبتْ ، وغنّتْ :

بِيـدِ الـذي شغَفَ الفُـؤادَ بكمْ   فَـرَجُ الذي أَلْقَـى مـن الهمِّ

قال غُريرٌ : فحسُنَتْ ، واللهِ ، في عَيْني ، وَجاء نقاءٌ وَصفاءٌ ، فأَذْهَبَ الكلَف منْ وجهها ، وزَحفَ أبو السَّائبِ وزحفْتُ معه . ثمّ غنَّت : [من الكامل]

صوت

بَرِح الخَفاءُ فأَيَّ ما بك تَكتُم   وَلسوْف يظْهرُ مـا يُسَرُّ فيُعلَمُ
ممّا تضمّنَ مـن غُريرةَ قلبُـهُ   يـا قلبُ إِنَّكَ بالحِسانِ لَمُغْرَمُ
يا ليتَ أَنّك يا حُسامُ بأَرْضنا   تُلْقـي المراسيَ دائمـاً وتُخيِّمُ
فتذوقَ لـذَّةَ عيشِنا ونعيمَـهُ   ونكـونَ أَجـواراً فماذا تنقِمُ

الغناء لحكم ، خفيفُ رملٍ بالوُسطى ، عن الهشاميِّ .

فقال أَبو السائب : إن نَقِمَ هذا فيَعضّ بظْرَ أُمِّه . وزحف وزحفتُ معهُ ، حتى قاربتُ النُّمرُقَةَ وَربَتِ العجفاءُ في عيني كما يربُو السَّويقُ شِيبَ بماء قِربَةٍ .

ثم غنّتْ : [من المنسرح]

صوت

يا طُولَ ليْـلي أُعالجُ السَّقَما   إذ حـلَّ دُون الأَحبَّةِ الحرَما
ما كنتُ أَخشى فِـراقَ بينكمُ   فاليومَ أَضحى فراقُكـم عَزَما

الغناء للغريض ، ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها ، وله أيضاً فيه خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر جميعاً ، عن إسحاقَ .

قال غُرَير : فألقيتُ طيْلَسان وتناولتُ شاذكونة[5] ، فوضعتها على رأسي وصِحتُ كما

---

1 كلفاء : في وجهها حمرة كدرة أو نمش كالسمسم .
2 قرقل : قميص بلا كمين .
3 غسيل : مغسول .
4 الرسح : قلة لحم العجز ، والمرأة رسحاء .
5 الشاذكونة : مضربة النجّاد .

يُصاحُ بالمدينة : الدَّخن[1] بالنَّوى ، وقام أَبو السائبِ ، وتناوَلَ رَبْعةً[2] فيها قوارير دُهْنٍ كانتْ في البيت ، فوضعَها على رأسِهِ ، وصاح ابنُ الأَرَتّ صاحبُ الجارية ، وكان أَلْثغَ : «قواليلي قواليلي» ، يريد : قواريري قوارِيري ، أَسأَلكَ باللهِ . فلم يلتفتْ أبو السّائب إلى قوله ، وحَرَّك رأسه مَرَحاً فاضطربت القواريرُ وتكسَّرتْ ، وسال الدُّهن على وجه أَبي السائب وظهره وصدره ؛ ثم وضع الرّبعة وقال لها : لقد هِجْتِ لي داءً قديماً .

قال : ومكثنا نختلفُ إليها سنين ، في كلِّ جُمعةٍ يومين ، وقال : ثم بعث عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من الأندلُس ، فاشترِيت له العجفاءُ وحُمِلت إليه .

صوت

[من الطويل]

أَلا هل إلى ريح الخُزامى ونظرةٍ ... إلى قرقَرى قبلَ الممات سبيلُ[3]
فيا أَثلاتِ القاعِ من بطْن تُوضِحٍ ... حَنيني إلى أَطلالكُنَّ طويلُ
ويا أَثْلاتِ القاعِ قلبي مُوكَّلٌ ... بكنَّ ، وَجدْوَى خيركنّ قليلُ
ويا أَثلاتِ القاعِ قد مَلَّ صُحبتي ... وقوفي ، فهلْ في ظلِّكُنَّ مَقِيلُ ؟

الشعر : ليحيى بن طالبِ الحنفيِّ ، والغناءُ لعلُّويه ، خفيفُ رمَل بالوسطى ، عن عمرٍو . وفيه لإبراهيم لحنٌ ماخوريّ بالوسطى ، وفيه لعَرِيبَ رملٌ ، ولمتيم خفيفُ رمَل آخر عن الهشاميِّ . وفيه لابن المكّيّ خفيفُ ثقيل من كتابه وذكر ابنُ المعتزِّ أن لحن عريب ومتيَّم جميعاً من الرمل .

---

1 ل : الدجر ، وهو اللوبياء .

2 الربعة : جونة العطار .

3 قارن بديوان مجنون ليلى : 221 وهي في السمط : 363 وأمالي القالي 1 : 123 ومصارع العشاق 1 : 294 ومعجم البلدان (قرقرى) ليحيى بن طالب . قرقرى : أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخل كثير .

[533] ـ أخبار يحيى بن طالب[1]

يحيى بن طالب : شاعِرٌ من أَهلِ اليمامةِ ، ثم من بني حنيفةَ . لم يقعْ إليَّ نسبُه . وهو من شُعراء الدّولةِ العبّاسيّة مُقِلٌّ ، وكان فصيحاً شاعراً غزِلاً فارساً .

[هربه من دين]

وركِبَه دَيْنٌ في بلدِهِ فهرب إلى الرّيّ ، وخرج مع بَعْثٍ إليها ، فمات بها ، وقد ذَكَر ذلك في هذه القصيدة فقال : [من الطويل]

أُرِيدُ رجُوعاً نحوَكُمْ فَيَصدُّني ... إذا رمْتُهُ دَيْنٌ عليَّ ثقِيلُ

حدَّثني محمد بن مزيد قال : حدَّثنا حَمّادُ بن إسحاق عن أَبيه قال : غَنَّى أَبي الرشيدَ في شعر يحيى بن طالبٍ :

أَلا هل إلى شَمِّ الخُزامى ونَظْرةٍ ... إلى قَرقرى قبل المماتِ سَبِيلُ

فأَطربَهُ ، فسأله عن قائل الشعر ، فذكَره له وأعلمه أنّه حيٌّ ، وأنّه هرب من دَيْنٍ عليه ، وأنشده قولَه :

أُرِيدُ رجوعاً نحوَكُمْ فَيَصُدُّني ... إذا رُمْتُه دَيْنٌ عليَّ ثقِيلُ

فأمر الرشيدُ أن يُكتب إلى عامل الريّ بقضاء دَيْنِه ، وإعطائِه نفقةً ، وإنفاذه إليه على البريد ، فوصل الكتاب يومَ مات يحيى بن طالب .

[شاعر ظريف غزل]

أَخبرنا محمد بن خَلَف وكيع وعَمِّي قالا : حدَّثنا عبد الله بن شَبِيب قال : حدَّثني الجَهْمُ بن المغيرةِ قال : كنّا عند حُتْرُش[2] بن ثُمال القُرَيْظيّ بضَرِيَّة[3] فمرَّت بنا جارية صفراءُ مُولَّدةٌ ، فقال لي حُتْرُش : استفتِحْ كلامَها فانظُر فإنّها ظَرِيفةٌ ، فقلتُ لها : يا جارية ، أين نَشأْتِ ؟ قالت : بقَرْقرى ، فقلتُ لها : أين مِن شَعْبَعَب[4] ؟ فضحِكت ثم

---

1 ليحيى بن طالب الحنفي أخبار في أمالي القالي 1 : 123 ومعجم البلدان (قرقرى) وانظر التذكرة الحمدونية 1 : 247 و6 : 71 .

2 ل : جرش .

3 ضرية : قرية كانت عامرة على طريق مكة من البصرة .

4 شعبعب : اسم ماء باليمامة ، انظر معجم البلدان (شعبعب) وفيه أبيات يحيى مع اختلاف في الرواية .

قالت : بينَ الحَوْضِ والعَطَن ، قلتُ : فمن الذي يقول : [من البسيط]

يا صاحِبَيَّ فَدَتْ نفسي نُفُوسَكما ... عُوجا عليَّ صُدورَ الأَبْغُلِ السُّنُنِ[1]

ثم ارفعا الطَّرفَ نَنْظُرْ صُبْحَ خامسةٍ ... لقَرقَرى يـا عناءَ النفسِ بالوَطَنِ

يا ليت شعريَ والإنسانُ ذو أَمَلٍ ... والعَيْنُ تَذْرِفُ أَحيانـاً من الحَزَنِ

هل أَجعَلَنَّ يَـدي للخَـدِّ مِرْفَقَةً ... على شَعَبْعَبَ بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ

فالتَفتَتْ إلى حُترش بن ثمالٍ فقالت : أُخبره بقائِلها ، فقال : ما أَعْرِفُهُ ، فقالتْ : بَلى ، هذا يقوله شاعِرنا وظريفُ بلادِنا وغَزِلُها . فقال لها حُتْرشٌ : وَيْحكِ ، ومَن ذلك ؟ فقالت : أشهد إن كنتَ لا تعرفُه وأنتَ من هذا البلدِ إنَّها لسوْأَةٌ ، ذلك يحيى بن طالب الحنفيُّ ، أقسم بالله ما مَنَعكَ من معرفته إلاّ غِلَظُ الطبعِ ، وجفاءُ الخُلُق . فجعل يضحَكُ من قولها وتعجّبنا منها .

[يرفض ركوب البحر]

أُخبرني هاشم بن محمد الخزاعيُّ قال : حدَّثنا أَبو غسَّان دَماذ ، عن أَبي عُبيدةَ قال : قال رجل ليحيى بن طالب الحنفيِّ : لو ركبتَ معي في البحر ، وشَغَلْت مالَكَ في تجاراتِه لأثْريتَ وحسُنَتْ حالُكَ ، فقال يحيى بن طالب[2] : [من الطويل]

لشُرْبُـكَ بالأَنقـاءِ رنْقـاً وصافِيـاً ... أَعَفُّ وأَعْفَى من ركوبِكَ في البحْرِ

إذا أَنـت لم تنظُـرْ لنفسِكَ خالِيـاً ... أُحاطَت بك الأحزانُ من حيثُ لا تدرِي

[وفاته مرّة أخرى]

حدَّثني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أَبي سعدٍ قال : حدَّثني أَبو عليّ الحنفي ؛ قال : حدَّثني عمِّي عن عليّ بن عمر قال : غُنِّيَ الرشيدُ يوماً بشعر يحيى بن طالب : [من الطويل]

أَلا هَل إلى شَمِّ الخُزامَى ونَظْرةٍ ... إلى قَرقَرى قبلَ المماتِ سَبِيلُ

وذكر الخبر كما ذكره حمّادُ بن إسحاقَ ، إلاّ أنّه قال : فوجَده قد مات قبل وصولِ البريدِ بشهر .

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيُّ قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بن أخي الأصمعيّ ، عن عمّه قال : كان يحيى بن طالبٍ يُجالسُ امرأةً من قومه ويأْلَفُها ، ثم خرجَ مع والي اليمامةِ إلى مكّة ،

---

1 السنن : التي تسير سيراً شديداً .

2 قارن الأبيات بما في معجم البلدان (قرقرى) وأمالي القالي 1 : 123 .

وابتاع منه الوالي إبلاً بتأخيرٍ ، فلمَّا صار إلى مكّةَ عُزِل الوالي ، فَلَوى يحيى بماله مدّة ، فضاق صدرُه ، وتَشوَّقَ إلى اليمامةِ وصاحبتِه التي كان يتحدَّث إليها ، فقال : [من الطويل]

تصبَّرتُ عنهـا كارهـاً وهجرتُها وهِجْرانُها عندي أَمَرُّ من الصَّبْرِ

صوت

إذا ارتَحَلـتْ نحـو اليمامـة رُفْقةٌ دعاني الهوى واهتاجَ قلبيَ للذِّكْرِ
كأنَّ فؤادي كُلَّمـا عَـنَّ ذِكْرُها جَناحا غُرابٍ رامَ نهضاً إلى وَكْرِ

الغناء للزفّ ، ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ في هذين البيتين .

وقال فيها :

مُدايَنـةُ السُّلطـانِ بـابُ مَذَلَّـةٍ وأَشبـهُ شَيءٍ بالقَناعـةِ والفَقْـرِ
إذا أَنـتَ لم تنظُـرْ لنفسِكَ خالِيـاً أَحاطتْ بِكَ الأَحزانُ من حيث لا تَدْري

[أمنية المتمني]

أُخبرني الحسينُ بن يحيى ، عن حَمَّادٍ عن أبيه ، قال : قال أَبو الذَّيَّال الحَنَفيّ : خرج يحيى بن طالب الحنفيّ من اليمامة يُريد خُراسان على البريد ، فقال وهو بقُومِس[1] : [من الطويل]

أَقولُ لأَصحابي ونحـن بقُومِس نُـراوِحُ أَكتافَ المحذَّفـةِ الجُرْدِ
بعُدنـا وعهدِ اللهِ من أَهلِ قرقرى وفيها الأُلى نَهوى وزِدْنا على البُعْدِ

أُخبرنا الحسنُ بن عليٍّ قـال : حدَّثنـا محمـدُ بن موسى بن حمّادٍ قال : حدَّثني عبد الله بنُ بِشْر ، عن أبي فراسٍ الهيثَم بن فراسٍ الكِلابيّ قال : كنتُ مع أبي ونحن قاصِدُون اليمامةَ ، فلمّا رأيناهـا لَقِينـا رجـلٌ ، فقال له أبي : أين قرقرى ؟ قال : وراءَك ، قال : فأين شَعَبْعَب ؟ قـال : بإزائِه ؛ قال : أرِني ذلكَ ، فأراه إيّاها حتى عَرَفه ، فقال لي : ارجع بنا إلى الموضِع ، فقلت له : يا أبتِ قد تَعِبنا وتعِبت ركائبُنا ، فما لك هناك ؟ قال : إنّك لأحمقُ ، ارجع ويْلك ، فرجعـتُ معـه حتى أتـى شَعَبْعب ، وصار إلى الحـوض والعَطَن ، وأناخ راحِلتَه ، وقال لي : أَنِـخ ، فأَنَخْت ؛ ونزل فنظَر إلى شَعَبْعَب وقرقرى ساعةً ، ثم اضطجع بين الحوضِ والعَطَن اضطِجاعةً ، ويده تحت خدِّه ، ثم قام فركِب ، فقُلت : يا أبتِ ما أردتَ بهذا ؟ فقال : يا جاهلُ ، أما سمعتَ قولَ يحيى بن طالب : [من البسيط]

---

1 البيتان في معجم البلدان (قومس) مع اختلاف في الرواية .

هــل أجعَلَنَّ يَـدِي للخدِّ مِرفقةً على شَعَبْعَبَ بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ

أفليسَ عجزاً أن نكونَ قد أتينا عليهما وهما أُمنية المتمنّي فلا ننال ما تَمنّاه منهما ، وقد قدرتُ عليه ؟ فجعلتُ أعجبُ من قوله وفعلِه .

[يحمل مغارم قومه]

أخبرنا محمدُ بن جعفر النحويّ قال : حدَّثني طلحةُ بن عبدِ الله الطَّلحيُّ قال : حدَّثنا أبو العاليةِ عن رجل من بني حنيفة قال : كان يحيى بن طالبٍ جواداً ، شاعراً ، جميلاً ، حَمَّالاً لأثقالِ قومِهِ ومغارمِهم ، سمحاً يَقرِي الأضيافَ ، ما تشاءُ أن ترى في فتًى خَصلةً جميلةً إلاّ رأيتها فيه . فدخلتُ عليه وهو في آخر رَمَقٍ ، فسألتُه عن خبرِه ، وسلَّيته وقلتُ له ما طابَتْ به نفسُه ، ثم أنشدني قولَه[1] : [من الطويل]

ما أنــا كالقولِ الذي قلتَ إن زَوَى مَحَلِّـيَ عـن مـالي حِذارَ النَّوائبِ
بمنزلـةٍ بـين الطريقَيْــنِ قابَلَتْ بِـوادِي كُحَيْـلٍ كُلَّ مـاشٍ وراكِبِ
حللــتُ على رأْسِ اليَفــاعِ ولم أكُــنْ كمَن لاذَ من خَوفِ القِرى بالحواجِبِ
فلا تَسأَلِ الضِّيفانَ مَـن هُـمْ وأَدْنِهم هُمُ النَّاسُ من معروفِ وَجْهٍ وجانِبِ
وقُولُوا إذا مـا الضَّيفُ حَـلَّ بِنَجْوةٍ ألا في سبيـلِ اللهِ يَحيـى بن طالبِ

قال أبو العاليةِ : كُحَيْل : نخل بناحية فَران دون قَرقرى ، وهناك كان منزلُ يحيى بن طالب .

صوت[2]

وقد جمع معه كلّ ما يُغنّى فيه من القصيدة : [من الطويل]

لعمرُكَ إنِّي يـومَ بُصْرى وناقَتي لَمُخْتَلِفـا الأَهــواءِ مُصْطحبانِ
متى تَحملي شَوْقي وشوقَكِ تظْلَعي ومـا لَكِ بالحِمْـلِ الثَّقيلِ يَدانِ
ألا يا غُرابَـيْ دِمْنَـةِ الدَّارِ خبِّرا أبـالبَيْنِ مـن عفـراءَ تَنْتَحِبانِ

1 انظر معجم البلدان (قرقرى) .

2 هذه الأبيات من نونية عروة بن حزام وهي من مجموع شعره 9–27 ، وقد كثرت الإضافات والروايات في هذه القصيدة واختلف ترتيب أبياتها في المصادر التي أوردتها أو اقتبست منها . وقد نسب بعضها إلى ابن الدمينة والمجنون وغيرهما .

فإن كان حقّاً مـا تَقُولانِ فانهَضا بلحمِي إلى وَكْرَيْكُمـا فكُلاني
ولا يَعْلَمَنَّ النّاسُ مـا كان مِيتَتي ولا يأكُلَـنَّ الطَّيْرُ مـا تَذَرانِ
جَعلتُ لعـرَّافِ اليمامةِ حُكْمَهُ وعَرَّافِ حَجْـرٍ إنْ هُمـا شَفَياني
فمـا تَركا مـن حيلـةٍ يَعلمانِها ولا رُقْيَـةٍ إلاَّ وقَـدْ رَقَيـاني
وقـالا : شَفَـاكَ اللهُ واللهِ ما لَنا بما حُمِّلَتْ مِنكَ الضُّلوع يدانِ
كأنَّ قَطـاةً عُلِّقَـتْ بجَناحِهـا على كَبِـدي مِـن شِدَّةِ الخَفَقانِ

الشعر لِعُروةَ بن حزام ، والغناء لإبراهيم الموصليِّ في الأربعة الأبياتِ الأول ؛ ثقيلُ أَوَّلُ بالوُسطى ، ولعَريب في الرابع والخامس والسادس والتاسع هَزَجٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، عن إسحاقَ ، وفي السابع وما بعده إلى آخرها ثقيلٌ أوّلُ ينسب إلى أبي العَنْبَس بن حَمدون ، وإلى غيره .

[534] ـ أخبار عروة بن حزام[1]

[نسبه]

هو عُروةُ بن حزام بن مُهاصرٍ ، أحدُ بني حِزام بن ضَبَّة بن عبد كَبِير بن عُذْرةَ . شاعِرٌ إسلاميٌّ ، أحدُ المتيَّمِينَ الذين قتلَهم الهوى ، لا يُعْرَفُ له شعرٌ إلاّ في عَفْراءَ بنتِ عمِّه عِقالِ بن مُهاصِر ، وتَشْبيبِه بها .

[عروة وعفراء]

أخبرني بخبرها جماعةٌ من الرُّواةِ ؛ فمنهُ ما أخبرَني به الحسنُ بن عليٍّ بن محمد الآدميٍّ قال : حدَّثنا عُمرُ بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، قال : حدَّثني مُوسى بن عيسى الجَعْفَريُّ ، عن الأسباطِ بن عيسى العُذْريّ .

وأخبرني الحسينُ بن يحيى المِرداسيُّ ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهرِ ، عن حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن رجالِه .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قال : حدَّثنا عمر بن شبَّةَ . وأخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاءِ قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكّارٍ عمّن أسنَد إليه . وأخبرني إبراهيم بن أيّوبَ الصائغ عن ابن قُتيبةَ . وقد سُقتُ رواياتِهم وجمعتُها .

قال الأسباط بن عيسى ، وروايتُه كأنّها أتمُّ الروايات وأشدُّها اتّساقاً ، أدركتُ شيوخَ الحيِّ يذكرون أنّه كان من حَديثِ عُروةَ بنِ حِزام وعفراءَ بنت عقال : أنّ حِزاماً هلَك وترك ابنَه عروةَ صغيراً في حِجْر عمِّه عِقالِ بن مُهاصِر . وكانت عفراءُ تِرْباً لعروةَ ، يلعبان جميعاً ، ويكونانِ معاً ، حتى ألِفَ كلٌّ واحدٍ منهُما صاحبه إلفاً شديداً . وكان عقالٌ يقول لعروةَ ، لما يرى من إلْفِهما : أَبْشِرْ ، فإن عفراءَ امرأتُك[2] ، إن شاءَ اللهُ . فكانا كذلك حتى لَحِقَتْ عفراءُ بالنِّساء ، ولحق عُروةُ بالرجال . فأتى عُروةُ عمّةً له يقالُ لها : هندُ بنتُ مُهاصر ، فشكا إليها ما به من حبِّ عفراءَ ، وقال لها في بعضِ ما يقولُ لها : يا عمّةُ ، إنّي لأُكلِّمُك وأنا منكِ مُسْتحٍ ، ولكن لم أفعل هذا حتى ضقْتُ ذَرْعاً بما أنا فيه ، فذهبتْ عمّتُه إلى أخيها فقالت له :

---

1 ترجمة عروة بن حزام في الشعر والشعراء : 519–523 وذيل الأمالي : 157–162 وخزانة البغدادي 3 : 215–218 والفوات 2 : 447–450 ومصارع العشاق 1 : 317–321 وتزيين الأسواق 1 : 46 وقد جمع شعره إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد (1961) ونشرا فصلة منها .

2 ل : أَمَتك .

يا أخي ، قد أتيتُكَ في حاجةٍ أُحبُّ أن تُحْسِن فيها الردَّ ، فإنَّ اللهَ يأجُرك بصلة رحمكَ فيما أسألُكَ . فقال لها : قولي ، فلن تسألي حاجةً إلاّ رددْتُك بها . قالت : تُزوّجُ عُروةَ ابنَ أخيكَ بابنتك عفراءَ . فقال : ما عنه مذهبٌ ، ولا هو دونَ رجُلٍ يُرغَبُ فيه ، ولا بنا عنه رغبةٌ ؛ ولكنّه ليس بذِي مالٍ ، وليست عليه عَجَلةٌ . فطابتْ نفسُ عُروةَ ، وسكَن بعضَ السُّكونِ .

[أم عفراء تريد رجلاً موسراً]

وكانت أُمُّها سيِّئةَ الرأي فيه ، تريدُ لابنتها ذا مالٍ ووفْرٍ ، وكانت عُرضةَ ذلك كمالاً وجمالاً ، فلمّا تكامَلَتْ سنُّه وبَلَغ أَشُدَّهُ عَرَفَ أنَّ رَجُلاً من قومِه ذا يسار ومال كثيرٍ يخطبُها ، فأتى عمَّه ، فقال : يا عمّ ، قد عَرفتَ حقّي وقرابتي ، وإنّي ولَدُكَ وربّيتُ في حِجْرِكَ ، وقد بلغني أنّ رجلاً يخطب عفراءَ ، فإن أسعَفْته ، بطلبَته قتلتني وسَفكتَ دمي ، فأنشُدكَ اللهَ ورحمي وحقّي . فرقَّ له وقال له : يا بُنيّ ، أنت مُعْدِم ، وحالُنا قريبةٌ من حالِكَ ، ولستُ مُخرِجَها إلى سِواكَ ، وأُمُّها قد أبتْ أن تزوِّجها إلاّ بمهرٍ غالٍ ، فاضطرِبْ واسترْزِقِ اللهَ تعالى .

فجاءَ إلى أُمّها فألطفَها وداراها ، فأَبَتْ أن تُجيبه إلاّ بما تَحْتَكِمُه من المَهْرِ ، وبعد أن يَسُوقَ شَطْره إليها ، فوعدها بذلك .

وعلم أنّه لا يَنفَعُهُ قرابةٌ ولا غيرُها إلاّ بالمالِ الذي يطلبونه ، فعَمل على قَصْدِ ابن عمٍّ له مُوسِرٍ كان مُقيماً باليمنِ[1] . فجاء إلى عمِّه وامرأتِه فأخبرهما بِعزْمِهِ ، فصوّباهُ ووعداه ألاّ يُحْدِثا حدَثاً حتى يعودَ .

[ابن عمّه يعينه]

وصار في ليلةِ رَحيله إلى عَفراء ، فجلس عندها ليلةً هو وجَواري الحيّ يتحدَّثون حتى أصبحوا ، ثم ودّعَها وودّع الحيّ وشدَّ على راحِلته ، وصَحِبَه في طريقِه فَتَيانِ من بني هِلالِ بنِ عامرٍ كانا يألفانه ، وكان حيّاهُم متجاورَين ، وكان في طولِ سفرِه ساهياً يكلِّمانِه فلا يفهَمَ ، فِكرهُ في عفراء ، حتى يُرَدَّ القولُ عليه مِراراً ، حتى قدِم على ابن عمِّه . فلقيه وعرَّفَه حالُه وما قَدِمَ له ، فوصَلَه وكَساه ، وأعطاهُ مائةً من الإبل ، فانصرفَ بها إلى أهلِه .

[زواج عفراء]

وقد كان رجلٌ من أهل الشّام من أَسبابِ بني أُميَّة نزل في حيّ عفراءَ ، فَنحَر وَوَهب وأَطْعم ، وكان ذا مالٍ عظيم . فرأى عفراءَ ، وكان منزلُه قريباً من منزلِهم ، فأَعجبَتْهُ وخطبها إلى أبيها ، فاعتذَرَ إليه وقال : قد سمّيتُها إلى ابنِ أخٍ لي يَعْدِلُها عِندي ، وما إليها لغيره سبيلٌ .

---

1 ل : بالري .

فقال له : إنّي أرغبكَ في المهرِ ، قال : لا حاجة لي بذلك . فعَدَل إلى أُمِّها ، فوافقَ عندَها قبولاً ، لبذله ورغبةً في مالِه . فأجابتْه ووعدته ، وجاءت إلى عقالٍ فآدتْه[1] وصخِبَت معه ، وقالت : أيّ خيرٍ في عُروة حتى تُحبَسَ ابنتي عليه وقد جاءها الغنيُّ يطرُقُ عليها بابَها ؟ والله ما ندري أعروةَ حيٌّ أَمْ ميّتٌ ؟ وهل ينقلبُ إليك بخيرٍ أَمْ لا ؟ فتكون قد حَرَمْت ابنَتَك خيراً حاضراً ورزقاً سنيّاً . فلم تزل به حتى قال لها : فإن عاد لي خاطباً أجبتُه . فوجَّهتْ إليه أن عُد إليه خاطباً . فلمّا كان من غدٍ نَحَر جُزُراً عِدَّةً ، وأطعم ووهب وجمعَ الحيَّ معهُ على طعامه ، وفيهم أبو عفراءَ ، فلمّا طعِموا أعاد القولَ في الخِطْبة ، فأجابه وزوَّجه ، وساق إليه المهر ، وحُوِّلت إليه عفراءُ وقالت قبل أن يدخُلَ بها : [من الكامل]

يا عُرْوَ إنَّ الحيَّ قد نَقضوا عَهْدَ الإلهِ وحاوَلُوا الغَدْرا

في أبيات طويلة .

فلمّا كان اللّيلُ دخَل بها زَوجُها ، وأقام فيهم ثلاثاً ، ثم ارتَحل بها إلى الشام ، وعمد أبوها إلى قبرٍ عتيقٍ ، فجدَّدهُ وسوّاهُ ، وسأل الحيَّ كتمانَ أمرها .

[يعرف الحقيقة فيرحل إليها]

وقدِم عُروةُ بعد أيّام ، فنعاها أبوها إليه ، وذهب به إلى ذلك القَبرِ ، فمكث يختلفُ إليه أيّاماً ، وهو مُضنًى هالكٌ ، حتى جاءته جاريةٌ من الحيِّ فأخبرتْه الخبر . فتركهُم وركب بعضَ إبله ، وأخذ معه زاداً ونفقةً ، ورحل إلى الشّام فقدمها ، وسأل عن الرجل فأُخبِر به ، ودُلَّ عليه ، فقصدهُ وانتسب له إلى عدنان ، فأكرمَه وأحسن ضيافتَه . فمكث أيّاماً حتى أَنِسُوا به ، ثم قال لجاريةٍ لهم : «هل لكِ في يدٍ تولينيها ؟» قالت : نعم . قال : تدفَعين خاتمي هذا إلى مولاتك . فقالت : سَوْأة لك ، أما تستحي لهذا القول ؟ فأمسك عنها ، ثم أعاد عليها وقال لها : ويحك ! هي والله بنتُ عمّي ، وما أحدٌ منّا إلاّ وهُو أعزُّ على صاحِبِه من النّاس جميعاً ، فاطرحي هذا الخاتم في صبوحِها[2] ، فإذا أنكرتْ عليكِ فقولي لها : اصطبح ضيفُك قبلَك ، ولعلّه سَقَطَ مِنهُ . فرقّت الأمَةُ وفعلتْ ما أمَرها به .

فلمّا شَرِبَتْ عفراءُ اللبنَ رأت الخاتمَ فعرفَتْه ، فشَهَقَت ، ثم قالت : اصدُقيني عن الخبر ، فصدَقتْها . فلمّا جاءَ زوجُها قالت له : أتدري مَن ضيفُك هذا ؟ قال : نعم ، فلان بن فلان ، للنَّسب الذي انتَسَبَ له عُروة . فقالت : كلا والله يا هذا ، بل هو عُروة بن حِزام ابنُ عمّي ، وقد كَتم نفسَه حَياءً مِنكَ .

1 ل : فآذنته واستصحبت معه .

2 ل : في صحنها .

وقال عمرُ بن شبَّة في خبره : بل جاءَ ابنُ عمٍّ له فقال : أتركتُمْ هذا الكلب الذي قد نَزَل بِكم هكذا في دارِكم يفضَحُكم ؟ فقال له : ومَن تعني ؟ قال : عُروةُ بن حزام العُذْريُّ ضيفُك هذا . قال : أوَ إنّه لعروةُ ؟ بل أنتَ والله الكلبُ ، وهو الكَريمُ القَريبُ .

قالوا جميعاً : ثم بعَث إليه فدَعاه ، وعاتَبهُ على كتمانِه نفسه إيَّاه ، وقال له : بالرحْب والسَّعَةِ ، نشدتُك اللهَ إن رِمْتَ[1] هذا المكان أبداً ، وخرج وتركَهُ مع عفراءَ يتحدَّثان . وأوصى خادِماً له بالاستماع عليهما ، وإعادة ما تسمَعُه منهُما عَليه ، فلمّا خَلَوا تشاكَيا ما وَجَدا بعد الفِراقِ ، فطالت الشّكوى ، وهو يبكي أحَرَّ بكاءٍ ، ثم أتَتْه بشرابٍ وسألَتْه أن يشربَه . فقال : والله ما دَخل جَوفِي حَرامٌ قطُّ ، ولا ارتكبتُه منذُ كنتُ ، ولو استحلَلْتُ حراماً لكنتُ قد استحللتُه منكِ ، فأنتِ حظِّي من الدُّنيا ، وقد ذَهَبْتِ منّي ، وذَهَبتُ بعدَكِ فما أعِيشُ ! وقد أجملَ هذا الرجلُ الكريمُ وأحسنَ ، وأنا مستحيي منه ، وواللهِ لا أُقيمُ بعد علمهِ مكاني ، وإنّي عالِمٌ أنّي أرحلُ إلى مَنيَّتي . فبكتْ وبكى ، وانصرف .

[حمل نفسه على اليأس]

فلمّا جاءَ زوجها أخبره الخادم بما دار بينهما ، فقال : يا عفراء ، امْنعي ابن عمِّك من الخروج . فقالت : لا يمتنع ، هو واللهِ أكرمُ وأشدُّ حياءً من أن يُقيمَ بعدَ ما جَرى بينكما ، فدعاهُ وقال له : يا أخي ، اتَّقِ اللهَ في نفسِك ، فقد عرَفتُ خَبركَ ، وإنّكَ إن رَحَلت تلِفْتَ ، وواللهِ لا أمنعُكَ من الاجتماع معها أبداً ، ولئنْ شِئتَ لأفارِقَنّها ولأنزلَنَّ عنها لك . فجزاهُ خيراً ، وأثنى عليه ، وقال : إنّما كان الطّمعُ فيها آفتي ، والآن قد يئِستُ وقد حملتُ نفسي على اليأس والصّبر ، فإنَّ اليأس يُسْلي ، ولي أمورٌ ، ولا بُدَّ لي من رجوعي إليها ، فإن وَجدتُ من نفسي قوّةً على ذلكَ ، وإلاّ رَجعتُ إليكم وزُرتكم ، حتى يقضيَ اللهُ من أمري ما يشاءُ . فزوَّدوه وأكرمُوه وشيَّعوه ، فانصرفَ . فلمّا رَحَل عنهم نُكِسَ بعد صلاحهِ وتماثُلِه ، وأصابَهُ غَشْيٌ وخفقانٌ ؛ فكان كلّما أُغمِيَ عليه أُلْقِي على وجهِهِ خِمارٌ لعفراءَ زوَّدتْه إيَّاهُ ؛ فيُفيق .

[هو وعرّاف اليمامة]

قال : وَلقيهُ في الطريق ابنُ مكحولٍ عَرَّافُ اليمامة ، فرآه وجلس عنده ؛ وسأله عمّا به ؛ وهل هو خَبَلٌ أو جُنونٌ ؟ فقال له عُروةُ : ألكَ عِلمٌ بالأوجاع ؟ قال : نعمْ ؛ فأنشأ يقول[2] : [من الطويل]

1 رمت المكان : بارحته .

2 هذه الأبيات من القصيدة الثانية في مجموع شعره : 28-31 .

وما بيَ من خَبْلٍ ولا بِي جِنَّةٌ ولكنَّ عمِّي يا أُخَيَّ كذُوبُ[1]

أقولُ لعَرّافِ اليمامة داوني فإنَّكَ إنْ داويتني لَطبيبُ[2]

فواكَبِدا أَمْسَت رُفاتاً كأنَّما يلذِّعُها بالمُوقِداتِ طبيبُ

عَشيَّةَ لا عَفراءُ منْكَ بعيدةٌ فَتَسْلو ولا عَفْراءُ مِنكَ قريبُ[3]

عشيّة لا خلفي مَكَرٌّ ولا الهوى أمامي ولا يَهوَى هوايَ غَريبُ

فواللهِ لا أنساكِ ما هبَّت الصَّبا وما عقّبتْها في الرِّياحِ جَنُوبُ

وإنّي لتَغْشاني لذِكراكِ هِزّةٌ لها بينَ جلدِي والعِظامِ دَبيبُ[4]

وقال أيضاً يخاطب صاحبيه الهلاليّين بقصّته : [من الطويل]

خليلَيَّ من عُليا هلالِ بن عامرٍ بصَنْعاءَ عُوجا اليومَ وانتظِراني

ولا تزْهَدا في الذُّخْر عندي وأجمِلا فإنَّكما بي اليومَ مُبتليانِ

أَلِمّا على عفراءَ إنّكما غداً بوَشْكِ النَّوى والبَيْنِ معترفانِ

فيا واشِيَي عَفراءَ ويحكما بمَنْ وما وإلى مَنْ جئتما تشيانِ

بمَنْ لو أراهُ عانياً لفدَيتُه ومَنْ لو رآني عانياً لفَداني

مَتى تكشِفا عنِّي القميصَ تبيَّنا بِيَ الضُّرَّ من عفراءَ يا فتَيانِ

إذن تَرَيا لحماً قليلاً وأعظُماً بَلِينَ وقلباً دائمَ الخفقانِ

وقد تركَتني لا أعي لمحدِّثٍ حديثاً وإن ناجيتُه ونجاني

جعلتُ لعرّاف اليمامةِ حُكمَه وعرّافِ حَجْرٍ إن هما شفياني

فما تَرَكا من حيلةٍ يعرفانها ولا شَرْبةٍ إلاّ وقد سَقياني

ورَشّا على وجْهي من الماء ساعةً وقاما مع العُوّاد يبتدِرانِ

وقالا : شفاكَ اللهُ واللهِ ما لنا بما ضُمِّنت منكَ الضّلوعُ يدانِ

فوَيْلي على عفراءَ ويلاً كأنَّهُ على الصَّدْر والأحشاء حدُّ سِنانِ

---

1 شعره : عمي الحميري .

2 شعره : وقلت . . . فإنك إن أبرأتني .

3 شعره :

عشية لا عفراء دان مزارها فترجى ولا عفراء منك قريب

4 شعره : لتغشاني لذكراك رعدة .

أُحِبُّ ابنةَ العُذريِّ حُبّاً وإن نأتْ ودانيتُ فيهـا غيرَ مـا مُتداني

صوت

إذا رامَ قلبي هجْرَها حال دُونه شَفيعانِ مـن قلبي لهـا جَدِلانِ

غنّته شاريةُ ؛ ولحنُه من الثقيل الأوّل :

إذا قُلْتُ : لا ، قالا : بَلى ، ثمّ أصْبَحا جَميعـاً على الـرأي الذي يَريَانِ

تحمّلتُ من عَفراءَ ما ليسَ لي به ولا للجبـال الرَاسيـاتِ يَدانِ

فيا رَبِّ أنتَ المستعانُ على الذي تحمَّلتُ مـن عفـراءَ منذُ زمانِ

كأنَّ قَطـاةً عُلِّقَـتْ بجَناحِهـا على كَبِدي مـن شِدَّةِ الخفقانِ

في : تحمَّلتُ من عَفراءَ . . . .

والذي بعده ، ثقيلٌ أوَّل ، يقال إنّه لأبي العنبس بن حَمدون .

[عفراء ترثيه]

قال : فلم يزلْ في طريقِه حتى ماتَ قبلَ أن يصِلَ إلى حيِّه بثلاثِ ليالٍ . وبلغ عفراءَ خبرُ وفاته ، فجَزِعَتْ جَزعاً شديداً ، وقالت ترْثيه : [من الطويل]

ألا أيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ ويحكم بحـقٍّ نَعَيْتُم عُروةَ بـنَ حِزامِ

فلا تهنـأ الفِتيانَ بعدكَ لذَّةٌ ولا رجعُوا مـن غَيْبةٍ بسَلامِ

وقل للحَبالى لا تُرجِّـينَ غائباً ولا فَرِحـاتٍ بعــدَهُ بغُلامِ

قال : ولم تزلْ تردِّدُ هذه الأبياتَ وتندُبه بها ، حتى ماتت بعده بأيّامٍ قلائلَ .

وذكَر عُمَر بن شَبَّة في خبَره : أنّه لم يعلمْ بتزويجها حتى لقي الرُّفقةَ التي هي فيها ، وأنّه كان توجَّه إلى ابن عمٍّ له بالشّام ، لا باليمن [1] ، فلمّا رآها وقَف دَهِشاً ، ثم قال : [من الطويل]

فمـا هـيَ إلاّ أن أراهـا فجاءةً فأُبْهَـتَ حتـى مـا أكادُ أجيبُ

وأُصْدِفُ عن رأيي الذي كُنت أرتأي وأنسى الذي أزْمَعتُ ، حين تغيبُ [2]

ويُظهـرُ قلبـي عُذرَهـا ويُعينُهـا علـيَّ فمـا لي في الفـؤادِ نَصِيبُ

وقـد علِمتْ نفسي مكـانَ شِفائها قريباً ، وهـل مـا لا يُنالُ قريبُ ؟

---

1 ل : لا بالري .

2 شعره : وأصرف .

حَلفتُ بربِّ السَّاجدينَ لربِّهم ... خُشوعاً ، وفوقَ السَّاجدينَ رَقيبُ
لئن كان بَردُ الماءِ حرَّانَ صادياً ... إليَّ حَبيباً إنَّها لحَبيبُ

وقال أَبو زيد في خبره : ثم عادَ من عندِ عفراءَ إلى أَهله ، وقد ضَني ونَحَل . وكانت له أخواتٌ وخالةٌ وجدَّة ، فجعلنَ يعِظْنهُ ولا ينْفعُ ، وجئن بأبي كُحيلةَ رباح بن شدَّاد مولى بني ثُعَيْلة ، وهو عرّاف حَجْر ، ليداويَه فلم ينفعْهُ دواؤه .

وذكر أَبو زيد قصيدتَه النُّونيّة التي تقدَّم ذكرُها وزاد فيها : [من الطويل]

وعينانِ ما أُوفيتُ نشْزاً فتنظُرا ... مآقيهما إلاّ هما تَكِفانِ
سِوى أَنَّني قد قلتُ يوْماً لصاحبي ... ضُحًى وقَلُوصانا بنا تخدِانِ
أَلا حبّذا من حُبِّ عفراءَ وادياً ... نَعامٌ وبُزْلٌ حيثُ يلتقيانِ

وقال أَبو وزيد : وكان عُروةُ يأتي حِياضَ الماء التي كانت إبلُ عفراءَ ترِدَها فيُلصِقُ صدرَه بها ، فيقال له : مَهلاً ، فإنَّكَ قاتِلٌ نفسَك ، فاتَّقِ الله . فلا يقبل ، حتى أشرفَ على التَّلفِ ، وأحسَّ بالموتِ .

فجعل يقول[1] : [من الطويل]

بِيَ اليأسُ والدَّاءُ الهُيامُ سُقيتُه ... فإيَّاكَ عنِّي لا يكُنْ بك ما بِيا

[روايات أخرى في وفاته]

أَخبرني الحِرْميُّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجِشون ، عن أبي السَّائبْ قال : أخبرني ابنُ أبي عَتيق قال : واللهِ إنِّي لأسيرُ في أرض عُذْرة إذا بامرأةٍ تحمل غلاماً جَزْلاً ، ليس يُحمَلُ مثلُه ، فعجِبتُ لذلك ، حتى أقبلَتْ به ، فإذا له لحيةٌ ، فدعوتُها فجاءت ، فقلتُ لها : ويحكِ ! ما هذا ؟ فقالت : هل سمعتَ بعروةَ ابن حزام ؟ فقلت : نعم ، قالت : هذا واللهِ عروةُ . فقلت له : أنت عروة ؟ فكلّمني وعيناه تذرِفان وتدوران في رأسه ، وقال : نعم أَنا واللهِ القائل : [من الطويل]

جَعلتُ لعرَّافِ اليمامةِ حُكمَهُ ... وعرَّافِ حَجْرٍ إن هما شفَياني
فقالا : نعم نَشفي من الدَّاء كُلِّه ... وقاما مع العُوَّادِ يَبْتدِرانِ
فعَفْراءُ أَحظى النّاسِ عندي مَوَدَّةً ... وعَفْراءُ عنِّي المُعْرِضُ المُتواني

---

1 لم يرِد البيت في مجموع شعره .

قال : وذهبت المرأةُ ، فما بَرِحتُ من الماءِ حتى سمعتُ الصَّيحةَ ، فسألتُ عنها ، فقيل : ماتَ عُروةُ بنُ حزامٍ .

قال عبدُ الملك : فقلت لأبي السائب : ومن أيِّ شيءٍ مات ؟ أظنُّه شرِق ، فقال : سخُنت عيناك ، بأيِّ شيءٍ شرِق ؟ قلت : بريقه ، وأنا أُريد العبثَ بأبي السائب ، أفترى أحداً يموتُ من الحبِّ ؟ قال : واللهِ لا تُفلحُ أبداً ، نعم يموتُ خوفاً أن يتوبَ اللهُ عليه !

أخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا الكرانيُّ ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديٍّ ، عن هشام بن عروةَ ، عن أبيه ، عن النعمانِ بن بشير قال : ولاّني عثمانُ ، رضي الله عنه ، صَدقاتِ سعد هُذَيْمٍ ، وهم : بليٌّ ، وسَلامانُ وعُذرةُ ، وضَبّةُ بن الحارثِ ، ووائلٌ : بنو زيد ، فلمّا قبضتُ الصدقَة قسّمتُها في أهلها ، فلمّا فرغتُ وانصرفتُ بالسهمين إلى عثمان ، رضي الله عنه ، إذا أنا ببيتٍ مُفرَدٍ عن الحيِّ ، فمِلتُ إليه ، فإذا أنا بفتًى راقدٍ في فناء البيت ، وإذا بعَجُوزٍ من ورائه في كِسْرِ البيتِ ، فسلَّمتُ عليه ، فردَّ عليَّ بصوتٍ ضعيفٍ ، فسألتُه : ما لك ؟ فقال[1] : [من الطويل]

كأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجناحهـــا ... على كَبِدي من شدَّةِ الخَفقانِ

وذكر الأبيات النونيّة المعروفةَ ، ثم شهَق شَهقةً خفيفةً كانت نفسُه فيها . فنظرتُ إلى وجهه فإذا هو قد قَضى فقلت : أيّتُها العجوزُ ، مَن هذا الفتى منكِ ؟ قالت : ابني ، فقلت : إنِّي أراه قد مضى . فقالت : وأنا واللهِ أرى ذلك . فقامت فنظرتْ في وجهه ثم قالت : فاظ وربِّ محمدٍ ، فقلت لها : يا أُمَّاه ، مَن هو ؟ فقالت : عُروةُ بن حزام ، أحدُ بني ضبَّة ، وأنا أُمُّه . فقلت لها : ما بلغ به ما أرى ؟ قالت : الحبُّ ، واللهِ ما سمعتُ له منذ سنَةٍ كلمةً ولا أنّةً إلاّ اليومَ ، فإنَّه أقبل عليّ ثم قال : [من البسيط]

مَـــن كان مِن أُمَّهاتي باكيـاً أبداً ... فاليومَ إنِّي أُراني اليـــومَ مَقبوضا
يُسْمِعْنَنيهِ فإنِّـــي غيرُ سامعـــهِ ... إذا علوتُ رقابَ القـومِ مَعْروضا

قال : فما بَرِحتُ من الحيِّ حتى غسَّلتُه ، وكفَّنتُه ، وصلَّيتُ عليه ، ودفَنتُه .

[رواية أخرى في وفاة عفراء]

وذكر أبو زيد عمر بن شَبَّة في خبره ، هذه القصَّةَ عن عُروة بن الزُّبير ، فقال هذين البيْتين بحضرته :

---

1 شعره : 32 .

مَن كان من أخواتي باكياً أبداً ....

قال : فحضرنه فبرزْنَ ، واللهِ ، كأنّهنّ الدُّمى ، فشققْنَ جُيوبَهُنَّ ، وضرَبنَ خُدودهُنَّ ، فأبكَين كلَّ مَن حضَر . وقضى من يومه .

وبلغ عفراء خبرُه ، فقامتْ لزوجها فقالتْ : يا هَناه ، قد كان من خيرِ ابن عمِّي ما كان بَلَغك ، وواللهِ ما عرفتُ منه قطُّ إلاّ الحسنَ الجميلَ ، وقد مات فيَّ وبِسَبَبي ، ولا بُدَّ لي من أن أندُبَه وأُقيمَ مأتماً عليه . قال : افعلي . فما زالت تندُبه ثلاثاً ، حتى تُوُفِّيت في اليوم الرابع .

وبلغ معاويةَ بن أَبي سُفيانَ خبرهُما ، فقال : لو علمتُ بِحال هَذيْن الحُرَّيْن الكريمَيْنِ لجمعتُ بينَهُما .

ورُوِي هذا الخبر عن هارونَ بن موسى القرويّ ، عن محمد بن الحارث المخزوميّ ، هم هشام بن عبدِ الله ، عن عِكرمة ، عن هشام بن عروةَ عن أبيه ، أنّه كان شاهداً ذلك اليومَ . ولم يذكر النُّعمانَ بن بشير في خبره .

[طلب عفراء بعد أن رفضها]

وذكر هارون بن مسلمة عن غُصَيْن بن بَرَّاق ، عن أُمّ جميلٍ الطائيَّةِ : أنّ عفراءَ كانت يتيمةً في حِجْرِ عمِّها عمِّه ، فعرَضَها عليه فأباها ، ثم طال المَدى ، وانصرف عروةُ في يوم عيدٍ ، بعد أن صلَّى صلاةَ العيدِ ، فرآها وقد زُيِّنَت ، فرأى منها جمالاً بارعاً ، وقدَّمَت له تُحفةً فنال منها وهو ينظر إليها ، ثم خطبها إلى عمِّه فمنَعه ذلك ، مكافأةً لما كان من كراهَتِهِ لها لّما عرضها عليه ، وزوَّجها رجلاً غيره فخرج بها إلى الشام ، وتَمادى في حبِّها حتى قتله .

حدَّثنا محمد بن خَلَف وَكِيع قال : حدَّثنا عبدُ الله بن شَبيب قال : حدَّثنا أَبو بكر بن أَبي شَيْبة وغيرُه ، عن سليمانَ بن عبد العزيز بن عمران الزُّهريِّ قال : حدَّثني خارجةُ المكِّيُّ : أنّه رأى عُروةَ بن حزامٍ يُطافُ به حولَ البيت . قال : فَدَنَوتُ منه ، فقلت : مَن أنتَ ؟ فقال : الذي أَقول : [من الطويل]

أَفي كلِّ يـومٍ أَنتَ رامٍ بلادَها   بعينـينِ إنساناهُمـا غَرِقـانِ
أَلا فاحمِلاني باركَ اللهُ فيكُما   إلى حاضر الرَّوْحاء ثم ذَراني

فقلتُ له : زِدني ، فقال : لا واللهِ ولا حرفاً .

[يقتله الحبّ عند ابن عبّاس]

أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني أبو سعيدٍ السكَّريُّ قال : حدَّثني محمدُ بن حبيب قال : ذكر الكلبيُّ ، عن أبي صالح ، قال : كنتُ مع ابنِ عبّاسٍ بعرفَة ، فأتاه فِتيانٌ يحملون بينهم فتًى لم يبقَ منه إلاّ خيالُه ، فقالوا له : يا ابنَ عمِّ رسولِ الله ، ادْعُ له ! فقال : وما به ؟ فقال الفتى : [من الطويل]

بِنا من جَوى الأحزانِ في الصدرِ لوْعةٌ ... تَكـادُ لهـا نَفْسُ الشَّفِيـق تذوبُ
ولكنَّمـا أبقـى حُشاشةَ مُعْـولٍ ... على مـا بـه عُـودٌ هناكَ صَلِيبُ

قال : ثم خَفَتَ في أيديهم فإذا هو قد مات .

فقال ابنُ عبّاسٍ :

هـذا قتيلُ الحـبِّ لا عَقْلٌ ولا قَود

ثم ما رأيتُ ابن عبّاس سأل الله ، جلَّ وعزَّ ، في عشيَّته إلاّ العافيةَ ، ممّا ابتُلِيَ به ذلك الفَتى . قال : وسألْنا عنه فقيل : هذا عُروةُ بنُ حزام .

صوت[1]

[من الطويل]

أعالِـيَ أعـلى اللهُ جَـدَّكِ عاليا ... وأسقى بَريَّـاكِ العِضـاهَ البواليا
أعاليَ مـا شمسُ النّهارِ إذا بَدَتْ ... بأحسنَ مِمَّا تحـتَ بُرْدَيْكِ عالِيا
أعـاليَ لـو أنَّ النساءَ ببَلـدَةٍ ... وأنـتِ بأُخـرى لاتَّبعتُكِ ماضِيا
أعاليَ لو أشْكو الذي قـد أصابني ... إلى غُصُنٍ رَطْـبٍ لأصبح ذاوِيا[2]

الشعر للقتَّال الكِلابيّ .

وقد أُدخل بعضُ الرُّواة الأوّلَ من هذه الأبياتِ مع أبياتِ سُحَيم عَبْدِ بني الحَسْحاس التي أوّلُها :

فما بيضةٌ بات الظَّليمُ يحُفُّها[3]

في لحنٍ واحدٍ . وذكرتُ ذلك في موضِعِه ، وأفردتُه على حِدَتِه ، وأتيتُ به على حقيقَتِه .

1 ديوان القتال الكلابي : 94 .
2 ذاويا في الديوان : باليا .
3 تمام البيت : ويرفع عنها جؤجؤاً متجافياً وقد تقدم شعر سحيم في ترجمته .

والغناءِ لابن سُرَيج ، ثاني ثقيل بالسبّابةِ في مجرى الوُسْطى . وذكر الهِشاميُّ أنّ فيه لأبي كامل ثانيَ ثَقيل ، لا أدري أهذا يعني أم غيره . ووافَقَه إبراهيمُ في لحن أبي كامل ولم يُجنِّسه ، وزعَم أنّ فيه لحناً آخر لابن عبّاد ، وفيه ثقيلٌ أوّلُ ، ذكر ابن المكّيّ أنّه لمعْبَدٍ . وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى منحولٌ إلى مَعْبدٍ . وذكر حَبَشٌ أنّه لطُوَيس .

وفي هذه القصيدةِ يقول القتَّالُ : [من الطويل]

أعـــاليَ أخـــتَ المالكيِّـين نَوِّلي بمـــا ليس مَفقوداً وفيـه شفائيا

أصارِمَتـي أمُّ العَلاء وقــد رَمى بـيَ النّاسُ في أمِّ العـلاءِ المراميا

أيــا إخوتـــي لا أصبِحَنْ بمُضِلَّةٍ تُشيبُ إذا عُــدَّتْ عليَّ النَّواصِيا

فرادِ لدَيْكَ القومَ واشعبْ بحقِّهم كما كنتَ لـو كنتَ الطَّرِيدَ مُرادِيا[1]

وشمِّرْ ولا تجعلْ عليكَ غَضاضةً ولا تنسَ يـا ابنَ المَضرحيّ بلائيا

ولهذه القصيدةِ أخبارٌ تُذكَر في مواضِعها هاهُنا إن شاء الله تعالى .

1 الديوان : وأتبعته فيكم إذا كان حقهم . وراد : فعل أمر من راد بمعنى راود .

[535] ـ أخبار القتال ونسبه[1]

[نسبه]

القتّال لقبٌ غَلَب عليه ، لتمرُّدِه وفَتكِه . واسمه : عبد الله بن المُضَرَّحِيّ بن عامر الهَصَّان بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة . ويكنى أبا المُسيَّب ، وأُمّه عَمْرة بنتُ حُرَقة بن عوف بن شدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب . وقد ذكرها في شعره وفَخَر بها ، فقال : [من الطويل]

لقــد وَلَدَتْنــي حُــرَّةٌ رَبَعيَّــةٌ من اللاء لم يحضُرْنَ في القَيْظِ ذِبْذِبا[2]

[قتل أخا عالية وهرب]

نسخْتُ من كتاب لمحمد بن داوُد بن الجَرَّاح خبره ، وذكر أنَّ عبد الله بن سليمان السِّجِستانيّ دَفَعَه إليه وأخبره أنّه سَمِعَه من عُمَر بنِ شَبّةَ وأجاز له روايتَه ، وأخبرني بأكثرِ روايةِ عمر بن شَبَّة هذه الأخفشُ عن السّكريِّ عنه في أخبار اللُّصُوص وجمعتُ ذلك أجمع .

قال عمر بن شبَّة : حدَّثني حُمَيد بن مالِك بن يسار المِسْمعيّ قال : حدَّثني شدَّاد بن عُقبة بن رافع بن زَمْل بن شُعَيب بن الحارث بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلابٍ . وكانت أُمُّ رافع جنوبَ بنتَ القتّال .

وحدَّثني شيخٌ من بني أبي بكر بن كِلاب ، يكنى أبا خالد ، أيضاً بحديث القتَّال ، قال أبو خالد : كان القتّالُ ، قتّالُ ربيعةَ بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، يتحدَّث إلى ابنة عمٍّ له يقال لها العاليةُ بنت عبيد الله . وكان لها أخٌ غائبٌ يقال له : زياد بن عُبَيد الله . فلمّا قَدِمَ رأى القتّالَ يتحدَّث إلى أُخته ، فنهاهُ وحلف : لئن رآه ثانيةً ليقتُلَنَّه . فلمّا كان بعد ذلك بأيّامٍ رآهُ عندها ، فأخذ السيف وبَصُرَ به القتّال ، فخرج هارباً ، وخرج في إثره ، فلمّا دنا منه ناشده القتّالُ باللهِ والرحمِ ، فلم يلتفت إليه . فبينا هو يسعى ، وقد كاد

1 ترجمة القتال الكلابي في الشعر والشعراء : 594–595 والمؤتلف : 252 وخزانة البغدادي والسمط : 12 وأسماء المغتالين : 303 وألقاب الشعراء : 312 والمحبر لابن حبيب : 213 ، 226 ونسب قريش : 219 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد حقق إحسان عبّاس ديوانه (بيروت ، 1961) بمقدمة ضافية وتخريج كثير ، وإليه نشير .

2 ذبذبا في الديوان : دندنا . ودندن : الخشب اليابس إذا اسودّ من القدم . وذبذب : ركية في ديار أبي بكر بن كلاب .

يلحَقُه ، وَجد القتال رُمْحاً مَرْكوزاً ، وقال السكريّ : وجد سَيفاً ، فأَخذه وعطف على زيادٍ فقتلَه ، وقال[1] : [من الطويل]

نَهَيتُ زِياداً والمَقامةُ بيننا وذكرتُه أَرحامَ سِعْرٍ وهَيْثَمِ[2]

فلمَّا رَأيتُ أَنَّه غيرُ مُنتهٍ أَمَلْتُ له كفِّي بلَدْنٍ مُقوَّمِ

ولمّا رأيتُ أَنَّني قد قَتَلْتُه نَدِمْتُ عليه أَيَّ ساعةِ مَندمِ

وقال أَيضاً[3] : [من الطويل]

نَهيتُ زِياداً والمَقامةُ بيننا وذكرتُه باللهِ حَوْلاً مُجَرَّما

فلمَّا رأيتُ أَنَّهُ غيرُ مُنْتَهٍ ومولايَ لا يَزْدادُ إلاّ تقدُّما

أَمَلتُ له كفِّي بأَبيضَ صارمٍ حُسامٍ إذا ما صادَفَ العَظْمَ صَمَّما

بكفِّ امرئٍ لم تَخْدُمِ الحيَّ أُمُّه أَخي نجداتٍ لم يكنْ مُتَهضَّما[4]

ثم خرج هارباً ، وأَصحاب القَتيل يطلبُونه ، فمرَّ بابنة عمٍّ له تُدْعَى زينب ، مُتَنَحِّيةٍ عن الماء ، فدخل عليها ، فقالت له : وَيْحَكَ ! ما دَهاك ؟ قال : أَلقي عليَّ ثيابَكِ ! فأَلْقَتْ عليه ثيابَها ، وأَلبسَتْه بُرْقُعَها ، وكانت تمسُّ حِنَّاءً ، فأخذ الحِنّاءَ فلطَّخ بها يَدَيْه وتنحَّتْ عنه ، ومَرَّ الطَّلَبُ به ، فلمّا أتوا البيت قالوا وهم يظنُّونَ أنّه زينب ؟ : أين الخَبيثُ ؟ فقال لهم : أَخَذَ هاهنا ، لغير الوجهِ الذي أَراد أن يأخُذه . فلمّا عرف أن قد بَعُدوا أخَذ في وجهٍ آخرَ ، فلَحِقَ بعَماية ، وعمايةُ جَبلٌ ، فاستَتَر فيه ، وقال في ذلك[5] : [من الطويل]

فمَنْ مُبْلِغٌ فِتيانَ قوميَ أَنَّني تسمَّيْتُ لَمّا شبَّت الحَرْبُ زَيْنَبا[6]

وأَرخيتُ جِلْبابي على نبْت لِحْيتي وأَبديتُ للنَّاسِ البَنانَ المخضَّبا

وقال أَيضاً[7] : [من الطويل]

---

1 ديوان القتال : 89 .

2 نهيت في الديوان : نشدت ، أي استحلفت . والمقامة بيننا : وأَهل المجلس بيننا حاضرون (عن التبريزي) . وسعر وهيثم : رجلان .

3 ديوانه : 90 .

4 متهضما : تهضم حقوقه وهو ساكن .

5 ديوان القتال : 35 .

6 الديوان : ألا هل أَتى فتيان قومي .

7 ديوانه : 45 .

جَزى اللهُ عَنَّا والجزاءُ بكفِّهِ عَمايــةَ خيراً أُمَّ كلِّ طَرِيدِ[1]
فما يزدهِيها القومُ إنْ نزلُوا بها وإن أُرسل السُّلطانُ كلَّ بَريدِ
حَمَتْنيَ منها كلُّ عَنقاءَ عَيْطَلٍ وكلُّ صفاً جَمّ القِلاتِ كَؤودِ[2]

فمكث بعماية زماناً يأتيه أخٌ له بما يحتاجُ إليه ، وأَلِفَه نَمِرٌ في الجبَلِ كان يأوي مَعه في شِعْبٍ .

[مصاحبة النمر]

وأخبرني عبدُ الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمدُ بن حَبيب ، عن ابن الكلبيّ ، قال : كان القتّالُ الكِلابيُّ أصابَ دماً ، فطُلِب به ، فهرب إلى جبَل يقال له عَماية ، فأقام في شعبٍ مِن شِعابِهِ ، وكان يأوي إلى ذلك الشِّعب نَمِرٌ ، فراح إليه كعادتِه ، فلمّا رأى القتّالَ كشَرَ عن أنيابِه ، ودلع لسانَه فجرد القتّال سيفَه من جَفنِه ، فردَّ النمرُ لسانه ، فشام القتّال سيفَه ، فربَض بإزائـه ، وأخرج براثنـه ، فَسَلَّ القتّـالُ سهامَه من كِنانتِه ، فَضَرَب بيدهِ وزأر ، فأوْتـر القتّالُ قوسَه ، وأنبض وترها ، فسكن النَّمِرُ وأَلِفَه .

فقال ابنُ الكلبيِّ في هذا الخبر ، ووافقه عمر بن شبَّة في روايته : كان النمر يصْطادُ الأَرْوى فيجيءُ بما يَصْطاده ، فيُلقيه بين يدي القتّال ، فيأخُذ منه ما يقُوته ، ويُلقي الباقي للنَّمر فيأكلُه . وكان القتّال يخرجُ إلى الوحْش فيرمي بنبْله ، فيُصيب منه الشيءَ بعد الشيءَ ، فيأتي به الكهف ، فيأخُذُ لِقُوته بعضَه ، ويلقي الباقي للنمر . وكان القتّالُ إذا وَرَدَ الماءَ قام عليه النَّمرُ حتى يشْربَ ، ثم يتَنَحَّى القتّالُ عنه ويَرِدُ النَّمِرُ ، فيقُومُ عليه القتّالُ حتى يشْرب . فقال القتّال في ذلك من قصيدة له[3] : [من الطويل]

ولي صاحبٌ في الغارِ يعْدِلُ صاحباً أَبــا الجــوْن إلاَّ أَنَّــه لا يُعَلَّلُ

أبو الجوْن : صديق له كان يأنس به ، فشبهه به . وفي رواية عمر بن شَبَّة : أخي الجون ، فإنَّ القتّال كان له أخ اسمه الجوْنُ ، فشبَّههُ به :

كِلانــا عــدُوٌّ لا يَرى في عَدُوِّه مَهَزّاً وكُـلٌّ في العَداوةِ مُجمِلُ[4]

1 عماية : جبل بنجد .
2 عنقاء : صفة للهضبة لارتفاعها . والعيطل : الهضبة الطويلة . والصفا : الصخر الأملس والقلات : جمع قلت ، وهي النقرة في الجبل .
3 ديوان القتال : 77–78 مع اختلاف في الترتيب .
4 مهزآ في الديوان : محزاً .

إذا مـا التَقَيْنا كان أُنْسُ حَدِيثنا صِماتاً وطَرْفٌ كالمَعابِـلِ أَطْحَلُ[1]
لنـا مَـوْرِدٌ قَلْتٌ بأَرْضٍ مَضَلَّةٍ شَرِيعَتُنـا : لأَيِّنـا جـاءَ أَوَّلُ[2]
تَضَمَّنَت الأَرْوى لنـا بِشِوائِنـا كِلانا لـه منها سَديفٌ مُخَرْدَلُ[3]
فأَغْلِبُـه في صَنْعَـةِ الزَّادِ إنَّنـي أُمِيطُ الأذى عنـه ومـا إنْ يُهَلِّلُ

أي ما يسمِّي اللّهَ تعالى عند صَيْدِه .

[وليمة كاذبة]

أَخبرني اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي الفضلُ عن إسحاقَ الموصليّ ، وأَخبرني به محمد بن جعفر الصَّيدلانيّ ، عن الفضل ، عن إسحاق . وأخبرني به وَسواسة بن الموصليّ عن حمّادٍ ، عن أبيه ، قال : قال أبو المجيب أو شدّاد بن عقبة : دعا رجلٌ من الحيّ يقال له أبو سفيان القتّالَ الكلابيَّ إلى وَليمةٍ ، فجلس القتّال ينتظر رسوله ولا يأكل حتى انتصف النّهار ، وكانت عنده فِقرة من حُوار ، فقال لامرأته[4] : [من الطويل]

فـإنَّ أَبا سُفيانَ ليس بمُـولمٍ فقُومي فهاتي فِقْرةً من حُوارِكِ

قـال إسحاق : فقلتُ لـه : ثمَّ مَـهْ ؟ قال : لم يأتِ بعده بشيءٍ ، إنّما أرسَلَه يتيماً . فقلتُ له : لِمَـهْ ؟ أفلا أزيدُكَ إليه بيتاً آخرَ ليس بدونِه ؟ قال : بلى ، فقلتُ : [من الطويل]

فبيتُكِ خيْرٌ مـن بيوتٍ كثيرةٍ وقِدْرُك خيْرٌ من وليمة جارِكِ

فقال : بأَبي أَنتَ وأُمِّي ، والله لقد أَرسلتَه مثلاً ، وما انتظرتَ به العربَ ، وإنكَ لَبَزُّ طرازٍ ما رأيتُ بالعراق مثله ، وما يُلام الخليفةُ أن يُدنيكَ ويؤْثِرَك ويتملَّحَ بِك ، ولو كان الشَّبابُ يُشتَرى لابْتَعتُه لك بإحدى يدَيَّ ويُمنى عينيَّ ، وعلى أنّ فيكَ بحمد الله بقيّةً تَسُرُّ الودُودَ ، وتُرغمُ الحسُود .

[كبر وشبّ ولداه]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثني عمر بن شَبَّة قال : كان للقتّال ابنان ، يقال لأحدهما المسيَّب ، وللآخر عبد السلام ، ولعبد السلام يقول[5] : [من البسيط]

---

1 المعابل : جمع معبل ، وهو النصل الطويل العريض . وأطحل : بلون الطحال .

2 الديوان : وكانت لنا قلت بأرض مضلة .

3 الديوان : بطعامنا بدل بشوائنا . . . نصيب ومأكل . والسديف : الشحم .

4 ديوان القتال : 72 .

5 ديوان القتال : 53 .

عبدَ السَّلام تأمَّلْ هــل تَرى ظُعُناً إنِّي كَبِرتُ وأَنت اليومَ ذو بَصَرِ
لا يُبعِــدُ اللّهُ فِتيانــاً أَقــولُ لهمْ بالأبرقِ الفَرْدِ لمّـا فاتني نَظَري[1]
أَلا تــروْنَ بأَعــلى عاصمٍ ظُعُنــاً نكَّبْنَ فَحْلَــينِ واستقبَلن ذا بَقَرِ[2]

[يغيظه عدم الطلب بالثأر]

وقال أَبو زيد عُمَر بن شَبَّة من رواية ابن داوُد عنه : حدَّثني سَعِيد بنُ مالك قال : حدَّثني شدّاد بن عُقْبة قال : اقتَتل بنـو جَعْفَر بن كِلاب وبنـو العَجْلان بن كَعْب بن ربيعة بن صَعْصَعة ، فقتلت بنو جَعفر بن كلاب رَجُلاً من بني العَجْلان . قال شدّاد : وكانت جـدَّة القتّالِ أُمُّ أبيه عجلانيّةً ، وهي خَوْلـة بنت قيس بن زيـاد بن مالك بن العجلان . فاستبطأَ القتّال أخوالَه بني العجلان في الطّلَبِ بثأرِهم من بني جعفر ، وجعل يحضُّهم ويُحرِّضُهم ، فقال في ذلك ، وقد بلَغَهُ أنّهم أخذُوا من بني جعفر دِيَةَ المقتول ، فعيَّرهم بما فعلوا وقال[3] : [من الطويل]

لعَمْـرِي لَحَــيٌّ من عُقَيْلٍ لقيتُهُم بخَطْمــةَ أو لاقيتُهُــم بالمناسِكِ[4]
عليهمْ مــن الحَــوْكِ اليمانيِّ بِزَّةٌ على أَرْحَبِيَّاتٍ طِــوالِ الحَوارِكِ[5]
أَحَبُّ إلى نفسي وأَملحُ عندَهــا منَ السَّرَواتِ آل قيس بنِ مالِكِ
إذا مــا لقيتُمْ عُصْبةً جعفريَّــةً كرِهتُم بني اللَّكْعاءِ وقْعَ النيازِكِ[6]
فلستُمْ بأَخْــوالي فــلا تصْلُبُنّني ولكنَّما أُمِّي لإِحــدى العواتِكِ[7]
قِصارُ العِمادِ لا تَــرى سَرَواتِهم مع الوفـد جَثَّامُونَ عنــد المبارِكِ
قُتِلتُم فلمَّــا أَن طلبتُــمْ عُقِلتُــم كذلــكَ يُؤْتــى بالذَّليــلِ كذلكِ

[حكاية اغتيال السجّان]

وقال ابن حبيب : خرج ابنُ هبَّار القُرشيُّ إلى الشام في تجارة أَو إلى بعض بني أُمَيَّة ،

---

1 فاتني في الديوان : فاتهم .
2 الديوان : يا هل تراءى بأَعلى عاصم ظعنٌ .
3 ديوان القتال : 71 .
4 خطمة : جبل يصب رأسه في واد .
5 أرحبيات : نوق منسوبة إلى أرحب . والحوارك : جمع حارك ، وهو الظهر .
6 اللكعاء : الحمقاء . وفي الديوان : وقع السنابك .
7 في الحديث «أنا ابن العواتك بن سليم» . ولعل القتّال يعني أنّ أخواله من سليم وينفي أن يكونوا من بني العجلان (انظر الفائق 3 : 113 واللسان : عتك) .

فاعترضه جماعةٌ فيهم القتّال الكلابيُّ وغيره ، فقتلوه وأخذوا مالَه . وشاع خبره ، فاتُّهم به جماعةٌ من بني كِلاب وغيرهم من فُتّاك العرب ، فأُخِذوا وحُبِسوا ، أخذهم عامل مروانَ بن الحكم ، فوجَّهَهُم إليه وهو بالمدينة ؛ فحبَسهم ليبحث عن الأمر ، ثم يقْتل قَتَلةَ ابن هَبّار . فلمّا خَشيَ القتّال أن يُعلم أمرُهُ ، ورأى أصحابه ليس فيهم غَناء ، اغتال السَّجّان فقتله ، وخرج هو ومنَ كان معه من السِّجن فهربوا ، فقال يذكر ذلك[1] : [من الطويل]

أُمَيْـمَ أثيبـي قبـل جِـدِّ التَّزيُّـلِ ... أثيبي بوصْـلٍ أو بِصُـرْمٍ مُعَجَّلِ[2]
أُمَيْم وقد حُمِّلْتُ مـا حُمِّـلَ امْـرُؤٌ ... وفي الصُّـرْم إحْسانٌ إذا لم تُنَوِّلي[3]

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

وإنّي وذكـري أُمَّ حَسّانَ كالفتـى ... متى مـا يذُقْ طَعْمَ المُدامة يَجْهلِ[4]
ألا حبّـذا تلـك البـلادُ وأهلهـا ... لـو انَّ عذابـي بالمدينـة ينْجلي[5]
برزتُ لهـا من سِجْن مرْوان غُدوةً ... فآنستُهـا بالأَيْـم لم تتحـوَّلِ[6]
وآنستُ حَيّـاً بالمطـالي وجامِـلاً ... أبابيـلَ هَطْلى بـين راعٍ ومُهملِ[7]
نظرتُ وقد جَلّى الدُّجى طامِسَ الصُّوى ... بسِلْـعٍ وقَـرْنُ الشمسِ لم يترجَّلِ[8]
وشُبَّتْ لنا نـارٌ لليْـلى صباحـه ... يُذَكّـى بعُـودٍ جَمْرُهـا وقَرَنْفُلِ[9]
يُضيء سَناهـا وجـهَ ليـلى كأنّما ... يُضيءُ سَناهـا وَجْـهَ أَدْماءَ مُغْزِلِ
علا عظمُهـا واستعْجَلَتْ عن لِداتِها ... وشَبَّتْ شبابـاً وهْـيَ لمّـا تُسَرْبَلِ[10]
ولّمـا رأيـتُ البابَ قـد حِيل دُونَهُ ... وخِفْـتُ لِحاقـاً مـن كتابِ مُؤَجَّلِ

1 ديوان القتّال : 73–76 .
2 التزيل : الرحيل .
3 لم تنوِّلي في الديوان : لم ينول .
4 أم حسّان في الديوان : أم حيان .
5 البلاد في الديوان : الديار .
6 لها في الديوان : بها ، أي بالمدينة .
7 المطالي : أرض واسعة من بلاد أبي بكر بن كلاب . والجامل : القطيع من الجمال . وقيل الحي العظيم . هطلى : جماعات متفرقة : وأبابيل : جماعات .
8 طامس في الديوان : طاسم ، أي طامس . ولم يترجل : لم يرتفع .
9 صباحه في الديوان : شيافة .
10 غلا عظمها : سمنت . وفي الديوان : وتربّل : يربو جسمها .

حملـتُ عَلى المكـروهِ نفساً شريفةً ... إذا وُطِّئَـتْ لم تستقِـدْ للتَّذَلُّلِ[1]

وكالىءِ بـاب السِّجْنِ ليس بِمُنْتَهٍ ... وكان فِـراري منـه ليس بمُؤْتَلي

إذا قلـتُ رفِّهني من السِّجْنِ ساعةً ... وتمِّمْ بهـا النُّعْمـى عَلَـيَّ وأَفْضِلِ[2]

يَشُدُّ وَثاقـاً عابِساً ويَغُلُّنـي ... إلى حَلَقـاتٍ مـن عمودٍ مُوَصَّلِ[3]

فقُلتُ لـه والسَّيفُ يَعْضِب رأْسَهُ ... أنـا ابنُ أَبـي التَّيماء غيرُ المنحَّلِ[4]

عرفـتُ نِـدايَ مـن نِداهُ وشيمتي ... وريحـاً تَغشَّاني إذا اشتَدَّ مِسْحَلي[5]

تركـتُ عِتاقَ الطَّيْرِ تحجِـلُ حَوْلَهُ ... على عُـدَواءَ كالحُـوارِ المجدَّلِ[6]

وقال أَبو زيد في خبره : وأنشدني شدّادٌ للقتَّال الكلابيٍّ يذكر قَتلَ ابنِ هَبّار[7] : [من الطويل]

تركتُ ابنَ هَبَّارٍ لَدى الباب مُسْنَداً ... وأَصبحَ دُوني شابـَةٌ وأُرومُها[8]

بسيف امرىءٍ مـا إن أُخَبِّرُ باسمهِ ... وإن حَقَرتْ نفسي إليَّ هُمومُها[9]

هكذا روى ابنُ حبيب وعمرُ بن شبَّة .

وَنسختُ مِن كتابٍ للشاهِينيٍّ بخطِّه فيه شعر للقَتَّال وأَخبارٌ من أَخباره قال : حُبِس القتّال في دم ابن عمِّهِ الذي قتلَه ، فحُبِسَ زماناً في السِّجن ، ثم كان بينَ ابن هبّار القرشيّ وبين ابنِ عمٍّ له من قريشٍ إحْنة ، فبلغ ابن عمِّه أنّ القتّالَ محبوسٌ في سِجْنِ المدينة . فأتاه فقال له : أرأيتَ إنْ أنا أخرجتُك أتقتلُ ابن عمّي المعروفَ بابنِ هبّار ؟ قال : نعم ، قال : فإنِّي سأُرسِلُ إليك بحديدةٍ في طعامِك ، فعالج بها قيدَك حتى تفكَّه ثم البَسه حتى لا تُنكَرَ ، فإذا خرجتَ إلى الوُضوءِ فاهْربْ من الحَرَس ، فإنِّي جالسٌ لك ومخلِّصُك ومُعْطيك فرساً تنجُو عليه ، وسيفاً

---

1 الديوان : رددت . . . نفساً شريسة . وشريسة : ذات شراسة شديدة عسرة .

2 الديوان : تدارك بها نعمي .

3 الديوان :

يشدُّ وثاقـي عابساً ويتلنـي ... إلى حلقـات في عمـود مرمّل

مرمل : ملطخ بالدم .

4 الديوان :

أقول له والسيف يعصب رأسه ... أنـا ابن أبـي أسماء غير التنحل

5 المسحل : العزم الصارم . والريح التي تغشاه هي ريح الأنفة .

6 عدواء : أرض صلبة .

7 ديوان القتال : 86 .

8 شابة : جبل بنجد . أروم : جبل لبني سليم .

9 الديوان : لن أخبر الدهر باسمه . وانظر حاشية محقق الديوان .

تمتنع به ، فإن خلّصك ذلك وإلاّ فأبعدكَ اللهُ ، فقال : قد رَضيتُ .

قال : وكان أهلُ المدينة يُخرِجون المحتَبسين إذا أمسَوا للوُضوء ، ومعهم الحرسُ ، ففعل ما أُمره به ، وأتاه القُرَشيُّ فخلَّصه وآواه ، حتى أمسكَ عنه الطَّلبُ . ثم جاء به وأعطاه سيفاً ، فقتل ابنَ عمِّه المعروفَ بابنِ هبّار ، ووهب له نجيباً ، فنجا عليه وقال : [من الطويل]

تركتُ ابنَ هبَّار لدى البابِ مُسنَداً وأَصْبَـح دُوني شابّــةٌ وأرومُها
بسَيف امرِىءٍ لا أُخبرُ الناسَ باسمِهِ ولــو أُجهِشَتْ نفسي إليَّ هُمُومُها

[هجاء علية بنت شيبة وقومها]

وقال : أبو زيدٍ عُمرُ بن شبَّة فيما رواه عن أصحابه : مَرَّ القَتَّال بعُلية بنتِ شيبة بن عامرِ بن ربيعةَ بنِ كَعْب بن عمرو بن عبد بن أبي بكر وأخويها : جَهمٍ وأُويس ، فسألها زِماماً فأبتْ أن تُعطيَه ؛ وكانت جدَّتهمُ أُمُّ أبيهم أَمةً يُقال لها أُمُّ حُدَيْر ، وكانت لقريظة بن حُذَيفة بن عمّار بن ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر . فولدَتْ له أُمَّ هؤلاءِ ، واسمها نجيبة ، فولدت له عُليّةَ هذه ، فقال القتّالُ يهجوهُم[1] : [من البسيط]

يــا قَبَّحَ اللهُ صِبيانــاً تجــيءُ بهم أُمُّ الهُنَيْبِر مــن زَنــدٍ لهــا واري[2]
مــن كلِّ أعلــمَ مُنشَقٍّ مَشافرُهُ ومؤذَنٍ ما وَفــى شِبْراً بمِشبارِ[3]
يا وَيْحَ شَيماءَ لم تَنْبِذْ بأَحــرارِ مثــلي إذا اعتراني بعْضُ زُوَّاري
إنَّ القُريطِينَ لم يَدْعُــوكِ كِنَّتَهم فأقصِري آلَ مَسْعُــودِ ودِينارِ[4]
أَمَّا الإماءُ فمــا يَدْعونَني ولداً إذا تُحُدِّثَ عن نقضي وإمراري
يا بِنتَ أُمِّ حُدَيْرٍ لــو وهبتِ لنا ثنتين مــن مُحكَمٍ بالقِدِّ أُوتاري[5]
إمَّا جديــداً وإمَّــا باليــاً خَلَقــاً عــاد العَــذارى لِقَطْعَيْهِ بأَسْيارِ
لكان ردْءاً قليــلاً واعتجنتُ له صهْباءَ مقَّعَها حاجِي وأَسفاري[6]

1 الأبيات من قصيدتين منفصلتين في ديوان القتال 54–58 . ثم جمعهما المحقق في رواية واحدة عن الأغاني : 59–60 .

2 أم الهنيبر : الضبع في لغة فزارة . وقال ابن دريد أم الهنيبر : أتان . وقيل أم الهنيبر في البيت امرأة من بني كلاب .

3 مؤذَن في الديوان : مؤدن (بالدال) ، وهو القصير العنق الضيق المنكبين .

4 الديوان : كنيتهم بدل كنتهم . وفانصر بني آل مسعود .

5 أوتاري في الديوان : أوباري .

6 مقّعها : شربها أشدّ الشرب .

أنا ابنُ أسماءَ أعمامي لها وأبي ... إذا ترامى بنو الإموانِ بالعارِ[1]

قد جرَّب النّاسُ عُودي يَقرعُون به ... وأقْصَرُوا عن صليبٍ غير خوَّارِ

ما أرْضع الدَّهرَ إلاّ ثدْيَ واضِحةٍ ... لواضح الوَجْه يحْمي حَوْزة الجارِ[2]

يَسْتلِب القِرْنَ مُهريهِ وصعْدَتَهُ ... حقّاً وينزعُ عنْهُ ذات أزْرارِ[3]

من آلِ سُفيانَ أو ورْقاءَ يمنَعُها ... تحتَ العَجاجَةِ طَعْنٌ غيرُ عُوَّارِ[4]

يَمنعُها كلُّ مَذْرورٍ ، بصَعْدَتِه ... نضْحُ الدِّبَاء ، على عُرْيانَ مِغْوارِ[5]

تَسمعُ فيهمْ إذا استَسْمَعْتَ واعِيَةً ... عَزْفَ القِيانِ وقولا يال عَرْعارِ

طِوالُ أنضِيةِ الأعناقِ لم يجِدُوا ... رِيحَ الإماءِ إذا راحَتْ بأزفارِ[6]

والقومُ أعلم أنَّا من خيارهُم ... إذا تقلَّدت عَضباً غيرَ مِيشارِ[7]

فزّا بَسَيْري وبردُ اللَّيلِ يضربني ... عُرض الفَلاة بثُنيانٍ وأكوارِ[8]

أمَّا الرَّواسمُ أطلاحا فتعرفُني ... إذا اعتصبتُ على رأسي بأطمارِ

ولم أنازعْ بني السَّوداء فيئَهمُ ... والعِظلِميّاتِ من يَعْرٍ وأمْهارِ

فكلُّ سوداء لم تُحلَق عَقِيقتُها ... كأنَّ أصداغَها يُطلَينَ بالقارِ

لقد شَرتني بنو بَكرٍ فما رَبحتْ ... ولا رأيتُ عليها جَزأة الشّاري

إنّ العُرُوقَ إذا استَنزعتها نزَعَتْ ... والعِرْقُ يسْري إذا ما عَرَّسَ السَّاري

أخبرني حبيب بن نصْر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عُمر بن شبَّة قال : أنشدني الأصمعيُّ للقتَّال رائيّةً يقولُ فيها :

إنّ العُروقَ إذا استنزعتَها نزعَتْ ... والعرقُ يسْري إذا ما عرَّس السّاري

---

1 الإموان : جمه أمة .

2 الديوان : لا أرضع . . . لواضح الخد .

3 لم يرد هذا البيت في القصيدتين وورد في ما نقل عن الأغاني : 59 .

4 العوّار : الضعيف .

5 هذا البيت والذي بعده ما نقل عن الأغاني فقط . وفيه مدروء بدل مذرور .

6 أنضية : جمع نضو ، وهو عظم العنق . وأزفار : أحمال ، واحد زفر . ويضرب مثلاً للرجل فيقال : إنّه لزفر أي حمال أثقال .

7 الديوان : قد يعلم القوم أنّي من خيارهم . . . وغير مشبار .

8 الأبيات الخمسة التالية مما لم يرد في الديوان في ما نقل عن الأغاني .

قد جرَّب النّاسُ عُودِي يَقرعُون بِهِ ... فأقصرُوا عــن صَليبٍ غيرِ خوّارِ

فقال : لقد أحسنَ وأجاد ، لولا أنّه أفسدَها بقوله إنّه طلَب جُعْلاً فلم يُعْطَه ، وكان في دناءة نفسه يُشبه الحطيئة ، وكان فارساً شاعراً شجاعاً .

[هجاء قومه مرة أخرى]

وقال السكريّ في روايته : زوَّج القتَّالُ ابنته أُمّ قيس ، واسمها قطاة ، رذاذَ بن الأخرم بن مالك بن مُطرف بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر ، فمكثتْ عنده زماناً ، وولدت له أولاداً . ثم أغارها[1] فشكت إلى أبيها ، فاستَعدى عليه ورماه بخادمها ، وجاء رَذاذُ بالبينة على قذْفه إيّاه بالأمةِ فأُقيم ليُضربَ ، فلم تنتصِرْ له عشيرتُه ، وقامَت عشيرةُ رذاذٍ فاستوهبوا حدَّه من صاحبهم ، فوَهبهُ لهم . وكانت عشيرة القتّال تُبغضهُ لكثرة جناياته ، وما يَلحقها من أذاهُ ، ولا تمنعهُ من مكروهٍ ، فقال يَهجو قومَهُ[2] : [من الطويل]

إذا مــا لَقِيتــم راكبــاً مُتعمِّماً ... فقولوا لــه : ما الرّاكبُ المتعمِّمُ

فإن يَكُ من كَعْبِ بن عَبْدٍ فإنّه ... لئيمُ المُحَيَّا حالِكُ اللَّــونِ أدهَمُ

دعوتُ أبــا كَعْــبٍ رَبيعةَ دَعْوةً ... وفَوقي غَواشي المَوْتِ تُنْحى وتنْجُمُ[3]

ولَــم أَكُ أدرِي أنَّــهُ ثُكلُ أُمِّهِ ... إذا قيلَ للأَحْرارِ في الكُرْبَةِ اقدُمُوا

فلو كنتَ مــن قــومٍ كرامٍ أعِزَّةٍ ... لحاميتَ عنّي حِــينَ أَحمى وأُضْرَمُ

دعوتُ فكَمْ أسْمَعتُ من كلِّ مُؤْذِنٍ ... قَبيحِ المُحَيَّا شانَهُ الوجهُ والفَمُ[4]

سِوى أنَّ آلَ الحارثِ الخيرِ ذبَّبُوا ... بأعيــطَ لا وغْــلٌ ولا مُتَهَضَّمُ

أَلا إنَّهم قوْمي وقــومُ ابن مالِكٍ ... بنــو أُمِّ ذِئب وابنُ كبشةَ خيثَمُ

ولكنَّما قَومــي قُماشةُ حاطــبٍ ... يُجمِّعُها بالكفِّ ، واللَّيْلُ مُظْلِمُ[5]

[وجد عند امرأته رجلاً فطلّقها]

قال أبو زيد : وحدَّثني شدَّادُ بن عُتْبَةَ قال : كانَتْ عند القتّال بنتُ ورقاءَ بن الهيثم بن الهصَّان ، وكان جاراً لبني الحصين بن الحُوَيرِث بن كعب بن عبد بن أبي بكر ، وكانت لها

1 أغارها : تزوّج عليها فأثار غيرتها .
2 ديوان القتال : 85 .
3 الغواشي : حالات الإغماء .
4 مؤذن في الديوان : مؤدن (بالدال) .
5 قماشة : فتات الأشياء يطلق على أراذل الناس .

ضَرّةٌ عنده يقال لها أُمُّ رِياح بنتُ ميسرة بن نفير بن الهصَّان ، وهي أُمُّ جنوب بنت القتّال . فخرج القتّال في سَفَرٍ له ، فلمّا آب منه أقبل حين أناخ إلى أهله ، فوجد عند بنت ورقاءَ جريرَ بن الحُصَين . فلمّا رأى جريرٌ القتّال نهض ، فسأل القتّالُ عنه ، فقالت له امرأتُه أُمّ رياح ، وهي صفيّة ويقال صُفَيفة بنت الحارث بن الهصّان : إنّ هذا البيتَ لبيتٌ لا نزال نسمع فيه ما لا يُعجبنا فطَلّق القتّالُ بنتَ ورقاءَ ، وهي حامِلٌ ، فولَدَت له بعد طلاقها المسيَّبَ ابنه .

وقال السكَّريُّ في خبَرِه : فقال القَتَّال في ذلك[1] : [من الوافر]

ولَمَّا أَنْ رأَيْتُ بنـي حُصَيْنٍ ... بِهِم جنَفٌ إلى الجاراتِ بادِ
خلَعْتُ عِذارهـا ولَهيتُ عنها ... كما خُلِـعَ العِذارُ مـن الجوادِ
وقلت لها : عليكِ بني حُصَيْنٍ ... فما بيني وبينـكِ مـن عوادِ
أُنادِيهـا بأسفـلِ وارِداتٍ ... نَكِدتَ أَبا المُسَيَّب مَن تُنادِي[2]

وفي رواية السكريّ :

أُنادِيهمـا ومـا يـومٌ كيومٍ ... قضى فيـه امرؤٌ وَطَر الفُؤادِ
فرُحْتُ كأنَّنـي سيفٌ صَقيلٌ ... وعزَّت جـارةُ ابنِ أَبي قُرادِ

[يرفض قبول عقل ضربة أنفه]

قال : ثم إنَّ كلابَ بن ورقاءَ بن حُذيفة بن عَمّار بن ربيعة بن كعب بن عبْد بن أُبي بكر ، نحر جزوراً وصنَع طعاماً وجَمع القومَ عليه وقال : كلوا أيّها الفتيانُ ، فإنَّ الطّعام فيكم خيرٌ منهُ في الشُّيوخ . فقال القتّال : أنا والله خيرٌ للفتيان منك ، أرى المرأة قد أعجبتْ أحدَهُم فأُطلّقُها له . وفي القوم جريرُ بنُ الحُصَين الذي كان وَجَدهُ عند امرأتِهِ ، فرفع جريرٌ السَّوط فضرب به أنف القتّال .

ثم إنّهم أعطوا القتّال حقَّه فلم يقبله حتى أدرك ابناه : المُسَيَّبُ وعبدُ السلام .

وقال السُّكَّريُّ : حتى احتلم ولدُه الأربعةُ ، وهم : حبيب ، وعبد الرحمن ، وعبد الحيِّ وعُمَيْر ، وأُمُّهُم : ريّا بنتُ نَفَر بن عامر بن كعب بن أبي بكر . فحَمَلَهم على الخيل حين أظْلم اللّيلُ ، ثم أتى بهم بني حُصين فلقي لِقاحاً لهم ثمانين ، فأشْمَرها[3] وبات يسوقُها ، لا تتخلَّفُ

---

1 ديوان القتال : 47 .

2 رواية الديوان تطابق رواية السكري .

3 أشمرها : أطلقها وأرسلها .

ناقةٌ إلاّ عقرها حتى حبسها على الحَصى ، حين طلعت الشَّمسُ ، والحَصى ماءٌ لعبدِ الله بن أبي بكر . فحبسها وزَجرهُم عنها ، حتى جاءَ بنو حُصين فعقلوا له من ضربته أربعين بكرةً وأهدِرت الضَّرْبَةُ ، وإنّما أخذ الأربعين بَكْرةً مُكرهاً ، لأنّ قومَه أُجبروه على ذلك .

قال شدّادُ : وفي ابنه عبد السّلام ، يقولُ : [من البسيط]

عبدَ السّلام تأمَّل هل تـرى ظُعُناً ... إنّي كبِرتُ وأنت اليوم ذو بَصرِ
لا يُبعِـد اللهُ فتياناً أقُـولُ لهـم ... بالأبرقِ الفـردِ لمّا فاتني نظري
يا هَـلْ تَرَوْن بأعـلى عاصمٍ ظُعناً ... نكَّبْنَ فحْليْنِ واستقْبلْـن ذا بقرِ
صلَّى على عمـرةَ الرحمنُ وابنتِها ... ليلى وصَلَّى عَلى جاراتها الأُخَرِ[1]
هُـنَّ الحرائِـرُ لا ربَّـاتُ أحمرةٍ ... سودُ المحاجـرِ لا يقـرأنَ بالسُّورِ

قال أبو زيد : وحدّثـني شدّاد بن عُقبة قـال : أتـى الأخـرم بـن مالـك بـن مُطرف بن كعب بن عوف بن عَبد بن أبي بكر ومُحْصن بن الحارث بن الهصّان في نفر من بني أبي بكر القتّال وهو مَحبوسٌ ، فشرطوا عليه ألاّ يذكر عاليةَ في شعره ، وهي التي ينسُبُ بها في أشعاره ، فضمِنَ ذلك لهم ، فأخرجُوه من السِّجْن عِشاءً . ثم راح القوْم من السِّجن ، وراحَ القتّال معهم ، حتى إذا كان في بعض الليل انحدر يسوقُ بهم ويقول[2] : [من الرجز]

قلتُ لـه يـا أخرمُ بنَ مالِ
إن كنت لم تُزْرِ على وصالي[3]
ولم تجِدْني فاحِشَ الخلالِ
فارفعْ لنا مـن قُلُصٍ عِجالِ
مُستوسِقاتٍ كالقطـا عِيالِ
لعلّنـا نطـرُقُ أمَّ عـالِ
تخيَّري خُيِّرتِ في الرِّجالِ
بـين قصيرٍ باعُـهُ تِنبالِ[4]

---

1 لم يرد هذان البيتان فيما تقدّم ، وهما في شعر الراعي النميري (ديوانه (فايبرت) 122) وفيه عزّة بدل عمرة .
2 ديوان القتال : 83 .
3 وصالي في الديوان : الوصال .
4 تنبال : قصير .

وأُمُّــهُ راعيــةُ الجمــالِ

تَبيتُ بين القِدْرِ والجِعالِ[1]

أَذاكَ أم مُنْخرِق السِّرْبالِ[2]

كريــمُ عــمٍّ وكريــمُ خالِ

مُتلِــفُ مــالٍ ومُفيدُ مالِ[3]

ولا تــزالُ آخــرَ الليالي

قَلُوصُــهُ تعثــرُ في النِّقالِ[4]

النِّقال : المناقلةُ .

قال شَدّادٌ : فنزل القومُ فربَطوه ، ثم آلَوْا ألاّ يَحُلُّوه حتى يُوثِّق لهم بيمين ألاّ يذكرها أبداً ، ففعل وحلّوه .

قال : وهي امرأةٌ من بني نصر بن معاوية ، وكانت زوجة رجلٍ من أُشراف الحيِّ .

[قتل أَمَة عمِّه لئلاّ تحمل منه]

قال : وحدّثني أبو خالدٍ ، قال : كانت لعم القتّالِ سُرِّيّة ، فقال له القتّال : لا تطأْها ، فإنّا قومٌ نُبْغِض أن تَلِدَ فينا الإماءُ ، فعصاه عمُّه . فضربها القتّالُ بسيفِه فقتلها ، فادّعى عمُّه أنّه قَتلها وفي بطنها جنينٌ منه ، فمشى القتّالُ إليها فأخرجَها من قَبْرِها ، وذهبَ معهُ بقومٍ عُدولٍ ، وشَقَّ بطنَها وأخرج رَحمها حتى رأَوْه لا حمْلَ فيه ، فكذَّبوا عمَّه . فقال ، في ذلك[5] : [من الرجز]

أَنا الذي انتَشلْتُها انتِشالاً ثمَّ دعوتُ غِلمــةً أَزْوالا

فصَدَعُوا وكذَّبوا ما قالا

وقال وأَنشدني له أيضاً[6] : [من الرجز]

أَنا الذي ضَرَبتُها بالمُنْصُلِ عِند القُرَيْنِ السائل المفضَّلِ[7]

ضَرْباً بكفِّيْ بَطَلٍ لم يَنْكُلِ

---

1 ل : تبيت بين القت والحبال . والحبال في الديوان : والجعال .

2 الديوان : مخرّق .

3 مفيد مال : مستفيده .

4 النقال : الأرض ذات الحجارة .

5 ديوان القتال : 84 .

6 ديوان القتال : 84 .

7 القرين : تصغير قرن ، وهو حد ربوة تشرف على وهدة صغيرة .

[بنت المحلق تتزوّج غيره]

وقال السكريُّ في روايتِه : أراد القتّال أن يتزوَّج بنتَ المحلّق بن حنْتم ، فتزوَّجها عبدُ الرحمن بنُ صاغرٍ البكائيُّ . فلقي مولاةً لها يقال لها جَون ، فقالَ لها : ما فعلتْ ؟ قالت : تزوَّجها عبدُ الرحمن بن صاغر ؛ فقال : ما لَها ولعبدِ الرحمن ؟ فقالت له : ذاك ابنُ فارس عرّاد . قال : فأنا ابنُ فارس ذي الرَّحل ، وأنا ابنُ فارسِ العَوْجاء ثمَّ انصرف وأنشأ يقولُ[1] : [من البسيط]

يا بنتَ جَونٍ أبانَتْ بنتُ شدَّادِ نَعم لعمري لِغوْرٍ بعدَ إنجادِ
لَمطْلع الشَّمْسِ ما هذا بمُنْحَدَرٍ نحو الرَّبيع ولا هذا بإصعادِ
قالت فوارسُ عَرّادٍ ، فقلتُ لها : وفيم أُمِّيَ من فُرسانِ عَرّادِ[2]
فُرسانُ ذي الرَّحْل والعوجاء وابنَتِها فِدًى لهم رهطُ رَدَّادٍ وشدّادِ

[حض لقومه ولوم]

والقصيدةُ التي في أوَّلها الغِناء المذكورُ ، يقولُها القَتّالُ يحضُّ أخاه وعشيرتَه على تخلُّصِه من المطالبة التي يُطالبُ بها في قَتْلِ زِيادِ بن عُبيد الله ، واحتمال العقْل عنه ، ويلُومهم في قُعودِهم عن المطالبةِ بثأرٍ لهم قِبَل بني جعفر بن كلاب .

وكان السبب في ذلك فيما ذكره عمرُ بن شَبَّة ، عن حُمَيد بن مالك عن أبي خالد الكلابيِّ ، قال : كان عمرو بن سَلَمة بن سكن بن قُرَيظ بن عبْد بن أبي بكر أسلم فَحسُن إسلامُه ، ووفد إلى النبيِّ ﷺ ، فاستقطعه حِمًى بين الشقراء والسَّعدِيَّة . والسعديّة : ماءٌ لعمرو بن سَلمة ، والشقراءُ : ماءٌ لبني قتادة بنِ سكن بن قُريظ ، وهي رَحْبَة طولُها تسعة أميالٍ في ستّة أميال ، فأقطعه إيَّاها ؛ فأحماها ابنه جَحَوَّش . فاسترعاه نفرٌ من بني جعفر بن كلاب خيلهم وفيهم أحدرُ بنِ بشر بن عامر بن مالك بن جعفر ، فأرْعاهم . فحملوا نَعَمَهم مع خيْلهم بغير إذنِه ، فأُخبر بذلك فغَضِبَ وأراد إخراجَهم منه ، فقاتَلوه . فكانت بينهم شِجاجٌ بالعِصيِّ والحجارةِ ، من غير رمي ولا طِعان ولا تَسايُفٍ . فظهَر عليهم جَحَوَّش ، ثم تداعَوْا إلى الصلح ومشَت السُّفراءُ بينهم على أن يدعُوا جميعاً الجراحاتِ . فتواعَدُوا للصُّلح بالغَداة ، وأخٌ لجحوَّشٍ يقال له سعيد في حلْقِه سِلعَة ، وهو شَنِجٌ مُتنحٍّ عن الحيِّ عند امرأةٍ من بني أبي بكر تَرقِيه . فرجع إلى أخيه ومعه رَجُلان من قومه ، يقال

1 ديوانه : 46 .
2 عراد : اسم فرس .

لأحدهما : مُحْرز بن يزيد ، وللآخر : الأخدر بن الحارث . فلقيَهم قُراد بن الأخدر بن بشر بن عامر بن مالك ، وابنُ عمِّه أبو ذرّ بن أشهل ، ورجلٌ آخر من الجعفريِّين . فحمل قُرادٌ على سَعيدٍ فطعنَهُ فقتله ، فحذف مُحرز بن يزيد فرَس قُراد فعقَرها ، فأردفه أبو ذرٍّ خلفَهُ ، ولحقُوا بأصحابهم الجعْفريِّين . وأوقد جَحَوَّش بن عمرو نارَ الحرْب في رأس جرعاءَ طويلةٍ ، فاجتمعت إليه بنو أبي بكر ، وخرج قُرادٌ هارباً إلى بشر بن مَروان ، وهو ابنُ عمِّه ، حتّى إذا كان بالقنان ، حميت عليه الشمْسُ ، فأناخ إلى بيتِ امرأةٍ من بني أسدٍ ، فقال[1] في بيتها . فبينا هو نائمٌ إذْ نبَّهَتْه الأسديّة فقالتْ له : ما دهاكَ وَيْحكَ ؟ انظُر إلى الطّير تحُوم حولَ ناقتكَ . فخرَج يَمشي إلى ناقتِه ، فإذا هي قد خَدَجت ، والطيرُ تُمزِّقُ ولدَها . فجاء فأخبرها ، فقال : إنَّ لكَ لخبراً فاصدِقني عنه ، فلعلّه أن يكون لكَ فيه فائدةٌ . فأخبرها أنّه مطلوبٌ بدَمٍ ، فهو هاربٌ طرِيدٌ . قالت : فهل وراءك أحدٌ تشفق عليه ؟ فقال : أخٌ لي يقال له جبأة وهو أحبُّ النّاسِ إليَّ . قالت : فإنّه في أيدي أعدائِكَ ، فارْجع أو امضِ ، فخرج لوجههِ إلى بشرٍ .

قال : ولّما حرّض القتّالُ قومَه على الطَّلبِ بثأرهم في الجعفريِّين وعيّرهم بالقُعودِ عنهم مضى جميعُهم لقِتال بني جعْفر ، فقال لهم الجَعفريُّون : يا قومنا ، ما لنا في قتالكم حاجةٌ ، وقاتِلُ صاحبكم قد هرب وهذا أخوه جبأة ، فاقتلوه . فرضُوا بذلك فأخذُوا جبأة ، فلمّا صاروا بأسود العينِ قدّمه جَحَوَّشٌ فضرب عنقه بأخيه سعيدٍ وممّا قاله القتّال في تحريضهم في قصيدةٍ طويلةٍ[2] : [من الطويل]

فيا لأبي بكر ويا لجَحَوَّشٍ ... ولله مَوْلى دَعوةٍ لا يُجابُها
أفي كلِّ عامٍ لا تزالُ كتيبةٌ ... ذُؤيْبِيَّةٌ تهفُو عليكم عُقابُها
لهم جَزَرٌ منكم عَبِيطٌ كأنَّه ... وقاعُ الملوك فتكُها واغتصابُها[3]
وأنتمْ عديدٌ في حديدٍ وشِكَّةٍ ... وغابِ رماحٍ يوجِف القلبَ غابُها[4]
يُسقَّى ابن بشر ثم يمْسح بطنَه ... وحوْلي رجالٌ ما يسوغُ شرابُها
فما الشرّ كلّ الشرّ لا خير بعْده ... على النّاس إلاّ أن تذلَّ رقابُها

1 قال : قضى وقت القيلولة .
2 ديوان القتال : 33 مع اختلاف في الترتيب .
3 الجزر : ما يباح للذبح . وصاروا لهم جزراً : قتلوهم . الوقاع : الموافقة في الحرب .
4 يوجف القلب غابُها في الديوان : يكسف الشمس غابها .

نساء ابـن بِشرٍ بُـدَّنٌ ونساؤنا بَلايـا عليهـا كلَّ يـومٍ سِلابُها[1]

تنام فتقضي نوْمـة الليـل عِرسُه وأُمُّ سعيـدٍ مـا تنـامُ كلابُها[2]

فإن نحـن لم نغضب لهم فنُثِيبُهم وكلّ يـدٍ مُـوفٍ إلينـا ثوابُها

فنحنُ بنـو اللائـي زعمتُم وأَنتم بنـُو مُحصنـاتٍ لم تدنَّسْ ثِيابُها

صوت[3]

[من مجزوء الوافر]

أَلا للهِ دَرُّك مِـنْ فتـى قَـوْمٍ إذا رَهِبُوا

وقالوا : بمَنْ فَتًى للحَرْ بِ يَرقُبنـا ويَرْتقِبُ[4]

فكنتَ فتاهـمُ فيهـا إذا يُدعـى لها يثِبُ[5]

ذكرتُ أَخـي فعاودَني صُداعُ الرَّأْس والوَصبُ[6]

كما يعتـادُ ذاتُ البَـوِّ بعـد سُلوِّهـا الطَّربُ[7]

فدمْعُ العيْن مـن بُرحا ءِ ما في الصَّدرِ يَنْسَكِبُ

كما أُودى بمـاء الشَّنَّةِ المخْـروزَة السَّرَبُ[8]

على عَبْدِ بـن زُهرة طُو لَ هـذا اللّيـلِ أَكتئبُ

الشعر لأَبي العِيال الهُذليّ والغِناء لمعبد ثقيل أَوَّلُ بالخِنْصر في مجرى الوُسْطى عن إسحاقَ وابن المكِّي وغيرهما ممّا لا يشكّ فيه من صنعته . وفي الثالث والرابع من الأبيات لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ ، ومن النّاس مَنْ ينسبُه إلى معبد أيضاً . وفي الأوّل والثّاني والثّالث لمعْبد أيضاً خَفيف رمل بالوسطى ، عن عمْرو بن بانة ، وذكر الهشاميُّ وحمّاد بن إسحاق أنّه لابن عائشة ، وفيه لمالك هزج بالبنصر فيما ذكر حبش .

1 بدّن : ضخام من السمنة . وبلايا : جمع بلية ، وهي النائحة . والسلاب : ثياب الحزن .

2 الأبيات الثلاثة الأخيرة لم ترِد في متن القصيدة في الديوان وأُلحقت في الزيادات .

3 شرح أشعار الهذليين (أشعار) : 424–426 مع اختلاف في الترتيب .

4 للحرب في أشعار : للثغر .

5 الشطر الثاني في أشعار : إذا تدعى لها تثب .

6 أشعار : رداع السقم والوصب . والرداع : النُّكس أو معاودة المرض . والوصب : التعب من المرض .

7 ذات البَوّ : الناقة التي مات ولدها فحُشي جلده لترأمه . والطرب : خفة وضيق في النفس .

8 الشنة : القربة الخلق الصغيرة . والسرب : ما سال من الماء .

[536] ـ أخبار أبي العيال ونسبه[1]

أبو العيال بنُ أبي عَنترة ، وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ : ابنُ أبي عنبرَ بالباء[2] ، ولم أجِدْ له نَسَباً يتجاوز هذا في شيء من الرِّوايات . وهو أحدُ بني خُناعةَ بن سعد بنِ هُذَيْل ، وهذا أكثر ما وجدته مِنْ نَسبه . شاعرٌ فصيحٌ مُقدَّم ، من شُعراء هُذَيْل ، مُخضرَم ، أدرك الجاهليّة والإسلام ، ثم أسلم فيمنْ أسلم من هذيل ، وعُمِّرَ إلى خِلافةِ معاوية .

وهذه القصيدة يرثي بها ابنَ عمِّه عبدَ بنَ زهْرة ، ويقال : إنّه كان أخاه لأُمِّه أيضاً .

[يصف معركة فبكا معاوية]

أخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديّ فيما قرأتُه عليه من شِعر هُذَيْل ، عن الرِّياشيّ ، عن الأصمعيّ . ونَسَختُ أيضاً خبره الذي أذكره من نُسْخَةِ أبي عمرو الشَّيبانيّ قالا : كان عبدُ بنُ زُهْرَةَ غزا الرّومَ في أيّامِ معاوية .

وقال أبو عمرو خاصّةً : مع يزيد بن مُعاوية في غَزاتِه التي أغزاه أبوه إيّاها ، فأُصيبَ في تلْك الغَزاةِ جماعةٌ من المسلمين من رؤسائِهم وحُماتهم ، وكان شوكةُ الرُّوم شديدةً ، قُتِل فيها عبدُ العزيز بنُ زُرارةَ الكلابيُّ ، وعبدُ بنُ زُهْرة الهذليُّ وخَلْقٌ من المسلمين ، ثم فتح الله عليهم . وكان أبو العيال حاضراً تلك الغَزاة فكتب إلى مُعاوية قصيدة قَرأها وقُرئت على النّاس ، فبكى النّاسُ وبكى معاويةُ بكاءً شديداً جَزَعاً لما كَتَب به .

والقصيدة[3] : [من الكامل]

مِنَ ابي العِيال أَخي هُذَيْلٍ فاعْلَموا ... قولي ولا تتجمجَمُوا ما أُرسِلُ[4]

أبلِغ مُعاويةَ بنَ صَخْرٍ آيةً ... يَهوي إليه بها البَريدُ الأَعجلُ

والمرءَ عَمراً فأْتهِ بصحيفةٍ ... مِنّي يَلُوح بها كتابٌ مُنْمَلُ

لا تتجمْجَمُوا : لا تكْتموا . والمُنْمَل : كأنَّ سُطُورَه آثارُ نَمل .

1 ترجمة أبي العيال الهذلي في الشعر والشعراء : 560 والإصابة 7 : 143 وشرح أشعار الهذليين 2 : 405 .

2 شرح أشعار الهذليين : ابن أبي غثير ، وقال الأصمعيّ : ابن أبي عثير .

3 أشعار : 433–435 مع اختلاف في الترتيب .

4 فاعلموا في أشعار : فاسمعوا .

وإلى ابنِ سَعْدٍ إنْ أُؤخِّرْه فقَد ... أزرَى بنا في قَسْمه إذْ يَعْدِلُ[1]
وإلى أُولي الأَحْلام حيثُ لقيتَهُم ... أهـلِ البَقِيَّةِ والكتابُ المُنْزَلُ[2]

في ديوان الرَّجل : حَيثُ البَقيّة والكتاب المُنزل .

أنَّا لقِينــا بعـدكم بدِيارنـا ... من جانب الأمراجَ يوماً يُسأَلُ[3]
أمراً تَضيقُ به الصُّدُورُ ودُونَه ... مُهَجُ النُّفوسِ وليس عنه مَعْدِلُ
في كلِّ مُعترَكٍ تَرى مِنّـا فتًى ... يَهْـوي كعزلاءِ المَزادةِ تُزغِلُ[4]

تزغِل : تَدفع دَفْعاً .

أو سَيِّداً كَهْـلاً يَمُور دِماغُه ... أو جانِحاً في رأْس رُمْح يَسْعُلُ[5]

يَسْعل : يَشْرَقُ بالدَّمِ .

وتَرى النِّبالَ تَعِيرُ في أَقْطارِنـا ... شُمْساً كأنَّ نِصالَهُـنَّ السُّنْبُلُ
وتَرى الرِّماح كأنّما هي بَيْننا ... أَشْطانُ بئْر يُوغِلُـون ونُوغِلُ
حتى إذا رَجَبٌ تولَّى فانْقَضى ... وجُمادَيان وجَاءَ شهْرٌ مُقْبلُ[6]
شعْبان قَدَّرْنـا لوَقْتِ رَحيلِهم ... تِسعاً يُعَدّ لهـا الوفاءُ وتكمُلُ
وتَجرَّدت حرْبٌ يكونُ حِلابُها ... عَلَقاً ويَمرِيها الغَوِيُّ المُبطِلُ[7]
فاستقْبَلُوا طرفَ الصَّعيدِ إقامةً ... طوْراً وطوراً رِحْلَـةً فتحمَّلُوا[8]

[خصامه مع بدر بن عامر]

قال الأصمعيُّ وأبو عَمرو : وكان أبو العيال وبدرُ بنُ عامر ، وهما جميعاً من بني خُناعة بنِ سعْدِ بنِ هُذَيل يسكُنانِ مِصْرَ ، وكانا خرَجا إليها في خلافةِ عمرَ بنِ الخطّابِ رضوانُ الله عليه ، وأبو العِيالِ معه ابنُ أخ له . فبينا ابن أخي أبي العيال قائِم عند قوم

1 يعدل : يحيد عن الحق .
2 البقية : المرجع الحسن في المروءة والدِّين .
3 يسأل : يسأل عنه لشدّته .
4 عزلاء المزادة : فمها . وتزغل : تدفع بالدم .
5 يمور : يذهب ويجيء . جانح : داني الصدر .
6 تولّى في أشعار : تجلى .
7 العلق : الدم . يمريها : يدرها حتى تحلب .
8 الصعيد : التراب . تعير تذهب كذا وكذا . وفي شرح أشعار الهذليين : فتنقلوا .

ينتَضِلونَ إذْ أصابَه سهْم فقتله ، فكان فيه بعضُ الهَيج ، فخاصَم في ذلك أبو العيال ، واتَّهَم بَدْرَ بن عامر ، وخشي أن يكون ضِلَعُه مع خُصَمائِه ، فاجْتَمعا في ذلك في مجلِسٍ فتناثَّا فقال بدرُ بنُ عامر[1] : [من الكامل]

بَخِلت فُطَيْمـةُ بـالذي تُولِيني إلاّ الكـلامَ وقـلّ مـا يُجدِيني

ولقدْ تَناهى القلبُ حـين نهيتُـه عنهـا وقـد يَغـوي إذا يَعصِيني

أفُطَيْمُ هـل تدْريـن كم من مَتلفٍ جـاوزتُ لا مرعًى ولا مسكونِ

يقول فيها :

وأَبُو العِيـال أخِي ومَنْ يَعْرِضْ له منكم بسُوءٍ يـؤْذِني ويَسُوني

إنّي وجـدتُ أبا العِيالِ ورهْطَه كالحِصْنِ شُدَّ بجَنْـدَلٍ مَوْضُونِ[2]

أعْيـا الغَرانيقَ الدّواهـيَ دونه فتركْتَـهُ وأَبَـرّ بـالتّحْصِينِ[3]

أسدٌ تفِـرُّ الأُسْدُ مِـن وثباتِه بعـوارض الرُّجّـاز أو بعُيـونِ[4]

ولِصَوْتِـه زَجَـلٌ إذا آنستَـه جَـرَّ الرّحـى بشَعيرِه المطْحونِ[5]

وإذا عدَدْتَ ذوي الثّقات وجدتَه مِمَّـنْ يَصُـولُ بـه إليَّ يمِيني

فأجابه أبو العيال فقال : [من الكامل]

إنّ البَـلاء لـدي المَقاوس مُعرِض مـا كان من غَيْبٍ ورجْم ظُنُونِ

في الديوان : لدى المقاوس مخرجٌ : والمِقْوَس الحبْلُ الذي يُمَدُّ به على صُدُور الخيْل أي فَما كان عِنْدَه من خيْرٍ أو شرٍّ فسيَخْرُجُ عند الرِّهان والعدْوِ .

وإذا الجوادُ وَنى وأَخلف مِنْسَراً ضُمُـراً فـلا تُوقنْ لـه بيقين[6]

لـو كان عِنْدَك مـا تقُولُ جعلتَني كنزاً لريْبِ الدَّهْـرِ غيرَ ضَنين[7]

---

1 أشعار : 407-423 .

2 أشعار : كالحصن شيد بآجر موضون . وموضون : مرصوص .

3 أبرّ : غلب . أي هذا الحصن أعيا المجانيق .

4 من وثباته في أشعار : من عروائه ، وهي القشعريرة من الحمى . الرجاز وعيون موضعان .

5 آنسته : رأيته . وفي أشعار الهذليين : بجرينها المطحون ، والجرين : ما طحنته .

6 ونى : ضعف . وأخلق منسراً : أي جماعة الخيل .

7 غير ضنين في أشعار : غير ظنين .

ولقد رمَقْتُك في المَجالس كلِّهـا ... فإذا وأَنـت تُعِينُ مَـنْ يَبغِيني[1]
هَلاَّ درأْت الخَصْم حين رأَيتَهـم ... جَنَفـاً عـليَّ بـأَلسُنٍ وعُيونِ
وزجرتَ عَنِّـي كلّ أَشوَس كاشِح ... تَرِع المقالـةِ شامِـخ العِرْنين[2]

فأَجابه بدْرُ بنُ عامر فقال : [من الكامل]

أُقسمتُ لا أنسى مَنيحَـةَ واحـدٍ ... حتـى تَخَيَّـط بالبَياض قُروني[3]
حتى أَصير بمسْكنٍ أَثـوي بـهِ ... لِقرارِ مُلْحَدَةِ العَـداء شَطُونِ[4]
ومَنَحْتَني جَـدّاء حـين منحتني ... شَحَصاً بمالِئَـة الحِـلاب لَبُونِ[5]

الشَّحَصُ : ما لَيْس فيه لبنٌ من المالِ .

وحبَوتُك النُّصْح الذي لا يُشْتَرى ... بالمـالِ فانْظُـر بعْدُ مـا تَحبُوني
وتأَمَّلِ السِّبْتَ الذي أَحذُوكـه ... فانْظر بمثـل إمامِـه فاحذُوني[6]

فأَجابه أَبو العيال : [من الكامل]

أُقسمتُ لا أَنسى شبابَ قَصيدةٍ ... أَبـداً فما هـذا الذي يُنسيني[7]
وَلَسوف تَنْساهـا وتعلـم أَنّهـا ... تَبـعٌ لآبيـةِ العِصابِ زَبُونِ[8]
ومَنَحْتَني فَرضِيتَ رأيَ مَنيحَتي ... فـإذا بِهـا واللهِ طيـفُ جُنُونِ[9]
جهـراءُ لا تألو إذا هـي أُظْهرَت ... بَصَـراً ولا مـن حاجـةٍ تُغْنِيني[10]
قَرِّب حِذاءَك قاحـلاً أَو لَيِّنـا ... فتمـنَّ في التَّخْصِيرِ والتَّلْسين[11]

---

1 رمقتك : رميتك ببصري خفية . والواو في «وأنت» مقحمة كقولهم : ربّنا ولك الحمد .

2 أشعار : كل أبلخ ، والأبلخ : الأهوج الفخور . وكاشح : مبغض . وترع : عجل بقول السوء ، أو كثير المقالة جاهل .

3 المنيحة : المعارة . ويقصد هنا القصيدة . وتخيط بالبياض قروني : يبدو الشيب في رأسي .

4 المسكن هنا : القبر . والعداء : الصخر . وشطون : معوج .

5 جداء : لا لبن فيها .

6 السِّبت : النعال المدبوغة .

7 أشعار : لا أنسى مقال .

8 زبون : تدفع برجليها ، أي تتبع أخرى .

9 أشعار : حين منحتني . . . فإذا بها وأبيك .

10 جهراء : لا تبصر في الشمس . وأشعار الهذليين : ولا من عيلة .

11 أشعار : قافلاً بدل قاحلاً . . . والتليين بدل والتلسين .

وارجع منيحتَــك التي أتبعْتهــا   هُوْعــاً وَحَــدَّ مُذلَّـقٍ مسْنُونِ[1]

ولهما في هذا المعنى نقائض طوالٌ يطولُ ذكرُها ، وليست لها طُلاوةٌ إلاّ ما يُستفاد في شعر أمثالهما من الفصاحة ، وإنّما ذكرت ما ذكرتُ هاهنا منها لأنّي لم أجِد لهذا الشاعر خبراً غير ما ذكرتُه .

صوت

[من الوافر]

ألَـم تسأَل بعارمــةَ الدِّيــارا   عـن الحَــيِّ المفارق أين سارا

بـلى ساءلتُهــا فأَبَتْ جوابــاً   وكيف سُؤالك الدِّمَن القفارا

الشعر للرّاعي[2] والغِناء لإسْحاق خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو بن جامع وإسحاق .

1 الهوع : القيء ، أو العداوة . والمذلق والمسنون : المحدد .

2 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : 140-151 .

[537] ـ نسب الراعي وأَخباره وخبر ابنه جندل[1]

[نسبه]

هو عُبيد بنُ حُصين بنِ مُعاوية بن جنْدل بن قَطَن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارِث بن نُمَير بن عامر بن صعْصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصفةَ بن قيْس بن عيْلان بن مُضَر . ويُكنى أبا جَنْدل ، والرّاعي لقب غلب عليه ، لكثرة وصفه الإبل ، وَجوْدة نعْته إيّاها . وهو شاعرٌ فحل من شعراء الإسلام ، وكان مُقدَّماً مُفضَّلاً حتى ، اعترض[2] بين جرير والفرزْدق ، فاستكفَّه جرير فأبى أن يكُفَّ ، فهجاه ففضحه .

وقد ذكرتُ بعضَ أخباره في ذلك مع أخبار جرير ، وأُتْممتها هنا .

[يمدح سعيد بن عبد الرحمن]

وقصيدةُ الرّاعي هذِهِ يمدَح بها سعيدَ بنَ عبد الرّحمن بن عَتّاب بن أُسيد بن أَبي العِيص بن أُميَّة ، وفيها يقُول : [من الوافر]

تُرجِّـي مـن سَعيدِ بني لُؤيٍّ ... أخـي الأَعْيـاص أَنـواءً غِزارا
تلقَّـى نَوْأُهُـنَّ سِرارَ شَهْرٍ ... وخَيرُ النَّوءِ مـا لقي السِّرارا
خَليـلٌ تَعْـزُبُ العِـلاّتُ عنه ... إذا مـا حـانَ يوماً أن يُزارا
متى مـا تأْتِـه ترجُـو نداهُ ... فلا بُخْلاً تَخافُ ولا اعْتِذارا
هو الرَّجلُ الذي نَسبت قُريشٌ ... فَصار المجدُ فيها حيْثُ صارا
وأَنضـاءٍ أُنِخـنَ إلى سَعيدٍ ... طُروقـاً ثـم عَجَّلن ابْتِكارا[3]
على أَكْوارِهِـنَّ بنُـو سَبيلٍ ... قليـلٌ نَوْمُهُـم إلاّ غِرارا[4]

---

1 ترجمة الراعي النميري في الشعر والشعراء : 327–320 وطبقات ابن سلام : 502–521 والمؤتلف : 177–178 وخزانة البغدادي 3 : 150–151 والسمط : 49 وحيث وردت ترجمة جرير ، وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع ديوانه راينهرت فايبرت (بيروت ـ 1980) كما جمعه نوري حمودي القيسي وهلال ناجي وعلى الأولى نعتمد .

2 ل : اعتن .

3 أنضاء : جمع نضو ، وهو البعير المهزول .

4 بنو السبيل : الغرباء .

حَمِدْنَ مَــزاره ولقِين منــه عَطاءً لم يكــنِ عِدَةً ضِمارا

[تفضيله الفرزدق على جرير]

أخبرَني عليّ بن سُليمان الأخْفش قال : حدَّثنا الحسن بن الحسين السكَّريّ عن الرّياشيّ عن الأصمعيّ ، قال : وذكره المغيرة بن حَجْناء قال : حدّثني أبي عن أبيه قال : كان راعي الإبل يقضي للفرزْدق على جرير ويُفضِّله ، وكان راعي الإبل قد ضَخُم أمرُه ، وكان من أشعَرِ النّاس ؛ فلمّا أكثرَ من ذلك خرج جريرٌ إلى رجال من قومه فقال : ألا تَعْجَبون لهذا الرّجل الذي يقضي للفرزدق عليّ ويُفضِّله وهو يهجُو قومه وأنا أمدَحُهم ؟ قال جرير : ثم ضربتُ رأيي فيه ، فخرجتُ ذات يوم أمشي إليه . قال : ولم يرْكَب جريرٌ دابَّته ، وقال : والله ما يسرّني أن يعلم أحدٌ بسيْري إليه . قال : وكان لراعي الإبل وللفرزْدق وجُلسائهما حلقةٌ بأعلى المِربد بالبصْرة يجْلسُون فيها . قال : فخرجتُ أتعرَّض لها لألقاه من حِيال حيثُ كنتُ أراه .

ثم إذا انْصرَف من مجلسه لقيتُه ، وما يسُرّني أن يعلم أحدٌ ، حتى إذا هو قد مرَّ على بَغلة له ، وابنه جنْدل يسير وراءَه راكباً مُهراً له أحْوى محذُوف الذَّنب وإنْسانٌ يمشي معه ويسأله عن بعض السَّبب . فلمّا اسْتقبلتُه قلت له : مرحباً بك يا أبا جنْدل . وضربتُ بشمالي إلى مَعرفة بغلته ، ثم قلتُ : يا أبا جنْدل ، إنَّ قولك يُسْتَمَع ، وإنّك تفَضِّل عليَّ الفرزْدق تفْضيلاً قبيحاً ، وأنا أمدحُ قومَك وهو يهجُوهم ، وهُو ابنُ عمِّي ، وليس منك ، ولا عليْك كُلفَة في أمري معه ، وقد يكْفيك منْ ذلك هيِّنٌ ، وأن تقُولَ إذا ذُكِرْنا : كلاهما شاعرٌ كريم ، فلا تحمل منه لائمة ولا منّي . قال : فبينا أنا وهو كذلك ، وهو واقفٌ عليَّ لا يَردُّ جواباً لقولي ، إذ لحق بالرّاعي ابنُه جنْدل ، فرفع كرمانيّةً معهُ ، فضرب بها عجزُ بَغْلته ، ثم قال : أراكَ واقفاً على كلْب بني كُلَيْب ، كأنّك تخشى منه شرّاً أو ترجو منه خيراً ، فضرب البَغلة ضربةً شديدة ، فزحمتني زحمةً وقعت منها قلنْسوتي . فوالله لو يَعُوج عليَّ الرّاعي لقلتُ : سَفيهٌ غويٌّ ، يعني جندلاً ابنه ، ولكنّه لا والله ما عاج عليَّ ، فأخذتُ قلنْسوتي فمسحْتُها وأعدتُها على رأسي وقلتُ : [من الوافر]

أجندلُ مــا تَقــولُ بَنُو نُمَيْر إذا ما الأيرُ في اسْتِ أبيك غابا

قال : فسمِعتُ الرَّاعي يقول لابنه : أما والله لقد طرحتَ قلنسوتَه طَرْحةً مشؤومة . قال جرير : ولا والله ما كانت القلنْسُوةُ بأغْيظَ أمره إليَّ لو كان عاج عليَّ .

[معاناة جرير في النظم]

فانصرفَ جريرٌ مُغضَباً حتى إذا صلَّى العِشاء ومَنزلُه في عُلِّيَّة قال : ارفعوا إليَّ باطية من نَبيذٍ ، وأسْرِجُوا لي ، فأسرَجُوا له وأتوه بباطيةٍ من نبيذ فجعل يُهينم فسمعَته عجوزٌ في

الدّارِ . فطلعتْ في الدَّرجة حتى إذا نَظرتْ إليه فإذا هو على الفِراش عُريان لَما هُو فيه . فانحدرت فَقالتْ : ضيفُكم مجْنون ، رأيتُ منهُ كذا وكذا ؛ فقالوا لها : اذْهبي لِطِيَّتِك ، نَحْنُ أعلم به وبما يُمارس . فما زالَ كذلِك حتّى كان السَّحَرُ فإذا هو يُكبّر ، قد قالَها ثمانينَ بيتاً ، فلمّا بَلَغَ إلى قوله :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فــلا كَعْبــاً بَلغْتَ ولا كِلابا

فذاكَ حِين كَبَّر ، ثم قال : أخزَيْتُه واللهِ أخزَيْته ورَبّ الكَعْبة ثم أصبح ، حتى إذا عَرَف أنَّ النّاسَ قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبد . وكان جريرَ يعرِف مجلس الرّاعي ومجْلس الفرزدق . فدعا بِدهن فادّهن وأصلح وجهه وكشفَ رأسَهُ ، وكان حَسَن الشّعَر ، ثم قال : يا غلامُ أسرِجْ لي ، فأسرَجَ له حصاناً ، ثمّ قَصَدَ مَجْلِسَهم ، حتّى إذا كان بمَوْضع السّلام ، لم يُسلّم ، ثم قال : يا غُلام ، قُل لعُبَيْد الرّاعي : أبَعَثَتْك نِسْوتُك تُكْسِبُهنّ المال بالعراق ؟ والذي نفسُ جَرير بيده ، لترجِعَن[1] إليهنَّ بما يسوؤهنّ ولا يسرّهنّ . ثم اندفع في القصيدة فأنشدَها . فنكّس الفرزدقُ رأسَهُ ، وأطرَقَ راعي الإبل ، فلو انشقَّتْ لهُ الأرضُ لساخَ فيها ، وأرَمّ القومُ[2] ، حتى إذا فرغ منها ، سار ، فوثب راعي الإبل من ساعته فركِبَ بغلَتَهُ بِشَرٍّ وعَرٍّ[3] . وتفرَّق أهلُ المجلس ، وصَعَد الرّاعي إلى منزله الذي كان ينزله ، ثم قال لأصحابه : رِكابَكم رِكابَكم ، فليس لكم هاهنا مُقام ، فضحكم واللهِ جَرير . فقال له بعضُهم : ذلك شؤمُك وشؤم جَنْدل ابنك . قال : فَما اشتغلوا بشيء غير تَرحّلهم . قالوا : فسِرْنا واللهِ إلى أهلِنا سَيراً ما ساره أحد ، وهم بالشُّرَيْف[4] ، وهو أعلى دار بَني نُمَيْر ، فحلف راعي الإبلِ أنّهم وجَدُوا في أهلِهم قَوْلَ جَرِير :

فغُضَّ الطَّرف إنَّكَ من نُميرِ

يَتَناشَدُه النَّاس ، وأقسَمَ باللهِ ما بَلَغه إنسان قَطّ ، وإنَّ لجرير لأشياعاً من الجِنّ . فتشاءمت به بنو نُمَير ، وسَبّوه وسبُّوا ابنه ، فَهُم إلى الآن يتشاءمون بهم وبولدهم .

[أخزاه وفضحه]

وأَخْبَرني بهذا الخبَر عمّي قال : حدَّثنا الكرانيّ ، قال : حدَّثني النّضْر بنُ عَمْرو ، عن أَبي

---

1 ل : لتؤوبن .

2 أرم القوم : سكتوا .

3 عر : شدّة .

4 الشريف : أرض بني نمير .

عُبيدةَ بمثله أو نَحْو منه ، وقال في خبره : أَجِئْتَ تُوقِر إبلَكَ لِنِسائِكَ بُرّاً وتَمْراً ؟ واللهِ لأحملَنَّ إلى أعجازها كلاماً يبقى مِيسَمُه عليهنّ ما بقي اللّيلُ والنّهار يَسُوءُك وإيّاهُنّ استماعُه .

وقال في خَبرِه أيضاً : فلمّا قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِـن نُمَير

وثَبَ وثْبَةً دَقَّ رأسَهُ السَّقفُ ، فجاءَ له صوتٌ هائِلٌ ، وسمعت عجوزٌ كانت ساكِنَة في عُلْو ذلِكَ الموضع صوتَه ، فصاحَتْ : يا قَوْم ، ضَيفُكم واللهِ مَجْنونٌ . فجئنا إليه وهو يَحبُو ويقول : غَضَضْتُه واللهِ ، أخزَيْتُه واللهِ ، فضحتُه وربِّ الكعْبَة ، فقلت له : ما لك يا أبا حَزرَة ؟ فأنشدَنا القصيدةَ ، ثم غَدا بها عليه .

[الحجاج يسأل جريراً : ما لك وللراعي]

وذَكَر ابنُ الكلبيّ ؛ عَنْ النَّهشليّ ، عَنْ مِسْحَل بنِ كُسيب ؛ عن جرير في خَبرِه مع الحجّاج لمّا سأله عمّن هجاهُ من الشُّعراء قال : قال ليَ الحجّاج : ما لكَ وللرّاعي ؟ فقُلْتُ : أيّها الأمير ، قَدِم البصرة ، وليس بيني وبينهُ عَمل ، فبلَغني أنّه قال في قصيدةٍ له : [من الكامل]

يا صاحبيّ دنا الرّواحُ فَسِيرا غَلَبَ الفرزْدقُ في الهِجاء جرِيرا

وقال أيضاً في كلمةٍ له : [من الوافر]

رأيتُ الجَحْشَ جَحْشَ بني كُلَيبٍ تَيَمَّـم حَـوْض دِجلة ثـم هابا

فأتيتُه وقُلتُ : يا أبا جَنْدَل ، إنّكَ شيخُ مُضَر ، وقد بلَغَني تَفضيلُك الفرزدق عليّ ، فإن أنصفْتَني وفضَّلتني كنتُ أحقَّ بذلك ، لأنـّي مَدحتُ قومَك وهجاهم .

وذكر باقي الخبر نحواً ممّا ذكرهُ مَن تقدَّم ، وقال في خبره : فقلتُ له : إنَّ أهلَكَ بَعثُوكَ مائِراً ، وبئس واللهِ المائرُ أنت ، وإنّما بَعَثَني أهلي لأقعدَ لهم على قارِعَةِ هذا المِرْبد ، فلا يَسبُّهم أحدٌ إلاّ سببته ، فإنَّ عليَّ نَذْراً إنْ كَحَلْتُ عينيْ بغمْضٍ حتى أخزيَك ، فما أصبحتُ حتّى وفَيْتُ بيميني . قال : ثم غدوتُ عليه فأخذْتُ بعِنانِه ، فما فارقَني حتى أنشدتُه إيّاها ، فلمّا بَلَغت قولي :

أجَنْـدلُ مـا تَقولُ بَنُو نُمَيْرٍ إذا ما الأَيرُ في اسْتِ أَبيكِ غابا

قال : فأرسلَ يدي ثم قال : يقولون شَرّاً واللهِ .

[توقع الفرزدق لبيت جرير]

أَخبرني عليُّ بنُ سُلَيمان الأخفش ؛ قال : حَدَّثَني محمد بنُ الحَسن بنِ الحرُون قال : قال أَبو عُبيدة : أنشد جريرٌ الرّاعي هذه القصيدة والفرزدق حاضر ، فلمّا بَلَغ فيها قوله :

بهـا بَرَصٌ بأسفل إسكَتَيْها

غَطّى الفرزدق عنْفَقَتَه بِيَدِه ، فقال جرير :

كَعَنْفقةِ الفَرَزدَق حينَ شابا

فقال الفرزدق : أَخزاكَ الله ، والله لقد علمتُ أنّكَ لا تَقولُ غيرَها . قال : فسمع رجل كان حاضراً أبا عُبيدة يُحدِّث بها ، فحلفَ يميناً جزْماً أنَّ الفرزدق لقَّن جريراً هذا المِصْراع بتغطية عنْفَقته ، ولو لم يَفعل لما انتبه لذلك ، وما كان هذا بيتاً قاله مُتقدِّماً ، وإنّما انتبه لذلك .

[قتله الكمد من الهجاء]

أُخبرنا أُبو خليفة قال : حدَّثنا محمد بنُ سَلاَّم قال : أُخبرني أبو الغرّاف قال : الذي هاج التّهاجي بين جرير والرّاعي أنَّ الراعي كان يُسْأَل عن جرير والفرزدق . فيقول : الفرزْدَق أكرمُهُما وأشعرُهما ؛ فلقيه جرير فاستَعْذره من نفسه .

ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدّم ، وزاد فيه : أَنَّ الرّاعي قال لابنه جَنْدل لّما ضرب بغْلته : [من الوافر]

أَلَم تَـرَ أَنَّ كلبَ بَني كُليبٍ أُراد حِياضَ دِجلَـةَ ثـم هابا

ونفرَتْ البغلةُ فزحمَتْهُ حتى سقطتْ قلنْسُوة جرير . فقال الرّاعي لابنه : أَما والله لتكُونَنَّ فعلَةً مشؤومة عليك وليهجونّي وإيّاك ، فليتهُ لا يُجاوزُنا ولا يذكر نِسْوتنا . وعَلِم الرّاعي أنّه قد أساءَ وندِم ، فتزعم بنو نمير أنّه حَلَفَ ألاّ يُجيب جريراً سنة غضباً على ابنه ، وأنّه مات قبل أن تمضي سنة . ويقول : غير بني نُمَير : إنّه كَمِد لّما سمعها فمات كمداً .

[معترف لجرير بالغلبة]

أُخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ وأَبو الحسن عليّ بن سُليمان الأخفش ، قالا : حدَّثنا أُبو سعيد السّكريّ ، عن محمد بن حبيب وإبراهيم بن سعْدان ، عن أَبي عُبيدة وسعدان والمفضل وعمارة بن عقيل ، وأخبرنا به أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن أَبي البيداء قالوا جميعاً :

مرَّ راكبٌ بالرّاعي وهو يَتَغَنَّى : [من الطويل]

وَعاوٍ عَوى من غير شيءٍ رميتُه بقافيـــةٍ أُنفاذُهـــا تقطرُ الدّما
خَروجٍ بأَفْـواهِ الرُّواة كأنّـها قَرا هُندُوانيٍّ إذا هُــزَّ صمَّما

فسمعها الرّاعي فأتبعهُ رسُولاً ، وقال له : مَنْ يقول هذين البيتين ؟

قال جرير ، فقال الرّاعي ، أَؤُلام أَن يغلبني هذا ؟ والله لو اجتمع الجنُّ والإنْسُ على صاحب هذين البيتين ما أَغنوا فيه شيئاً .

قال ابنُ سلام خاصَّة في خبره : وهذان البيتان لجرير في البَعيث ، وكذلك كان خبره معه ، اعترضه في غير شيء .

[لا يحتذي ولا يعارض]

أَخبرنا أَبو خليفة قال : أَخبرنا محمد بنُ سلاّم ، قال : كان الرّاعي من رجال العَرب ووُجوه قومه ، وكان يُقالُ له في شعره : كأنّه يعتسِفُ الفلاةَ بِغَيرِ دليل ، أي أنّه لا يحتذي شعرَ شاعر ، ولا يعارضُه ، وكان مع ذلك بذِيّاً هجّاءً لعشيرته ، فقال له جرير : [من الوافر]

وَقَرْضُكَ في هَوازانَ شرُّ قرضٍ تهجُّنُهـم وتَمْتَـدِح الوِطابا

[نسب بامرأة من بني عبد شمس]

أَخبرنا أَبو خليفة ، قال : أَخبرنا محمدُ بنُ سلاَّم قال : قال أَبو الغَرّاف : جاوَرَ راعي الإبل بَني سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَميم ، فنَسَب بامرأةٍ منهم من بَني عبد شَمس ، ثم أحد بني وابشيّ ، فقال[1] : [من الطويل]

بَني وابِشيٍّ قد هَوِينا جوارَكُم وما جمَعتْنا نِيَّـةٌ قبلها معا

خَلِيطَيْن من حَيَّين شتَّى تجاورا جَميعاً وكانا بالتّفرّق أُمتعا[2]

أُرى أَهلَ ليـلى لا يبالي أَميرُهم على حالة المحزُون أَن يَتصدّعا

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

صوت

تذكَّر هـذا القلبُ هِنـدَ بني سَعْدِ سَفاهاً وجَهْلاً مـا تَذكَّر مـنْ هِنْدِ

تذكَّـر عَهـداً كان بَيْنـي وبَيْنَهـا قدِيما وهل أَبقت لك الحربُ من عَهدِ

في هذين البيتين لحنٌ من الثَّقِيل الأوّل بالوُسْطى ، وذكر الهشاميُّ أنّه لنَبيه ، وذكر قمري وذُكاء وَجْهِ الرّزّة أنّه لبنان .

قال ابنُ سَلاَّم : فلمّا بلغَهم شِعرُه أَزعجُوه ، وأَصابوه بأَذًى ، فخرج عنهم وقال فيهم[3] : [من الوافر]

أُرى إبـلي تكـالأُ راعِياهـا مخافَة جارِها الدَّنِسِ الذَّميمِ[4]

---

1 ديوان الراعي : 165–166 .

2 من حيَّين في الديوان : من شعبين .

3 ديوان الراعي : 252 .

4 الشطر الثاني في الديوان : مخافة جارها طبق النجوم .

وقـد جاورتُهـم فرأيت سَعْداً شُعاعَ الأمـرِ عازِبـةَ الحُلُومِ
مَغانيم القـرى سَرقـاً إذا ما أَجنَّـتْ ظُلمةُ اللَّيـلِ البَهيمِ[1]
فأُمِّي أرضَ قوْمك إنَّ سعْداً تحمّلت المخـازِيَ عـن تَميمِ

[قدومه على عبد الملك]

أُخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاَّم ، عن عبدِ القاهر بنِ السَّريِّ ، قال : وفَد الرّاعي إلى عبدِ الملك بنِ مرْوان ، فقال لأهل بيته : تزوَّحُوا إلى هذا الشيخ فإنِّي أراهُ مُنجباً .

[جندل يدافع عنه]

أُخبرنا محمدُ بنُ الحسن بنِ دُريْد قال : حَدَّثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس : قال : قدِم جَندلُ بنُ الرّاعي على بلالِ بن أبي بُرْدة ، وقد مَدحهُ ، وكان يُكثِر ذكرَ أبيه ووصفه ، فقال له بلال : أليس أبوك الذي يقول في بِنْتِ عمِّه ، وأُمُّها امرأةٌ من قومه[2] : [من الطويل]

فلمّا قضتْ من ذي الأراكِ لُبَانَةً أرادَتْ إلينـا حاجـةً لا نُريدُها

وقد كان بعد هِجاء جرير إيّاه مُغلَّبا ؟ فقال له جندل : لئن كان جريرٌ غلبه لما أمسك عنه عَجزاً ، ولكنَّه أقسم غَضَباً عليَّ ألاّ يُجيبه سنةً ، فأين أنت عن قوله في عديّ بنِ الرِّقاع العامليّ[3] : [من البسيط]

لو كنتَ من أحدٍ يُهجى هجْوتُكم يا ابن الرّقاع ولكن لستَ من أحدِ
تأبى قُضاعةُ لم تعرِفْ لكم نسباً وابنـا نِـزارٍ وأنتـم بيضةُ البَلدِ[4]

قال : فضَحِك بلالٌ وقال له : أمّا في هذا فقد صدقْت .

[لا يطلب حاجة لنفسه]

أُخبرني محمد بن عِمرانَ الصيرفيّ وعمِّي قالا : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ ، قال : حدَّثنا محمد بنُ عبد الرّحمن ، عن ابن عائشةَ قال : لمّا أنشد عُبيدُ بنُ حُصين الرّاعي عبدَ الملك بنَ مرْوان قولَه[5] : [من البسيط]

فـإنْ رفعتَ بهـم رأساً نَعْشتَهمُ وإن لَقـوا مثلَها من قابلٍ فسدُوا

1 سرقاً في الديوان : سرفٌ .
2 ديوان الراعي : 94 وفيه «من ذي الإناء» .
3 ديوانه : 79 .
4 بيضة البلد : مثل . ورد في مجمع الأمثال للميداني (صادر) 1 : 269 .
5 ديوانه : 66 .

قال له عبدُ الملك : فتريد ماذا ؟ قال : تَرُدّ عليهم صدقاتهم فتنعشَهُم ، فقال عبد الملك : هذا كثير ، قال : أنت أكثر منهُ ، قال : قد فعلتُ ، فسلني حاجةً تخصّك ، قال : قد قَضيْتَ حاجتي . قال : سل حاجَتَك لنفْسِك ؟ قال : ما كُنت لأُفسد هذه المكرُمة .

[بنو سعد يعطونه مال العنبري]

حدَّثني أحمدُ بن محمد بن سَعِيد الهمذاني قال : حَدَّثنا يحيى بنُ الحسن العلوي ، قال حدَّثنا إسماعيل بنَ يعقوب ، عن عثمان بنُ نُمَيْر ، عن أبيه قال : كنتُ عند العبّاس بن محمد في يومٍ شاتٍ ، فدخل عليه مُوسى بنُ عبد الله بن حسن ؛ فقال له العبّاس بنُ محمد : يا أبا الحسن ، ما لي أراك مُتغيّراً ؟ فقال له موسى : والله إنّي لأغْرق ممّا كان اليوم ؛ قال : وما كان يا أبا الحسن ؟ فقال : ذاكَ أنّ أمير المؤمنين أخرج لي وللعبّاس بنِ الحسَن خمسين ألفاً : للعبّاس منها ثلاثون ألفاً ، والله ما أجد لي ولكُم مثلاً إلاّ ما قال أخو بني العنبَر ، وجاورَ هو وراعي الإبل في بني سعد بن زيد مَناة ، فكانوا إذا مدحهم الراعي أخذُوا مالَ العنْبريّ فأعطوه الرّاعي ، فقال العنبرِيّ في ذلك : [من الطويل]

أَيُقطَع مَوْصولٌ ويُوصَل جانب ... أسعدُ بنَ زَيْدٍ عَمرَكِ الله أجملي

فإنَّا بأَرْضٍ هاهُنا غير طائل ... مَتى تَعلفوا بالرّغم والخسْف نأكُلِ

قال : فقال له العبّاس : إنّكم نازعتُم القوم ثوبَهم . وكان عبّاس وأهلُه أعواناً له على حذِيَّةٍ منكم ، ومع ذلك فعبّاس الذي يقول لبنت حيدة المحاربيّة يرثيها : [من الوافر]

أتتْ دُونَ الفِراش فأبشَرَتْنا ... مصيبتنا بأخت بني حُدادِ

كأَنَّ الموت لا يعني سِوانا ... عشيّة نحوها يحدُوه حادِي

فإنَّ خليفةَ اللهِ المُرَجَّى ... وغيثَ النّاس في الإزَم الشِّدادِ

تطاول ليلهُ فعداك حتَّى ... كأنَّك لا تَثوب إلى مَعادِ

يظَلّ ، وحقَّ ذاك ، كأنَّ شَوْكاً ... عليه العينُ تطرِف من سُهادِ

فليتَ نُفوسَنا حَقّاً فدَتْها ... وكلّ طَرِيف مالٍ أو تِلادِ

وجندل بن الراعي شاعر ؛ وهو القائل ، وفي شعره هذا صنعة : [من الطويل]

صوت

طلبْت الهوى الغَوْرِيّ حتى بلغتُه ... وسيّرت في نجديّةٍ ما كفانيا

وقلت لحِلمي لا تنزعنّي عن الصِّبا ... وللشّيبِ لا تذْعَر عليَّ الغَوانِيا

الشعر لجَنْدل بن الرّاعي ، والغِناء لإسحاق خَفيف ثقيل بالبِنْصَر ؛ عن عمرو من جامع إسحاق . وقال الهشاميّ : وله فيه أيضاً ثاني ثقيل ، وهو لحْن مشهور ، وما وجدناه في جامعه ، ولعلّه شذَّ عنه أو غلط الهشاميّ في نسبته إليه ، وقال حبش : فيه أيضاً لإسحاق خفيف رمل .

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال : حدَّثني أبو عبدِ الله الهشاميّ قال : قال إسحاق : قال أبو عبيدة : كانت لجَنْدل بن الرّاعي امرأةٌ من بني عُقَيل ، وكان بخيلاً ، فنظر إليها يوماً وقد هُزِلت وتخدَّد لحمها ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

عُقَيليَّـة أمَّا أعـالي عِظامِها فعُـوجٌ وأمّا لحمهـا فقليلُ

فقالت مُجيبةً له عن ذلك : [من الطويل]

عُقيلِيَّة حَسْناء أُزرى بلَحْمِها طعامٌ لديـكَ ابنَ الرّعاء قليلُ

فجعل جندل يَسبّها ويَضربُها وهي تقول : قلتَ فأجبتُ ، وكذبتَ فصدَقْتُ ، فما غضَبُك ؟

صوت

[من مجزوء الخفيف]

أُصبح الحبـلُ مـن سَلا مـةَ رَثّـاً مُجَـذَّذا
حَبَّـذا أنـتِ يـا سلا مـةُ ألفيْـن حبَّـذا
ثـم ألفيـن مُضْعفيـ ـن وألفَيْـن هكـذا
في صميم الأحشاء مِنّي وفي القلبِ قـد حَـذا
حـذوَةً مـن صَبابـةٍ تركتْـه مُفلَّـذا[1]

الشعر لعمَّار ذي كُبار والغِناء لحكم الوادي هَزَج بالوسطى عن الهشاميّ . قال الهشاميُّ وذكر يحيى المكي أنّه لسليم الوادي لا الحكم .

1 مفلذا : مقطعا .

[538] ـ أخبار عمار ذي كبار ونسبه[1]

هو عَمّار بن عَمْرو بن عبدِ الأكبر يُلَقَّب ذا كُبار ، هَمْدانيٌّ صَلِيبَةً ، كُوفيّ ، وجدتُ ذلك في كتاب محمد بن عبد الله الحَزَنْبل .

وكان لَيِّن الشِّعر ماجِناً خِمِّيراً مُعاقِراً للشراب ، وقد حُدَّ فيه مَرّات ، وكان يَقُول شعراً ظريفاً يُضحِك من أكثره ، شديد التّهافُت جَمّ السخف ، وله أشياء صالِحة نذكرُ أجودَها في هذا الموضع من أخباره ومُنْتَخب أشعاره ؛ وكان هو وحمّاد الراوية ومُطِيعُ بن إيّاس يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترِقُون ، وكلّهم كان مُتَّهماً بالزَّنْدَقة .

[يلازم الكوفة]

وعمّار ممَّن نشأ في دولة بني أُميّة ، ولم أُسمع له بخبر في الدّولة العبّاسيّة ، ولا كان مع شَهْوة النّاس لشِعره ، واستطابتهم إيّاه ينتجع أحداً ولا يَبرح الكُوفةَ لعشاء بَصَره وضَعْف نظره .

فأخبرني محمدُ بنُ مزيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الرّاوية ، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم الفراسيّ قال : حدَّثنا العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية ، ولفْظ الرجلين كالمتقارب قال : استقدمني هشامُ بن عبد الملك في خِلافته ، وأمر لي بِصِلةٍ سنيّةٍ وحُمْلان[2] فلمّا دخلتُ عليه استنشدني قصيدةَ الأفوهِ الأوديّ[3] : [من البسيط]

لنــا معاشِرُ لم يَبْنُــوا لقومِهِــمُ ... وإن بَنى قومُهم ما أَفسَدُوا عادُوا

قال : فأَنشدتُه إيّاها ، ثم استَنْشَدَني قولَ أبي ذُؤَيْب الهُذَليّ :

أَمِنَ المَنون ورَيْبِـها تَتَوجَّعُ

فأَنشدتُه إيّاها ، ثم استَنْشَدَني قولَ عدِيّ بن زَيْد :

أَرواحٌ مودِّع أَم بُكور

---

1 لعمار ذي كبار ترجمة في الوافي 22 : 396 وذكره الأستاذ محمود محمد شاكر في حاشية طبقات ابن سلام (360) باسم عمار ذو كنار وفي فهرست الطبقات عمار ذو كناز .

2 الحملان : ما يحمل عليه من الدواب .

3 ديوان الأفوه الأودي (صادر) : 64 .

فأنشدته إيّاها ، فأمر لي بمنزل وجراية ، وأقمتُ عنده شهراً ، فسالني عن أشعار العرب وأيّامها ومآثرها ومحاسنِ أخلاقها ، وأنا أخبره وأنشده ، ثم أمر لي بجائزة وخِلعة وحُملان ، وردَّني إلى الكوفة ، فعلِمْتُ أنّ أمرَه مُقبِل .ثم استقدمَني الوليد بن يزيد بعده ، فما سألني عن شيء من الجِدِّ إلاّ مرَّة واحدة ، ثم جعلتُ أُنشِده بعدها في ذلك النحو فلا يلتفت إليه ، ولا يَهَشّ إلى شيء منه ، حتى جَرى ذكر عمّار بن ذي كبار فتشوَّقه وسأل عنه ، وما ظننت أنّ شِعر عمّار شيء يُرادُ أو يُعبأُ به . ثم قال لي : هل عندكَ شيءٌ من شعْره ؟ فقلت : نعم أنا أحفظ قصيدة له ، وكنت لكثرة عبثي به قد حفِظتُها ، فأنشدتُه قصيدتَه التي يقولُ فيها : [من مجزوء الخفيف]

حَبّـذا أنتِ يـا سلا ... مــةُ ألفــين حَبّذا
أشتَهِي مِنْكِ مِنْكِ مِنـ ... ـكِ مكانـاً مُجَنْبَذا[1]
مُفعَمـاً في قُبالـةٍ ... بـين رُكْنـين رَبَّذا
مُدغمـاً ذا مناكـب ... حسنَ القَدِّ مُحْتَذى
رابيـاً ذا مَجَسَّة ... أخنساً قـد تَقَنْفَذا
لم تَـرَ العينُ مِثلَه ... في منـامٍ ولا كَـذا
تامِكـاً كالسّنام إذْ ... بُـذَّ عنـه مُقَذَّذا[2]
مِلء كَفّـيْ ضَجيعِها ... نـال منهـا تَفَخُّذا
لـو تأمَّلتَـه دُهِشْـ ... ـتَ وعايَنْتَ جِهْبِذا[3]
طيّب العَرف والمجَسّـ ... ـة واللّمس هِرْبِذا[4]
فأجـا فِيـه فيـه فيـ ... ـه بأيـرٍ كمِثْل ذا[5]
ليتَ أيري ولَيْت حِـ ... ـرْك جَمِيعـاً تآخذا
فأخذَ ذا بِشعْـر ذا ... وأخـذ ذا بقَعْـر ذا

قال : فضحِك الوليد حتى سقط على قَفاه ، وصَفَّق بِيَدَيْه ورجْلَيه ، وأمَر بالشراب فأُحضِر ، وأمرني بالإنشاد ، فجعلتُ أُنشدِه هذه الأبيات وأُكرّرها عليه ، وهو يَشرَب ويُصَفِّق

1 مجنبذ : مرتفع مستدير كالقبة .
2 تامك : ممتلىء مرتفع . ومقذذ : محلوق .
3 الجهبذ : الخبير بغوامض الأمور .
4 الهربذ : أحد القائمين على بيت النار عند المجوس .
5 أجا : مخفف وجأ بمعنى دفع .

حتى سَكِر ، وأمر لي بحُلَّتين وثلاثين ألف درهم ، فقبضتُها . ثم قال لي : ما فَعل عمّار ؟ فقلتُ : حيٌّ كميّت ، قد عَشي بَصَرُه ، وضَعُف جِسمُه ، ولا حَراك به . فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فقلت له : ألا أخبر أميرَ المؤمنين بشيء يفعَلُه لا ضَرَرَ عليه فيه ، وهو أحبُّ إلى عمّار من الدُّنيا بحذافيرها لو سيقت إليه ؟ فقال : وما ذاك ؟ قلت : إنّه لا يزال يَنْصَرِف من الحانات وهو سَكْران ، فترفَعُه الشُّرَط ، فيُضرَب الحدَّ ، فقد قُطِّع بالسِّياط ، وهو لا يَدَع الشَّرابَ ولا يكُفُّ عنه ؛ فتكتُب بألاّ يُعرَض له . فكتب إلى عامِلِه بالعِراقِ ألاّ يَرفع إليه أحد من الحَرَس عمّاراً في سُكْر ولا غيرْه إلاّ ضُرِب الرافعُ له حدّين وأطلق عمّاراً .

فأخذتُ المالَ وجئته به ، وقُلتُ له : ما ظننْتُ أنَّ الله يُكسب أحداً بشعْرك نقيراً ولا يسأل عنه عاقل ، حتى كَسبتُ بأوضع شيء قُلتَه ثلاثين ألفاً . قال : عزَّ عليَّ فذلِك لقلّة شكْرك يا ابن الزّانية ، فهات نصيبي منها . فقُلت : لقد استغنيتَ عن ذلك بما خُصصتَ به ، ودَفعت إليه العشرة آلاف درهم . فقال : وَصَلَكَ الله يا أخي وجَزاك الله خيراً ، ولكنّها سَبَبُ هلاكي وقَتْلي ، لأنّي أشرب بها ما دام مَعي منها درْهم ، وأُضرَب أبداً حتى أموت . فقلت له : لقد كفيتك ذلك ، وهذا عهد أمير المؤمنين ألاّ تُضرَب ، وأن يُضرَب كلُّ مَنْ يرْفعك حدَّين . فقال : والله لأنا أشدُّ فرحاً بهذا من فرحي بالمالِ ، فجُزيت خيْراً من أخ وصديقٍ ؛ وقبض المالَ ، فلم يزل يشربُ حتى ماتَ ، وبقِيَّته عنده .

[خلافه مع امرأته]

نسختُ من كتابِ الحزَنْبل المُشتمِل على شعر عمّار وأخبارِه : أنّ عمّاراً ذا كبار كانت له امرأة يقال لها دُومَة بنتُ رَباح ، وكان يُكنّيها أُمَّ عَمّار وكانت قد تخلّقت بخلُقه في شُرب الشَّراب والمُجُون والسَّفه ، حتى صارت تُدْخِل الرجالَ عليها وتَجمعُهم على الفَواحِش ، ثم حجَّت في إمارة يوسف بن عُمر ، فقال لها عمّار : [من الخفيف]

اتَّقــي اللهَ قـد حَجَجْتِ وتُوبي ... لا يكونَـنَّ مـا صَنَعْـتِ خَبالا
ويلَكِ يا دُومُ لا تَدُومي على الخَمْـ ... ـرِ ولا تُدْخِـلي عليـكِ الرِّجالا
إنَّ بالمِصْـر يوسُفـاً فاحذَريـه ... لا تَصيري للعالمـين نَـكالا
وثَقِيـفٌ إن تَثْقَفَنْـكِ بحـدٍّ ... لم يُساوِ الإهـابُ منك قِبالا[1]
قد مَضى ما مَضة وقد كان ما كا ... ن وأودى الشَّبابُ منـكِ فَزالا

1 القبال : سير في النعل بين أصابع القدم .

قال : فضربته دُومَة وخرّقت ثيابه ، ونتفت لحيَته ، وقالت : أتجعلني غرضاً لشعْرِك ؟ فطَلّقها واشْترى جاريةً حَسناء ، فزادت في أذاه وضرْبه غِيرةً عليه . فشكاها إلى يوسفَ بن عمَر ، فوجَّه إليها بخدَم من خدَمه ، وأمرهم بضَربها وكسْر نبيذِها ، وإغرامِها ثيابَ عمّار ، فَفَعلوا ذلك ، وبلغُوا منها الرِّضا لعمّار ، فقال في ذلك عمَّار : [من مجزوء الرمل]

إنّ عِرسي لا هَداها ... الله بنتٌ لِرَباحِ
كلَّ يوم تُفزع الجُلاَّ ... س منها بالصِّياحِ
ورَبوخٌ حين تُؤتى ... وتَهَيّا للنِّكاحِ
كلبُ دَبَّاغ عَقُورٌ ... هرَّ من بعد نُباحِ
ولها لونٌ كدَاجي اللّيـ ... ـل من غير صَباحِ
ولسانٌ صارِمٌ كالسّيـ ... ـفِ مَشحوذ النَّواحي
يقطَع الصَّخرَ ويَفْرِيـ ... ـه كما تَفْري المَساحي
عجَّل اللهُ خلاصي ... من يديها وسَراحي
تُتعِبُ الصّاحِبَ والجا ... رَ وتَبغي مَنْ تُلاحِي
زَعمتْ أنّي بَخيلٌ ... وقد آخى بن سَماحي
ورأت كَفِّي صِفْراً ... من تِلادي ولِقاحي
كذبَت بِنتُ رَباح ... حين هَمَّت باطِّراحي
حاتمٌ لو كانَ حَيّاً ... عاش في ظِلِّ جَناحي
ولقد أُهلكتُ مالي ... في ارتياحي وسَماحي
ثم ما أَبقيتُ شَيئاً ... غيرَ زادِي وسِلاحي
وكُمَيْتٍ بين أشطا ... نِ جَوادٍ ذي مِراحِ
يسبِقُ الخيلَ بتَقْريبٍ ... وشَدٌّ كالرّياحِ
ثم غارَتْ وتَجَنَّت ... وأَجدَّت في الصِّياحِ
لابْتِياعي أَملَحَ النِّسـ ... ـوان من فَيْءِ الرِّماحِ
دُميةُ المِحْرابِ حُسْناً ... وحَكَت بَيضَ الأَداحي
هيَ أَشهى لِصَدَى الظَّمـ ... ـآن من برد القَراحِ
قلتُ : يا دُومَةُ بِيني ... إنَّ في البَيْنِ صَلاحي

فأنــا اليــوم طَلِيــقٌ   من إساري ذُو ارتِياحِ
لستُ عمَّن ظَفِرت كفُّـ   ـي بهـا اليوم بِصاحِ
أنـــا مَجْنـــون بريـمٍ   مُخْطَفِ الخصر رَداحِ
مُشبَع الدُّملُجِ والخَلْخا   ل جَـــوَّالِ الـوِشاحِ
إنَّ عَمَّـارَ بـنَ عَمْرٍو   ذا كُبَـــارٍ ذو امْتداحِ
وهِجـــاءٍ سارَ في النَّـ   ـاسِ لا يَمحُـوه ماحي
أبداً مــا عاش ذُو رُوحٍ   ونُـــودِي بالفَـــلاحِ

[هجاء بائع الرؤوس]

قال : وكان لعمّار جارٌ يبيع الرّؤوس يقال له غُلامُ أبي داود ، فطَرقَ عمّاراً قَومٌ كانوا يعاشرونه ويَدْعُونه فقالوا : أطعمنا واسقنا ، ولم يكن عِنْده شيءٌ يومئذٍ ، فبعث إلى صاحب الرؤوس يسأله أن يوجِّه إليه بثلاثة أرْؤُسٍ لِيُعْطِيَه ثمنَها إذا جاءه شيء ، فلم يفعل . فباع قميصاً له واشْترى للقَومِ ما يُصلِحُهم وشَرِبُوا عنده ، فلمّا أصبحَ القوم خرج إلى المحلّة ، وأهلُها مُجْتمِعون ، فأنشأ يقول : [من الهزج]

غـــلامٌ لأبـــي داو   دَ يُدْعـى سالقَ الرُّوسِ
وفي حُجْرَتِــه قَمْـــلٌ   كأمثـــالِ الجَوامِيسِ
فمَنْ ذا يشتري الرُّوسَ   وقد عَشَّشَ في الرُّوسِ
رُؤُوسٌ قـــد أراحـــت   كَـرُؤُوسٍ في النَّواوِيسِ
تُحاكي أوجُـهَ المَوتى   ورِيحـــاً كالكَرابِيسِ[1]
يُنقِّـي القمـــل مِنهنَّ   إذا بـــاع بتَـــدلِيسِ

قال : فشاعت الأبياتُ في النّاس ، فلم يقرُب أحدٌ ذلك الرجل ، ولا اشترى منه شيئاً ، فقام من مَوْضِعِه ذلك ، وعطَّلَ حانوتَه .

[يعتذر للأمير عن فجوره بعجزه]

قال : وحَضَر عمّار ذو كُبار مع هَمْدان لقَبض عَطائِه ، فقال له خالِدُ بنُ عَبْدِ الله : ما كُنتُ لأعطِيك شيئاً . فقال : ولِم أيُّها الأمير ؟ قال : لأنّك تُنفِق مالَكَ في الخُمُورِ والفُجُورِ ، فقال : هَيهاتَ ذلِك ، وهل بقي لي أرَبٌ في هذا وأنا الذي أقول : [من مجزوء الخفيف]

---

1 الكرابيس : جمع كرباس وهو المرحاض .

أَيـرُ عمّـارٍ اصبحَ الـ ـيوم رِخْـواً قد انْكَسَرْ
أَلِداءٍ يُـرى بـه أم مـن الهمِّ والضَّجَرْ
أم بـه أُخـذَةٌ فقد تُطلِق الأُخـذةَ النُّشَرْ
فلئِـن كان قَوَّسَ اليـ ـومَ أَو عَضَّـه الكِبَرْ
فَلقِدْماً قَضى ونـا ل مـن اللَّـذَّةِ الوَطَرْ
ولقـد كُنـتُ مُنعِظاً أبـداً قائـمَ الذَّكَرْ
وأنا اليومَ لو رأى الحُو رَ عنـدي لمـا انْتَشَرْ
ساقـطٌ رأسُه علـى خُصْيَتَيـه بـه زَوَرْ
كلّمـا سُمْتُـه النهو ضَ إلى كُـوَّةٍ عَثَرْ

قال : فضَحِك خالدٌ ، وأمر له بعَطائه ، فلمّا قَبضَه قَضى منه دَيْنَه ، وأَصلَح حالَه ، وعاد لشَأنه ، وقال : [من مجزوء الخفيف]

أَصبحَ اليومَ أَيرُ عمَّارَ قـد قـامَ واسبَطَرّ
أَخَـذَ الرِّزْقَ فاستَشا طَ قِيامـاً مـن البَطَرْ
فَهُـو اليـومَ كالشِّظا ظ من النَّعْظ والأَشَرْ
يترُك القِرنَ في المَكـ ـرّ صريعاً ومـا فَتَرْ
يُشرِعُ العُـودَ للطِّعان إذا انصاع ذو الخَوَرْ
سَلْم نِعْمَ الضَّجيعُ أنـ ـتِ لنـا ليلَـةَ الخَصَرْ
لَيلَةَ الرّعـد والبـرو قِ مـع الغيم والمَطَرْ
ليتَني قـد لَقِيتُكُـم في خـلاءٍ من البَشَرِ
فنَشرنـا حَديثَنـا عِنْـدكم كُـلَّ مُنْتَشَرْ
خاليـاً ليلـةَ التَّمـا م بسَلْمى إلى السَّحَرْ
فهـي كالدُّرّة النّقِيّـ ـةِ والوَجـهُ كالقَمَرْ

[صديقه تركه يغرق]

قال : وخَرج عمّار في بَعضِ أَسفارِه ، ومعه رجُلٌ يُعْرف بدَنْدان ، فلمّا بلغا إلى الفرات نزلا على قرية يقال لها ناباذ ، وأرادا العُبور فلم يَجِدا مَعْبراً . فقال له دَنْدان : أنا أعبُرك ، فنزل معه فلمّا توَسَّطا الفرات خلَّى عنه ، فبعد جهدٍ ما نَجا ، فقال عمّار في ذلك : [من الرمل]

كادَ دَنْـدانُ بـأن يجْعلني ... يـوم نابـاذ طَعاماً للسَّمَكْ
قُلْتُ : دَنْدانُ أَغِثْني فمضى ... وأنا أعلُـو وأَهْوِي في الدَّرَكْ
ولقـد أوقَعنـي في وَرطَـة ... شَيَّبَتْ رأْسي وعاينْتُ المَلَكْ
لَيْتَ دَنْـدانَ بِكَفَّـيْ أسدٍ ... أو قَتيـلاً ثاوِيـاً فيمَن هَلَكْ

[عند خالد القسري]

أَخبرني أَبو الحسَن الأَسَديّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ صالح بن النطّاح ، عن أَبي اليَقظان قال : دَخَل عمّار ذُو كُبار على خالِدٍ القَسْريِّ بالكوفة ، فلمّا مَثَل بَين يَدَيه صاح به : أيُّها الأمير : [من الخفيف]

أَخلقَتْ رَيْطتِي وأَودى القَمِيصُ ... وإزاري والبَطنُ طاوٍ خَمِيصُ

قال : خالد : فنَصْنَع ماذا ؟ ما كُلّ مَنْ أَخلقت ثيابُه كسَوْناه ، فقال :

وخَـلا منزِلي فـلا شيءَ فيـهِ ... لستُ مِمَّن يُخشى عليه اللُّصوصُ

فقال له خالد : ذلك من سُوء فعلِك وشُرْبِك الخمر بما تُعطاه ، فقال :

واستحلَّ الأَميرُ حَبْسَ عطائي ... خالِـدٌ إنَّ خالِـداً لحريصُ

فقال خالد وقد غضِب : على ماذا ثكِلتك أُمُّك ؟ قال :

ذو اجتهاد على العبادة والخَيْـ ... ـرِ ولكـن في رزقنا تعْويصُ[1]

فقال : على ماذا تقْبِض العطاءَ ولا غناءَ فيك عن المسلمين ؟ فقال :

رخَّص اللهُ في الكتاب لذي العُذْ ... ر ومـا عنْـد خالدٍ ترْخِيصُ

فقال : أَو لم نرخِّص لذي العُذْر أَن يقيمَ ويبعث مكانه رسولاً ؟ فقال :

كلَّـف البائسَ الفقيرَ بديـلاً ... هل لـه عنه معْدل أَو مَحيصُ
العليلَ الكبيرَ ذا العـرَج الظا ... لـعَ أَعْشى بعيْنـه تلْحيصُ[2]
يـا أَبا الهيثَم المباركَ جُدْ لي ... بعطاء مـا شانـه تنغيصُ
وبرزقـي فإنّنا قـد رزحْنـا ... مـن ضَياعٍ وللعيال بَصيصُ
كبصيصِ الفرْخين ضمَّهُما العُشُّ ... وغاذِيهمـا أَسيرٌ قنيـصُ

---

1 تعويص : صعوبة وشدة .

2 تلحيص : التصاق جفني العين من الرمد .

قال : فَدَمعَتْ عَينا خالد ، فأمر له بعطائِه .

وهذه الأبياتُ من قصيدة يقول فيها : [من الخفيف]

وتَرى البيتَ مُقْشَعِرّاً قَواءً ... من نواحيه دَوْرقٌ وأصيصُ[1]

وبِجادٌ مُمَزَّقٌ وخِوانٌ ... ندَرت رجْلُه وأُخرى رَهيصُ[2]

ولقد كان ذا قوائم مُلسٍ ... تؤْكل اللَّحْمُ فوقَهُ والخبِيصُ

شَطَنتْ هكذا شوارِدُ بالمِصْـ ... ـر وعَنِّي لم يُلهِه التَّرْبيصُ[3]

وتولَّى في كلِّ بَحْرٍ وبَرٍّ ... همُّهُ العَرسُ فيه والتَّحصِيصُ[4]

مُتعالٍ عليَّ آخرُ مَحْبُو ... رٌ يُغادِيه بطّةٌ ومَصُوصُ[5]

وشِواءٌ مُلَهْوَجٌ ورؤوسٌ ... وصُيودٌ قد حازَها التّقنيصُ

ثمَّ لا بُدَّ يلتقي الوزْن بالقِسْـ ... ـطِ لدى الحشْر فاحذَروا أن يبُوصُوا[6]

أكثِروا الملك جانباً واجْمعُوه ... سوف يُودِي بذلك التنقِيصُ

[مديح جزاؤه جبة ومائتا درهم]

ونَسختُ من كتاب الحَزَنبل : أنَّ عمَّاراً وقف على عاصم بن عقِيل بن جعْدة بن هُبيرة المخزوميّ فقال له : [من مجزوء الرمل]

عاصمٌ يا ابن عَقِيلٍ ... أفسحُ العالم باعاً

وارثُ المجد قديماً ... سامياً يَنمي ارتفاعا

عن هُبَيْرٍ وابنه جَعْـ ... ـدةَ فاحتلّ التّلاعا

فقال له عاصم : أسمعتَ يا عمَّار فقُلْ فقد أبلغْتَ في الثَّناء ، فقال :

اكْسُني أصلحك اللـ ... ـهُ قميصاً وصِقاعا[7]

---

1 قواء : لا أنيس فيه .
2 رهيص : واهن .
3 التربيص : المكث والانتظار .
4 العرس : الإقامة في الفرح . التحصيص : البيان والظهور .
5 المصوص : لحم ينقّع في الخلّ ويطبخ .
6 يبوصوا : يهربوا ويستتروا .
7 صقاع : ما يقي الرأس .

وأَرِحْني مـن ثيابٍ باليــاتٍ تتـداعى
طال تَرْقِيعي لها حتـ ـى لقد صارتْ رِقاعا
كلُّها لا شيءَ فيها غيْر قَمْـلٍ تَتساعى
لم تزلْ تُولي الذي يَرْ جوك بِرّاً واصطِناعا

فنزع عاصمٌ جُبَّة كانت عليه ، وأمر غلامهُ فجعل تحتها قميصاً ودَفعها إليه ، وأمر لهُ بمائتي دِرْهم .

[ذاليته مضحكة رغم مرذولها]

فأمَّا القصيدة الذَّاليّة ، التي استَحْسنها الوليد ، وسأل حمّاداً الرَّاوية عنها فإنّها كثيرةُ المرذُولِ ، ولكنّها مُضْحكة طيِّبة من الشِّعر المرذُول وفيها يقول : [من مجزوء الخفيف]

أَنتَ وَجْداً بها كَمُغْضِـ ـي جُفونٍ على القَذى
لم يقل قائـلٌ مـن النَّـ ـاس قـولاً كنحْو ذا
تحـت حـرٍّ وصلتهُ صار شعـراً مُهـذَّذا[1]
قَـوْل عمّـار ذِي كُبا رِ فيا حُسْنَ ما احْتَذى
علّـلاني بذِكْرهـا واسْقيـاني مُحـذّذا[2]
تتـركُ الأذن سُخنـةً أُرجُوانـاً بهـا خَذا[3]

[من صالح شعره]

ومن صالح شِعره قولُه : [من الهزج]

شجا قَلبـي غـزالٌ ذُو دَلالٍ واضــحُ السُّنَّهْ
أَسيلُ الخــدّ مَرْبوبٌ وفي مَنْطِقــهِ غُنّــهْ
أَلا إنَّ الغَـواني قــد بَـرى جِسْمي هَواهُنَّهْ
وقالـوا : شَفَّك الحورُ هَوًى قلتُ لهـم : إنَّهْ
ولكنّـي عــلى ذاكَ مُعنَّــى بــأَذاهُنَّهْ
أَراحَ اللهُ عمّــاراً مــنَ الدُّنيـا وَمِنْهنَّهْ

1 مهذذ : من الهذ وهو السرعة في القراءة .
2 المحذذ : السريع النفاذ .
3 الخذا : الاسترخاء .

بَعيــــداتٍ قَرِيبــاتٍ فــلا كان ولا كُنَّــهْ
فقد أذهل مِنّــي العَقلَ والقلــبَ شَجاهُنَّــهْ
يُمنِّــينَ الأَباطِيــلَ وَيَجْحَــدْنَ الــذي قُلْنَهْ

وقوله أيضاً : [من الكامل]

يــا دُومُ دام لنا صَلاحُكُم وسقاكِ ربِّــي صَفْـوةَ الدِّيَمِ
مــن كلِّ دانٍ مُسْبِـل هطِلٍ مُتتابـعٍ سَحٍّ مــن الرِّهَـمِ[1]
تَرِدُ الوحُوشُ إليــه سارعةً والطيرُ أفواجــاً مــن القُحمِ[2]
قَلْقَلْتِ من وجْدٍ بكم كبدي وصَدعتِ صَدْعــاً غيرَ مُلتئِمِ
وترَكتنــي لعــواذلي غَرضاً كاللَّحــم مُتَّرَكاً على الوَضَمِ[3]
بَرِحَ الخفاءُ وقد علمتِ بــه إنِّــي لحُبِّــك غيرُ مُكتتمِ
أخفيتُــهُ حتّى وهــي جَلَدي وبَرى فؤادي واسْتباحَ دمي
يــا أحسنَ الثّقَلــين كلِّهــم وأتمَّ مَــنْ يخطُــو على قدَمِ
يَصبُو الحليــمُ لحُسْنِ بهْجتها ويزيـــدُه ألمــاً إلى ألَمِ
تفترُّ عـــن سِمْطَيْن من برَدٍ مُتفلِّــجٍ عــن حُسن مبتَسمِ
كالأُقحــوانِ لغِــبّ ساريةٍ جُنــحَ العشاءِ يُنيرُ في الظُّلَمِ
حُــمّ اللِّثاتِ يَــرُوقُ ناظِرُه ما عِيبَ من رَوَقٍ ولا قَصَمِ[4]
تومــي بكفٍّ رَطْبَةٍ خُضِبَتْ وأنامــلٍ ينطُفــن كالعَنَمِ
وبمقلــةٍ حَــوْراءَ ساجيــةٍ وبحاجِــبٍ كالنُّــونِ بالقَلَمِ
والجيــدُ منهــا جِيــدُ مُغزِلَةٍ تحْنو إلى خِشْفٍ بذي سَلَمِ[5]
وكدُميــةِ المحــرابِ ماثلــة والفرْعُ جثْلُ النبت كالحُمَمِ[6]

1 الرهم : المطر الدائم .
2 القحم : جمع قحمة ، وهي القحط أو السنة الشديدة .
3 الوضم : ما يدق عليه اللحم .
4 الروق : طول الأسنان . والقصم : انكسار الثنية .
5 المغزلة : الظبية التي لها غزال صغير هو الخشف .
6 الجثل : الكثير الملتف .

وكأنَّ ريقتَهـــا إذا رقــدت   راحٌ يفُـــوحُ بأطيب النَسَمِ

[رواية أخرى لإنشاء ذاليته]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ أحمد بن طالب الدِّيناريّ قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ إبراهيم الموْصليّ ، قال : قال حمّاد الراوية : أرسلَ الوليدُ بنُ يزيد إليّ بمائتي دينار : وأمرَ يُوسفَ بن عمر بحمْلي ، على البريد ، فقلتُ : يسألني عن مآثر طَرفيْه قريْشٍ أو ثقيفٍ ، فنظرتُ في كتابَيْ ثقيف وقريْش حتى حفِظتهما . فلمّا قدِمْتُ عليه سألني عن أشعار بليّ ، فأنشدته منها ما حفظته ، ثم قال لي : أنشدني في الشّرابِ ، وعنده قومٌ من وُجوه أهل الشام . فأنشدتهُ لعمّار ذي كُبار : [من مجزوء الخفيف]

أصبحِ القوْمَ قهوةً   في أباريقَ تُحتَذى

من كميْتٍ مُدامةٍ   حبّذا تلـك حبَّذا

تترْك الأُذْنَ شربُها   أرجُواناً بهـا خَذا

فقال : أعِدها ، فأعدتُها ، فقال لخدمه : خُذوا آذانَ القَوْم ، قال : فأُتينا بالشراب فسُقِينا حتى ما دَرِيْنا متى نُقِلنا ، ثم حُمِلنا فطُرِحنا في دار الضّيْفان ، فما أيقظنا إلاّ حرُّ الشَّمس . وجعل شيخٌ من أهلِ الشّام يشتمني ويقول : فَعل اللهُ بك وفعَلَ ، أنتَ صنعتَ بنا هذا .

صوت

[من مجزوء الكامل]

شَطَّتْ ولم تُثِبِ الرَّبابْ   ولعلَّ للكَلِفِ الثَّوابْ

نَعِب الغُرابُ فراعَني   بالبينِ إذْ نعَب الغُرابْ

عروضه من الضرْب الثالث من العروض الثالثة من الكامل .

والشعر : لعبد الله بن مُصعب الزُّبيريّ ، والغناء لحكَم الوادي ، ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، عن إسحاق .

[539] ـ أخبار عبد الله بن مصعب ونسبه[1]

[نسبه]

عبدُ الله بن مُصعَب بنِ ثابت بنِ عبد الله بنِ الزُّبير بن العوَّام بنِ خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيٍّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب .

شاعِرٌ فصيحٌ خطيبٌ ذو عارضَة وبيان واعتبار بين الرجال وكلامٍ في المحافل ؛ وقد نادم أوائلَ الخلفاء من بني العبّاس ، وتولَّى لهم أعمالاً ، وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب بالمدينة على أبي جعفر المنصور فيمَن خرج من آل الزُّبير ، فلمّا قُتِل محمد استتر عنه ، وقيل : بل كان استتارُه مدّة يسيرة إلى أن حجَّ أبو جعفر المنصور وأمّن النّاسَ جميعاً فظهر .

[المهديّ يعجب بشعره]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار ، قال : حدَّثنا عمِّي وفُلَيْح بن إسماعيل ، عن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة قال : دخلتُ على المهدي ، وإذا هو يكتُبُ على الأرض بفَحمةٍ قولَ عبدِ الله بن مُصعَب : [من الطويل]

فإنْ يَحجبُوها أو يَحُلّ دُونَ وصْلِها ... مَقالــةُ واشٍ أو وعيــدُ أميرِ
فلن يمنعُوا عينيَّ مــن دائم البكا ... ولم يُخرجُوا ما قد أجنَّ ضميري
وما بَرِح الواشون حتى بدت لنا ... بُطُون الهــوى مَقلوبــةً لظهُورِ
إلى اللهِ أشكُو ما أُلاقي من الجَوى ... ومــن نَفسٍ يعتــادُني وزفيرِ

ويقول أحْسنَ واللهِ عبدُ الله بن مصعب ما شاء .

وهذه الأبياتُ تُنسب إلى المجنون أيضاً[2] ؛ وفيها بيْتان فيهما غناءٌ ليزيد حَوراء خفيف رمَل بالوُسطى من رواية عَمْرو بن بانة . ويُقال : إنّه للزُّبيْر بن دَحْمان ، وذكر حَبَش أنَّ فيهما لإسْحاق خفيف ثقيل أوّل بالوُسْطى .

---

1 ترجمة عبد الله بن مصعب الزبيريّ في نسب قريش : 250 وجمهرة نسب قريش : 334 وجمهرة أنساب العرب : 125 والمحبر لابن حبيب : 189 والمعارف : 224 ونور القبس : 114 وتاريخ خليفة : 414 وتاريخ الإسلام 5 : 38 والنجوم الزاهرة 10 : 311 .

2 انظر ديوان مجنون ليلى : 169 وديوان قيس لبنى (صادر) : 51 .

[هوى مع عزوف عن اللهو]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ قال : حدَّثنا عُمرُ بنُ شبَّة ؛ قال : حدَّثني مُحمدُ بنُ الحسن بن زياد . ونسختُ هذا الخبر من كتابِ أبي سعْد العدَوِيّ ، عن أبي الطِّرمّاح مولى آل مُصْعَب بن الزُّبير من أهل ضريَّة ، وروايتُه أتمَّ .

أنّ عبد الله بن مُصعب لمّا وَلِي اليمامة مَرَّ بالحوْأب يوماً ، وهو ماءٌ لبني أَبي بكْر بن كلاب ، وهو الذي ذكره النبيُّ ﷺ لعائشة ، فرأى على الماءِ جاريةً منهم ، فهَوِيَها وهوِيته ، وقال : [من البسيط]

يا جُملُ للوالِهِ المستعبر الوصِبِ ... ماذا تضَمَّن من حُزْنٍ ومن نَصَبِ

أنَّى أُتِيحَت لــه للحَيْن جارية ... في غيرِ مـا أممٍ منها ولا صَقِبِ[1]

جاريةٌ مـن أَبي بكر كلِفتُ بها ... ممَّنْ يَحِلُّ عن الحصّاء والحَوَبِ[2]

مــن غير معرِفـــة إلاّ تعرُّضَها ... حيناً لذلــك إن الحيْــن مُجْتَلِبي

قامت تعرَّضُ لي عمداً فقلتُ لها ... يا عَمْركِ الله ، هل تدرين ما حسبي

بين الحواريّ والصِّدِّيق في نَسَبٍ ... ينهى عن الفُحش مثْلي غيْر مُؤتَشَبِ[3]

ولا أَدِبُّ إلى الجارات مُنسرِباً ... تاللهِ إنِّي لعِزهــاةٌ عــن الرِّيَبِ[4]

فخطبها ، وكانت العرب لا تُنكِح الرجل امرأة شبَّب بها قبل خِطبَته ، فلم يزوِّجُوها إيّاه ، فلمّا يئست منه قالت : [من الطويل]

إذا خَدِرت رجلي ذكرتُ ابنَ مُصعبٍ ... فــإن قيـــل عبدُ الله ، خفَّ فُتورُها

أَلا ليتَني صاحبتُ ركْبَ ابنِ مصعَبٍ ... إذا مـا مطايـــاه اتلأَبَّتْ صدُورُها[5]

لقـــد كنتُ أَبكـــي واليمامةُ دونَه ... فكيـــف إذا التفّت عليـه قصورُها

قال أَبو الطِّرَّماح في خبره : وكان لها إخوةٌ شُرُس غُيُرٌ فقتلوها .

أُخبرنا ببعْض هذه القصّة ابنُ عمّار ، عن أحمد بن سُليمان بن أبي شيخ ، عن أبيه ، عن أَبي عمر الزّهريّ ، وذكر الشِّعريْن جميعاً والألفاظُ قريبة .

---

1 الصقب : الجوار .

2 الحوب : مخفف الحوأب .

3 غير مؤتشب : غير مختلط النسب .

4 العزهاة : العازف عن اللهو .

5 اتلأبت : استقامت .

[ملاحاة في حضرة المهدي]

وأخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني عليُّ بن محمد النّوفليّ عن أبي عمر الزّهْريّ ، قال : حدَّثني أبي : أنَّ عبد الله بن مُصعبْ خاصمَ رجلاً من ولد عُمَر بن الخطّاب بحضْرة المهديّ ، فقال له عبدُ الله بنُ مُصعَب : أنا ابنُ صفيَّة ، قال ، هي أدنتك من الظّلّ ولولاها لكُنتَ ضاحياً وكُنتَ بين الفَرْث والحويَّة[1] . قال : أنا ابنُ الحواريّ . قال له العُمَريّ : بل أنتَ ابنُ ورْدان المُكاريّ . قال : وكان يُقال : إنَّ أُمّه كانت تهْوى رَجلاً يكري الحمير يقال لهُ ورْدان ، فكان مَنْ يسُبّهُ يَنسبه إليه ، وقال فيه الشاعر : [من الطويل]

أتُدْعى حَواريّ الرَسول سَفاهةً وأنــتَ لوَردانِ الحميرِ سَليلُ

فقال : والله لأنّا بأبي أشبهُ من التمرة بالتمرة والغُرابِ بالغراب . قال له العمريّ : كذبتَ ، وإلاّ فأخبرني ما بال آل الزُّبير ثُـطٌ[2] اللِّحى وأنت ألحى وما لُهم سُمراً جِعاداً وأنت أحمرُ سَبْط ؟ قال : أليَ تقول هذا يا ابن قتيل أبي لؤلُؤة ؟ قال العُمريّ : يا ابن قتيل ابن جُرْمُوز على ضلالة ، أتُعيِّرني أنْ قتل أبي رجل نصرانيّ وهو أميرُ المؤمنين قائماً يُصلّي في محرابه وقد قتل أباكَ رجلٌ مسلمٌ بيْن الصفّين يدفعه عن باطل ، ويدعوه إلى حقٍّ ؟ فأنا أقول : رحم الله ابنَ جُرْموزٍ ، فقل أنت : رَحِم الله أبا لؤلؤة ، ثم أقبل على المهديّ فقال : ألا تَسْمع يا أميرَ المؤمنين ما يقولُ عائِدُ الكلبِ في عمر بن الخطّاب ، وقد عرفْتَ ما كان بينه وبين أبيك العبّاس بن عبد المطّلب وابنه عبدالله من المودَّة ، وتَعْلَم ما بين جَدّه عبد الله بن الزُّبير وبين جَدّك عبد الله بن العبّاس من العَداوة . فأعِن يا أميرَ المؤمنين أولياءَك على أعدائك . فوثب رجلٌ من آل طلحة فقال له : يا أمير المؤمنين ، ألا تكفُّ هذين السّفيهين عن تناول أعراض أصحاب رسول الله ﷺ وآله . وتكلَّم النّاسُ بينهما وتوسّطوا كلامَهُما وأكثروا ، فأمر المهديّ بكفِّهما والتفريق بينهُما .

[لقب عائد الكلب]

قال النّوفليّ : وكان عبدُ الله بن مُصْعَب يُلقَّب عائِدَ الكلب لقوله : [من الكامل]

مــا لي مَرِضْتُ فلم يَعُدني عائِدٌ منكم ويَمْـرضُ كَلبُكـم فأعودُ
وأشدُّ مــن مَرضي عَلَيَّ صُدُودُكم وصُدودُ عَبْـدِكم عَلَـيَّ شَديدُ

فلُقّب عائدَ الكَلْب .

---

1 الفرث : بقايا الطعام في المعدة . والحوية : ما تحوي الأمعاء .

2 ثط : جمع أثط ، وهو الخفيف اللحية .

قال ابنُ عَمَّار : هكذا حِفظي عن النَّوفليّ ، وقد يزيدُ القَوْلُ وينقص .

لحَكَم الوادي في هذين البيتين اللذين أوّلهما :

ما لي مَرِضتُ فلم يَعُدْني عائدٌ ... منكم ويمرض كلْبُكم فأَعُودُ

لحنان خفيفُ ثقيل بالوُسْطى ، عن إبراهيم وحَبَش ، ورَمَل بالوُسْطى عن الهشاميّ .

[يحسد شاعراً أقبل عليه المهدي]

أخبرنا أحمدُ بن عُبَيْد الله بن عمّار ، قال : حدَّثني أحمدُ بن سليمان بن أبي شيخ ، قال : أنشد الأُحيحيُّ المهديَّ قصيدةً مدَحَه بها ، وكان عبد الله بن مُصْعب حاضراً ، فحسدَه على إقبال المهديّ عليه ، وكان المهديّ يُحبّه ، فجعَل يخاطب المهديّ ويحدِّثه ، فقال له : أمسِك فما يَشْغَلني كلامُك عنه ، فقطع الأُحيحيُّ الإنشاد ، ثم أقبل على المهديّ فقال له : [من المنسرح]

عبدُ منافٍ أَبُو أُبوَّتِنا ... وعَبدُ شمْس وهاشمٌ تَوَمُ

بَحران خَرّ العوّامُ بَيْنَهُما ... فالْتَطَما والبِحارُ تَلْتَطِمُ

فقال له المهديّ : كَذاكَ هو ، فدَع هذا المَعْنى وعُدْ إلى ما كنت فيه ، وخَجِل عَبدُ الله فما انتفع بنفسه يومئذٍ .

قال ابنُ عمّار : فحدَّثني بعضُ شُيُوخنا قال : كُنتُ عند مُصْعب بن عبد الله الزُّبيْريّ يوماً وقد جرى ذكرُ الأُحَيحيّ ، فأنشدتُه هذين البَيتَين ، فتغيَّر لونُه ، ثم قال لي : نعم ، قد كان خاطب أبي بهما فأمضَّه ، فلمّا قمنا عنه قال لي : ويْحَك ، أتنشد رجُلاً كنت تتعلّم منه وتأخذ عنه هِجاءً في أبيه ؟ فقلتُ له : دعْني فإنّي أحببتُ أن أغُضَّ من كِبرِه قال : وكان في مُصعب بعضُ ذلك .

صوت

[من البسيط]

زارتْ سُلَيمى وكان الحيُّ قد رقَدا ... ولم تَخفْ من عدوٍّ كاشِحٍ رَصَدا

لقد وَفَت لك سَلمى بالذي وَعدَت ... لكنَّ عُقْبَةَ لم يُوفِ الذي وَعَدا

عروضه من البسيط ، الشعر لابن مُفرّغ الحمْيريّ[1] ، والغناء لابن سُرَيج رمل بالوسطى عن أحمد بن المكّيّ ، وفيه لعواد لحن من كتاب إبراهيم غير مُجنّس .

1 ديوان ابن مفرغ : 107 عن الأغاني .

وقد تقدّمت أخبار ابن مفرّغ مُسْتَقْصاة فيما قبل هذا من الكتاب ، فاستغْنى عن إعادتها هاهنا وإعادة شيء منها ، إذ كان قد مضى منها ما فيه كِفاية ولله الحمد .

صوت

[من الكامل]

ما شأنُ عَينِك طَلَّـةُ الأَجفانِ   مِمّـا تَفيض مريضة الإنسانِ
مَطْروفَةٌ تَهمي الدّموعَ كأنّها   وشَلٌ تَشَلْشَل دائِـمُ التَّهتانِ[1]

الشعر لعُمارة بن عقيل ، والغِناء لمتيّم ثاني ثقيل بالوسطى .

1 الوشل هنا : الماء الكثير . وتشلشل : تقطر .

[540] ـ أخبار عمارة ونسبه[1]

[نسبه]

عُمارةُ هو ابنُ عقِيل بن بلال بن جرير بن عطيّة بن الخَطَفى ، وقد تقدّم نَسبُه ونَسبُ جدّه في أوّل الكتاب . ويُكْنى عُمارة أبا عقيل ، شاعرٌ مُقدَّم فَصيح ، وكان يسكن باديةَ البصرة . ويزور الخلفاء في الدولة العبّاسيّة فيُجزلون صلتَه ، ويمدح قوّادهم وكتّابهم فيَحْظى منهم بكلّ فائدة ، وكان النحويُّون بالبصرة يأخذون عنه اللُّغة .

[مكانته في الشعر]

أُخبرني عليُّ بن سُليمان الأخفش قال : سمعتُ محمد بن يزيد يقول : خُتِمت الفصاحةُ في شعْر المُحْدَثين بعُمارة بنِ عَقيل .

أُخبرني محمدُ بن عِمران الصّيرفيّ ، والحسنُ بن عليّ ، والصُّوليُّ قالوا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال : سمعتُ سَلْم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء يقول : كان جدّي أبو عمرو يقول : خُتِم الشِّعرُ بذي الرُّمَّة ، ولو رأى جدِّي عُمارةَ بن عقيل لعَلم أنّه أشعر في مذاهب الشعراء من ذي الرُّمَّة . قال العنزيّ : ولعَمْري لقد صدَق .

وسمعتُ سَلْماً يقول : هو أشدُّ استواءً في شعره من جرير ، لأَنّ جريراً سَقَط في شعره وضَعُف ، وما وجَدُوا لعمارة سَقْطةً واحدةً في شعره .

قال العنزيّ : وحدَّثني أحمدُ بن الحَكَمُ بنِ بشْر بن أُبي عَمْرو بن العلاء قال : أُتيتُ عُمارةَ أسأله عن شيءٍ أكتبُه عنه ، فقال لي : مَن أنت ؟ فقلتُ أنا ابنُ الحكَم بن بِشْر بن أبي عمْرو بن العلاء فقال لي : كان أبوكَ صَدِيقي ، ثم أنشدني : [من الوافر]

بَنى لكــم العَلاءُ بِناءَ صِدْقٍ وتَعْمُرُ ذاكَ يا حَكمَ بنَ بِشْرِ
فما مَدْحي لكم لأُصيب مالاً ولكن مَدْحُكم زَيْنٌ لِشعْري

1 ترجمة عمارة بن عقيل في الشعر والشعراء (ترجمة جرير) وطبقات ابن المعتز : 316–319 والمرزباني : 78 وجمهرة أنساب العرب : 226 وألقاب الشعراء 1 : 453 ونزهة الألباء : 136 وخزانة البغدادي وتاريخ بغداد 5 : 276 وكتاب بغداد : 154 وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد حقّق ديوانه شاكر العاشور ولكن لم يتيسّر لنا .

[الهجاء لا يقتل أحداً]

حدَّثني محمدُ بن يَحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا أبو ذَكْوان قال : حَدَّثنا أبو مُحَلّم قال : هَجا عمارةُ بن عَقِيل امرأةً ، ثم أتته في حاجة بعد ذلك ، فجعل يعتذر إليها ، فقالت له : خَفّض عليك يا أخي ، فلو ضَرَّ الهِجاءُ أحداً لقتَلك وقتل أباك وجدّك .

قال مؤلِّف هذا الكتاب : وكان عُمارة هَجَّاءً خَبيثَ اللّسان ، فهجا فروةَ بن حَمِيصَةَ الأسديّ وطال التّهاجي بينهما ، فلم يغلب أحدُهما صاحبَه حتى قُتِل فَرْوة .

وأخبرني محمدُ بن يَحيى قال : حدَّثنا أبو ذَكْوان قال : قال لي عُمارة : ما هاجَيت شاعراً قطَّ إلاّ كُفِيتُ مؤونَته في سنةٍ أو أقلّ من سنةٍ ، إمّا أن يموت ، أو يُقتَل ، أو أُفحِمه ، حتى هاجاني أبو الرُّدَينيّ العُكليّ ، فَخنَقَني[1] بالهِجاء ، ثم هجا بني نُمَير فقال : [من الوافر]

أَتوعِدُني لِتَقْتُلني نُمَيرٌ ... مَتى قَتلتْ نُمَيرٌ مَنْ هجاها

فكفانِيهِ بنو نُمَيرْ فقتَلوه ، فَقَتلت بنو عُكْل ، وهم يَوْمَئِذٍ ثلاثمائة رَجل ، أربعة آلاف رجُل من بني نُمَير . وقتلت لهم شاعِرَيْن : رأسَ الكلْبِ وشاعراً آخر .

[المأمون يقف على ما وقع بينه وبين فروة بن حميصة]

أخبرني محمدُ بن يَحيى الصُّوليّ قال : حدَّثني العنزيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم العبْدِيّ قال : حدَّثني عُمارة بنُ عَقِيل قال : كنتُ جالساً مع المأمون ، فإذا أنا بهاتفٍ يَهتِف من خَلفي ويقول : [من البسيط]

نَجَّى عُمارةَ منّا أنَّ مُدَّتَه ... فيها تراخٍ ورَكْضُ السَّابح النَّقِلِ
ولو ثقِفْناه أُوهَيْنا جَوانِحَه ... بذابلٍ من رِماح الخَطِّ مُعْتَدِلِ
فإن أَعناقَكم للسَّيفِ مَحْلَبَة ... وإنَّ مالَكم المرعيَّ كالهَمَلِ[2]
إذ لا يُوطِّن عبدُ الله مُهْجَتَه ... على النِّزالِ ولا لِصّاً بَني حَمَلِ

قال : وهذا الشِّعر لفَرْوة بن حميصة فِيّ . قال : فدَخَلني من ذلك ما الله يَعْلَمه ، وما ظَننتُ أنّ شعرَ فروَة وقع إلى مَنْ هُنالِك . ثم خرَج عليُّ بنُ هِشام من المجلس وهو يَضْحَك ، فقلتُ : يا أبا الحَسَن ، أتفعل بي مِثلَ هذا وأنا صديقُك ؟ فقال : ليس عليك في هذا شيء . فقلت : من أين وقع إليك شعر فروة ؟ قال : وهل بَقِي كِتاب إلاّ وهو عِنْدي ؟ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أهجى في دارِك وبحضرتك ؟ فضحك ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنصِفْني ، فقال :

---

1 ل : فخبثني .

2 علبة في ل : مختلة .

دَعْ هذا وأخبرني بخَبر هذا الرجلِ ، وما كان بينك وبينه ، فأنشدتُه قصيدتي فيه ، فلمّا انتهيت إلى قولي : [من الكامل]

مـا في السَّوِيّة أن تَجُرَّ عليهم وتكُونَ يوم الرَّوعِ أوَّلَ صادرِ

أعجب المأمونَ هذا البيتُ فقال لي المأمونُ : ألهذه القصيدة نقيضه ؟ قلت : نعم ، قال : فهاتها . فقلت له : أوُذِي سمعي بلساني ؟ فقال : عليّ ذلك ، فأنشدتُه إيّاها ، فلمّا بلغتُ إلى قوله : [من الكامل]

وابنُ المَراغَة جاحِرٌ من خَوْفِنا بـادٍ بمنزلَةِ الذَّليـلِ الصَّاغِرِ
يَخْشى الرِّياحَ بأن تكونَ طليعةً أو أن تحُـلَّ بـه عقوبةُ قادرِ

فقال لي : أوجعكَ يا عُمارة ، فقُلت : ما أوجعتُه به أكثر .

[بيت له يقضي على فروة]

أخبرني محمد قال : حدَّثني الحَسَن قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الله بن آدم قال : حدَّثني عمارة قال : إنّما قَتل فروةَ قَولي له :

مـا في السَّوِيَّة أن تَجُرَّ عليهم وتكونَ يومَ الرَّوع أوَّلَ صادرِ

فلمّا أحاطت به طيِّىء وقد كان في مَعاذٍ وموئل ، وكان كَثِيرَ الظَّفر بهم كثيرَ العَفْو عمَّن قَدَر عليه منهم ، فقالوا له : والله لا عَرَضْنا لك ولا أوصَلْنا إليك سوءاً فامْض لِطِيَّتِك[1] ولكنّ الوِترَ معك فإن لنا فيهم ثأراً . فقال فروة : فأنا إذاً كما قال ابنُ المراغة :

مـا في السَّوِيَّة أن تَجُرّ عليهمُ وتكُونَ يَومَ الرَّوع أوَّلَ صادرِ

فلم يزل يَحمل أصحابه ويَنْكِي[2] في القوم حتى اضْطَرّهم إلى قَتلِه ، وكان جمعُهم أضعافَ جمعه .

[يبالغ في وصف نفسه بالكرم]

أخبرني محمدُ قال : حدَّثني الحسن قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم قال : قِيل لعمارة : أقَتَلْتَ فَرْوة ؟ فقال : والله ما قَتَلتُه ولكنّي أقتلتُه أي سَبّبت له سبباً قُتِل بهِ .

أخبرني محمد قال : حدَّثنا الحسن قال : حدَّثني محمد بن عبد الله قال : حدَّثني عُمارة قال : رُحْتُ إلى المأمون ، فكان ربّما قرّب إليَّ الشيءَ من الشَّراب أشرَبُه بين يديه ، وكانَ يأمر بكَتْب كَثِيرٍ ممّا أقولُه ، فقال لي يوماً : كيف قُلت : قالت مُفَدّاة ؟ ونظر إليّ نظراً مُنكراً . فقلت : يا أمير

---

1 ل : لكلمتك .

2 ينكي : يقهرهم بالقتل والجرح .

المؤمنين ، مفدّاة امرأتي ، وكانت نظرت إليّ وقد افْتقَرت وساءت حالي ، قال : فكيف قُلتَه ؟ فأنشدته : [من البسيط]

قالــت مُفــدّاةُ لّمـا أنْ رَأت أرَقي ... والهــمُّ يَعْتــادُني مــن طيفِـه لَمَمُ
أنهبْت مالــكَ في الأدنَــين آصِرةً ... وفي الأَباعــد حتــى حَفَّـكَ العَدَمُ
فاطلب إليهم تَجِد ما كُنْت من حَسَنٍ ... تُسْدِي إليهم فقد ثابتْ لهم صِرَمُ[1]
فَقُلْت : عاذلتــي ، أَكثرتِ لائِمتي ... ولم يَمُــت حاتِــمٌ هُـزلاً ولا هَرِمُ

قال : فنظر إليَّ المأمونُ مُغضَباً وقال : لقد عَلَتِ هِمّتك أن ترقى بنفسك إلى هرم وقد خرج من ماله في إصلاح قومِه .

[يوسط عمرو بن مسعدة ليؤذن له بالانصراف]

أَخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال : حدَّثني العنزيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله قال : حدَّثنا عمارة قال : استَشْفَعْت بِعَلِيّ بن هشام في أن يؤذَن لي في الانْصراف ، فقال : ما أفعلُ ذلك لأنّك تُنشِد أمير المؤمنين إذا خلوتَ به وتُخبره عن وقائعك وفِعالِك ثم تُخبره أنّك مَظْلوم ، وقد أخذ هذا أميرُ المؤمنين عليك . ثم تذاكرنا فقال : أما تذْكُر أبا الرّازي حين أوقعَ بقومك وأوقعوا به ، ثم تدخل على أمير المؤمنين مُغْضَباً فتقول : [من الطويل]

عَلامَ نِزارُ الخَيْل تَفْأى رُؤوسَنا ... وقد أَسلَمَتْ مــع النَّبيّ نِزارُ[2]

وهي أَبياتٌ قالها حين قتلهم أَبو الرّازيّ ، وكان عُمارة قد خرج من عند المأمون فنظر إلى رؤوس أصحابه ، فدخل فأنشد هذا البيت ، قال : وأكرهُ أن تتبعك نفسي أمير المؤمنين فيَجدُ على مَنْ كلّمه فيك ، فَعَلَيْـك بعمرو بن مسعدة وأبي عبّاد فإنّهما يكتُبان بين يدي أمير المؤمنين ، ويخلوان معه ويُمازحانه ، فأتيتُ أبا عبّاد فذكرتُ له التشوُّقَ إلى العيال ، وسألته الاستئذان . فصاح في وجهي وقال : مُقامك أَحبُّ إلى أمير المؤمنين من ظعْنك ، وما أفعل ما يكْرهـه . فذهبتُ من فوري إلى عمـرو بن مَسْعـدة ، فدخلتُ عليه وهو يختَضبُ ، فشكوتُ إليه الأمر فقال : يا أبا عقيل ، لقد أذِنت لك في ساعة ما أظهر فيها لأحد ، ولي حاجة ، قلت : وما هي ؟ قال : ألفُ درهم تُجْعل لك في كيسٍ تَشْتري بها عبداً يؤنسك في طريقك ، ولستُ أقصرٌ فيما تحبّ . فتلعثمتُ ساعةً وتلكّأت ، فقال : حقّاً ، لئن لم تأخُذْها لا كلمتك ، فأخذتها وانصرفت وأنا أقول : [من الكامل]

---

1 صرم : جمع صرمة ، وهي القطعة من الإبل أو النخل .
2 فأى رأسه : فلقه .

عمــرُو بنُ مسعدةَ الكريمُ فَعالُه ... خيرٌ وأَمجــدُ مــن أَبــي عبّادِ
مــن لم يُزَمْزِمْ والداه ولم يكن ... بالــرَّيِّ عِلْــجَ بِطارةٍ وحَصادِ
بَصَّرتُه سُبُلَ الرّشادِ فمــا اهْتَدى ... لسبيلِ مكرُمــةٍ ولا لَــرَشادِ[1]
وعرفت إذ عَلِقَت يــدِي بِعَنانِه ... أنّــي عَلِقت عِنــانَ غيرِ جَوادِ
لــو كان يعلم إذ يُشيحُ تَحَرُّقي ... في كلِّ مكرمــةٍ ولــين قيادِي
عرف المُصَدَّقُ رأيُــه أنّي امــرؤٌ ... يُفنــي العطاءَ طَرائفــي وتِلادِي
وأَصُون عِرْضِي بالسَّخاءِ وإن غدت ... غُبْرَ المحاجــرِ شُعْثَــاً أَولادي

[بينه وبين السِّجستاني في اللغة]

أَخبرني محمد بنُ يحيى قال : حدَّثنا العنزيّ قال : حدَّثني سلْم بنُ خالد قال : أَنشدَ عُمارة قصيدةً له ، فقال فيها : الأرياحُ والأمطار ، فقال له أبو حاتم السِّجستاني : هذا لا يجوز ، إنّما هو الأرواح ، فقال : لقد جذَبَني إليها طبعي ، فقال له أَبو حاتم ، قد اعترضه علمي ، فقال : أما تسمعُ قولَهم : رياحٌ ؟ فقال أبو حاتم : هذا خلافُ ذلك ، قال : صدَقْت ، ورَجع .

[يريد الخلعة مع السيف]

حدَّثنا محمدُ بنُ يَحيى قال : حدَّثنا الحسنُ ، قال : حدَّثنا العنزيّ ، قال : قَدِم عُمارةُ البصرةَ أيّام الواثق ، فأتاهُ علماءُ البصْرة وأنا معهم ، وكُنتُ غلاماً ، فأنشدهم قصيدةً يمدَحُ فيها الواثقَ فلمّا بلغ إلى قوله : [من الكامل]

وبقِيتُ في السَّبعين أنهضُ صاعداً ... فمَضى لذاتــي كلُّهــم فَتشعّبُوا

بكى على ما مَضى من عُمْره . فقالوا له : أملِها علينا ، قال : لا أَفعلُ حتى أُنشِدها أميرَ المؤمنين ، فإنّي مدحتُ رجلاً مرّةً بقصيدة فكتبها منّي رجل ثم سبقني بها إليه . ثم خرج إلى الواثق فلمّا قدِم أتوه وأنا معهم فأملاها عليهم .

ثم حدَّثهم فقال : أدخلَني إسحاقُ بنُ إبراهيم على الواثق ، فأَمَر لي بخلْعةٍ وجائزةٍ ، فجاءَني بهما خادمٌ ، فَقلتُ : قد بقي من خِلْعتي شيءٌ قال : وما بقي ؟ قلت : خلعَ عليّ المأمون خِلعةً وسيفاً . فرجع إلى الواثق فأخبره ، فأمره بإدخالي ، فقال : يا عُمارة ، ما تَصْنع بسَيْف ؟ أتريدُ أَن تقْتل به بقيّة الأعراب الذين قتلْتهم بمقالك ؟ قلتُ : لا والله يا أميرَ المؤمنين ولكن لي شريك في نخيل لي باليمامة ، ربّما خانني فيه فلعلّي أُجرِّبه عليه .

---

1 ل : فما انتهى .

فضحك وقال : نأمرُ لك به قاطعاً ، فدفع إليّ سيفاً من سُيوفه .

[اتصاله بالمأمون]

أخبَرنا الصُّوليُّ قال : حدَّثني يزيدُ بن محمد المهلّبيّ قال : حدَّثني النّخعيّ قال : لمّا قَدِم عُمارةُ إلى بغدادَ قال لي : كلِّم لي المأمون ، وكان النَّخعيُّ من ندماء المأمون ، قال : فما زِلتُ أُكلِّمهُ حتى أوصلتُه إليه ، فأنشَده هذه القصيدة : [من الكامل]

حتّـامَ قلبُك بالحِسانِ مُوكّل كلِفٌ بهِـنَّ وهنَّ عنهُ ذُهّلُ

[يقدم غلاماً من ربيعة على شيخ بني تميم]

فلمّا فرَغ قال لي : يا نَخَعيّ ، ما أدري أكثر ما قال إلاّ أن أقيسَه[1] ، وقد أمرت له لكلامك فيه بعشرين ألف درهم : حدَّثني الصُّوليّ ، قال : حدَّثني الحسن ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الله بن آدم العبديّ قال : كانت بنو تميم اجتمعت ببغداد على عُمارة حين قال شِعْرَة الذي يُقدِّم فيه خالدَ بنَ يزيد على تميم بن خُزيمة ، فقالوا له : قطَع الله رَحِمك وأهانَك وأذلّك ، أتقدِّم غلاماً من ربيعة على شيْخٍ من بني تَميم ، تَميمِ بنِ خُزَيمة ، وهو مع ذلك من بيت تَميم ؟ ولاموه ، فقال : [من الطويل]

صَهُوا يـا تَميمُ إنَّ شَيبانَ وائـلٍ بطرفِهـم عنكـم أضنُّ وأرغَبُ
أإن سُمْت برْذَوناً بطِرفٍ غَضِبتُم عليّ وما في السُّوقِ والسَّوْم مَغضَبُ
فإن أكرمَتْ أو أنجبَت أُمُّ خالدٍ فزنـد الرِّياحِيِّين أورى وأثقبُ[2]

قال : ثمّ حدَّثنا عُمارة قال : قال لي عليّ بنُ هشامٍ ، وفيه عصبيّةٍ على العرب : قد علمتَ مكانك منّي ، وقيامي بأمرك ، حتى قرّبك أميرُ المؤمنين المأمون ، والمائة الألف التي وصلتك أنا سببُها ، وهاهُنا من بَني عمِّك مَن هو أقربُ إليك ، وأجدرُ أن يُعِينني على ما قَبَل[3] أميرُ المؤمنين لك . فقلت : ومَن هو ؟ قال : تميمُ بنُ خُزيمة ، قال : قلتُ : آتيه . قال : وخالدُ بنُ يَزيد بن مزيد ، قلت : سآتيهما . فبعث معي شاكريّاً ، من شاكريّته ، حتى وقف بي على باب تميم . فلمّا نظر إليّ غِلمانُه أنكرُوا أمري . فدَنا الشّاكريُّ فقال : أعلِموا الأمير أنّ على الباب ابنَ جريرٍ الشّاعر جاء مُسلِّماً فتوانَوْا ، وخرجَ غُلامٌ أعرِف أنّه غُلامُ الأمير ، فحَجبني ، فداخلني من ذاك ما الله به عالِم . فقلتُ للشّاكريِّ : أين منزل خالد ؟ فقال :

---

1 ل : أفتشه .

2 الرياحيين في ل : الحصينيين .

3 قبل : كفل .

اتْبعني فما كان إلاّ قليلاً حتى وقف بي على بابه ، ودخل بعضُ غلمانه يطلبُ الإذن ، فما كان إلاّ قليلاً حتى خَرج في قميصِه وردائِه ، يتبعه حَشْمُه . فقال لي بعضُ القوم : هذا خالد قد أقبل إليك . قال : فأردت أن أنزل إليه ، فوَثَب وثبةً فإذا هو معي آخِذٌ بعَضدِي يُريد أن أتّكيء عليه . فجعلت أقول : جعلني الله فِداكَ ، أنزِل ، فيأبى حتى أخذ بعَضُدي ، فأنزلني وأدخَلني ، وقرَّب إليَّ الطعامَ والشراب ، فأكلتُ وشربت ، وأخرج إليَّ خمسة آلافِ درهم وقال : يا أبا عقِيل ، ما آكل إلاّ بالدَّين ، وأنا على جناح من ولاية أمير المؤمنين ، فإن صحَّت لي ، لم أدَعْ أن أغنيك ، وهذه خمسة أثوابِ خزٍّ قد آثرتك بها ، كنتُ قد ادَّخرتُها . قال عُمارة ، فخرجتُ وأنا أقول : [من الطويل]

أأترُكُ إن قلَّت دَراهمُ خالدٍ ... زيارتَه إنِّي إذاً للئِيمُ
فَليت بثوْبيه لنا كان خالدٌ ... وكان لبكرٍ بالثَّراء تَميمُ
فيصبح فينا سابقٌ مُتمهِّلٌ ... ويُصبح في بكرٍ أغمُّ بَهيمُ
فقد يُسْلِع المرءُ اللئيمُ اصطناعهُ ... ويعتلُّ نقدُ المرء وهو كريمُ

قال اليزيديُّ : يُسْلع : أي تكثر سِلعَته . والسِّلعة : المتاع .

أخبرني الصُّوليُّ ، قال : حدَّثني الحسَنُ قال : حدَّثني محمد بنُ عبد الله قال : حدَّثني عُمارة قال : لمّا بلَغ خالدَ بن يزيد هذا الشِّعرُ قال لي : يا أبا عَقيل ، أبلغك انَّ أهلي يرتضُون منِّي ببدِيل كما رَضِيت بنو تميم بتميم بنِ خُزَيمة ؟ فقلتُ : إنمّا طلبتُ حظَّ نفسي وسُقْت مكرمةً إلى أهلي لو جاز ذلك ، فما زال يُضاحكني .

[أشدّ ما هجي به]

أخبرني الصُّوليُّ قال : حدَّثنا الحسن قال : سَمِعْتُ عبدَ الله بن محمد النّباجيّ يقول : سَمعتُ عُمارةَ يقول : ما هُجيت بشيءٍ أشدَّ عليَّ من بيت فَرْوة : [من الكامل]

وابنُ المراغَةِ جاحِرٌ مِنْ خَوْفِنا ... بالوَشْم منزلةَ الذَّليلِ الصَّاغرِ

[مدح يوجب حقّاً]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى قال : حدَّثني الحسنُ بن عليل العنزيّ ، قال : حدَّثني النَّباجيّ قال : لمّا قال عُمارةُ يمدَح خالداً : [من الكامل]

تأبى خَلائِقُ خالدٍ وفَعالُه ... إلاَّ تجنّبَ كلّ أمرٍ عائبِ
فإذا حضَرْتَ البابَ عند غدائِهِ ... أذِنَ الغَداءُ لنا برَغْم الحاجِبِ

لقِيهُ خالدٌ فقال له : أوجبْتَ والله عليّ حقّاً ما حييت .

[هجاء الأشراف]

قال العنزيُّ : وسمعتُ سلْم بن خالد يقول : قلتُ لعُمارة : ما أجودُ شِعْرك ؟ قال : ما هجوْتُ بهِ الأشرافَ . فقلت : ومَنْ هُم ؟ قال : بنو أسد ، وهل هاجاني أشرفُ من بني أسد ؟

قال العنزيّ : وحدَّثني أبو الأشهب الأسديّ من ولد بِشْر بن أبي خازِمٍ قال : لمّا أُنشِد فَروةُ بنُ حميصةَ قولَ عُمارة فيه : [من الكامل]

مـا في السَّوِيّة أن تَجُرّ عليهمُ وتكونَ يومَ الرَّوعِ أوَّلَ صادرِ

قال : والله ما قتلني إلاّ هذا البيت .

فلمّا تكاثرَت عليه الخَيْلُ يوم قُتِل قيل له : انجُ بنفسِك ، قال : كلاً والله ، لا حقَقتُ قولَ عُمارة ، فصبَرَ حتى قُتِل .

وكان فَرْوةُ من أحسَنِ النّاس وجْهاً وشِعْراً وقَدّاً ، لو كان امرأةً لانتحَرت عليه بنو أسد .

[أكرم هجاء]

أخبرني محمد بن يَحْيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثني العنزيّ ، قال : حدَّثني عليّ بنُ مُسلم قال : أنشدتُ يعقوبَ بنَ السِّكيت قصيدة عمارة التي رَدَّ فيها على رَجاء بن هارون أخي بني تيم اللات بن ثعلبة التي أوّلُها : [من الكامل]

حَـيِّ الدِّيـارَ كأنّها أسطارُ بالوَحْي يَدْرُس صُحْفَها الأحْبارُ
لعِبَ البِلى بجديدها وتنفّسَتْ عرصاتِهـا الأرْواحُ والأمطارُ

قال أبو عليّ : وهذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة فقال : الأرياح ، فردَّه عليه أبو حاتم السِّجستانيُّ وهو يتَغيّظ ، فلمّا بلغ إلى قوله :

وجموع أسْعد إذ تعَضُّ رؤوسَهم بيـضٌ يَطِيـر لوقعِهِـنَّ شَرارُ
حتى إذا عَزمُـوا الفِرارَ وأسلموا بيضاً حواصِنَ مـا بهـنَّ قرارُ
لحِقت حَفيظتُنا بهـنّ ولم نـزَلْ دُونَ النِّساء إذا فزِعْـن نَغارُ

قال ابنُ السِّكِّيت : للهِ دَرُّه ، ما سمعت هِجاءً قطّ أكرمَ من هذا .

[عود إلى الدفاتر القديمة]

أخبرني محمد بن يحيى قال : وفَدَ عُمارة على المتوكّل ، فعمل فيه شِعراً ، فلم يأتِ بشيء ، ولم يُقارب ، وكان عُمارة قد اختلَّ وانقطعَ في آخر عُمْره ، فصار إلى إبراهيم بن سَعدان المؤدِّب ، وكان قد روى عنه شعْرَه القديم كلّه ، فقال له : أُحِبُّ أن تخرج إليَّ أشعاري كلّها

لأَنقلَ أَلفاظَها إلى مدحِ الخليفة ، فقال : لا والله أَو تُقاسِمني جائزتك . فحلف له على ذلك ، فأخرج إليه شِعرَه ، وقلب قصيدةً إلى المتوكّل ، وأخذ بها منه عشْرَةَ آلافِ دِرهم ، وأعطى إبراهيم بنَ سعدان نصْفها ؛ والله أعلم .

صوت[1]

[من الطويل]

تَفَرَّقَ أَهلي من مُقيمٍ وظاعنٍ فللّهِ دَرّي أيَّ أَهـلِيَ أَتْبَعُ

أَقام الذيـنَ لا أُبـالي فِراقَهم وَشَطَّ الذيـن بَينَهـم أَتوَقَّعُ

الشعر للمُتلمّس ، والغناء لمتيّم خفيف ثقيل بالوسطى .

---

1 ديوان المتلمس (صادر) : 119 .

[541] ـ أخبار المتلمس ونسبه[1]

[نسبه]

المتلمس لقب غلب عليه ببيت قاله وهو[2] : [من الطويل]

فهذا أوانُ العِرض جُنّ ذُبابهُ زَنابِيــرُه والأزرقُ المتــلمِّسُ

واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن وهب بن جُلَيّ بن أحمَس بن ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار .

قال ابن حبيب فيما أخبرنا به عبد الله بن مالك النحويّ عنه : ضُبَيْعات العرب ثلاثٌ كلُّها من ربيعة : ضُبَيْعة بن ربيعَة وهم هؤلاء ، ويقال : ضُبَيْعة أضجم ، وضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة ، وضُبيعة بن عِجْل بن لُجَيْم .

قال : وكان العزّ والشرف والرئاسة على ربيعة في ضُبيعة أضجم ، وكان سيّدها الحارث بن الأضجم ، وبه سُمِّيت ضُبَيْعة أضجم ، وكان يقال للحارث حارث الخَيْر بن عبد الله بن دَوْفَن بن حرب ، وإنّما لُقِّب بذلك لأنّه أصابته لقوةٌ[3] فصار أضجم ، ولُقِّب بذلك ، ولُقِّبت به قبيلتُه .

ثم انتقلت الرئاسة عن بني ضُبَيْعة فصارت في عَنَزَةَ ، وهو عامر بن أُسد بن ربيعة بن نزار ، وكان يلي ذلك فيهم القُدار أحد بني الحارث بن الدُّول بن صُباح بن عَتِيك بن أسْلم بن يذكُر بن عَنَزَةَ .

ثم انتقلت الرئاسة عنهم ، فصارت في عبد القيس فكان يليها فيهم الأفكَلُ وهو عمرو .

هنا انقطع ما ذكره الأصفهانيّ رحمهُ اللهُ[4] .

* * * *

---

1 ترجمة المتلمس في الشعر والشعراء : 112–116 وطبقات ابن سلام : 131–132 وخزانة البغدادي 7 : 301–305 وانظر أيضاً ترجمة طرفة 2 : 419–422 ، ومجمع الميداني 1 : 270 ، ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية ومقدمة ديوانه بتحقيق د . محمد التونجي (صادر – بيروت) .

2 ديوان المتلمس (صادر) : 105 .

3 اللقوة : داء يصيب الوجه فيعوج منه الشدق . والأضجم : الأعوج .

4 أجريت محاولات لاستيفاء ترجمة المتلمس من غير كتاب الأغاني . وقد آثرنا أن نبقي كتاب الأغاني كما وضعه أبو الفرج . وفي المراجع عنه وعن صحيفته ما يغني .

الفهارس العامة



فهرس الموضوعات

الجزء الأول

الجزء الثاني

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الجزء الخامس

الجزء السادس

الجزء السابع

الجزء الثامن

الجزء التاسع

الجزء العاشر

الجزء الحادي عشر

الجزء الثاني عشر

الجزء الثالث عشر

الجزء الرابع عشر

الجزء الخامس عشر

الجزء السادس عشر

الجزء السابع عشر

الجزء الثامن عشر

الجزء التاسع عشر

الجزء العشرون

الجزء الحادي والعشرون

الجزء الثاني والعشرون

الجزء الثالث والعشرون

الجزء الرابع والعشرون